

أنصار النبي صلى الله عليه وسلم

السنة الثانية | فبراير ٢٠٢٤
العدد ٢١ | رجب ١٤٤٥

مجلة أنصار النبي ﷺ

تصدر عن

الهيئة العالمية لأنصار النبي ﷺ

International Organization Of Sopporters Of The Prophet

أهداف الهيئة

تضع الهيئة هدفها الرئيسي على هذا النحو:

«أن يكون جناب النبي ﷺ مصوناً محترماً، وأن تكون الإساءة إليه مجرمة قانوناً في سائر أنحاء العالم» وهو الهدف الكبير الذي يحتاج إلى عمل ضخم ودؤوب على كافة المستويات.

وقبل الوصول إليه لا بد من إنجاز مراحل مهمة في التعريف بالنبي ﷺ، كذلك لا بد من إنجاز مراحل مهمة في حشد الجهود مع المسلمين والعقلاء من غير المسلمين لتجريم الإساءة إلى النبي ﷺ قانونياً في البلدان المختلفة، وهو الأمر الذي يتطلب خبرات متنوعة عالية المستوى.

السياسة العامة لعمل الهيئة

إن قضية نصرة النبي ﷺ قضية كبيرة لا يمكن أن تنهض بها جهة واحدة مهما بلغت من القدرات والإمكانيات، وكذلك فإن «الهيئة العالمية لأنصار النبي ﷺ» اختطّت لنفسها سياسة عامة تقوم على تفعيل الطاقات الإسلامية واستثمارها والتنسيق بينها، بحيث تبلغ المجهودات المبذولة في نصرة النبي ﷺ أقصى نتائج ممكنة.

تضع الهيئة نفسها في موضع التنسيق والتنظيم بين المؤسسات الإسلامية المختلفة لتأدية واجب نصرة النبي ﷺ، فهي تعمل -على سبيل المثال- على استثمار طاقة الجاليات الإسلامية المقيمة في البلاد المختلفة لحصر أهم الشبهات والقضايا المثارة عن النبي ﷺ والتي تحتاج مجهودا علميا وفكريا لتفنيدها، ثم تعمل على حث طاقة المؤسسات العلمية من الجامعات الإسلامية والمعاهد والأكاديميات والروابط العلمائية على معالجة هذه الشبهات، ثم تعمل على تحويل هذا المجهود الفكري والعلمي إلى معالجات فنية متنوعة: مقروءة ومسموعة ومرئية قريبة إلى لغة العصر والمزاج العام السائد لدى الرأي العام المعاصر، وذلك عبر حث الطاقات القائمة في مجال الإعلام والإنتاج الفني لدى المؤسسات الإسلامية على معالجة هذه الأفكار. تستثمر هذه الأطراف جميعها طاقاتها الموجودة فعلاً في تسويق المنتجات النهائية.

وبهذا تتوجه المجهودات والطاقات القائمة نحو هدف نصرة النبي ﷺ بطريقة فعالة ومنسقة، حيث تؤدي كل جهة دورها الذي تحسنه.

أنصار النبي صلى الله عليه وسلم

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾

محتويات العدد

رئيس الهيئة
د. محمد الصغير

رئيس التحرير
محمد إلهامي

@ ansarunaby@gmail.com

أئمة الهدى

«من تراث العلماء والدعاة والشهداء الراحلين»

الصادعون بالحق

«من تراث العلماء والدعاة الأسرى»

ترحب مجلة « أنصار النبي ﷺ » بمشاركات السادة القراء الكرام على هذا النحو:

١ كتابة المقال، وأن يكون مقالاً لا تنقصه الرصانة العلمية ولا العاطفة الدعوية، على ألا يتجاوز في أقصى الأحوال ١٥٠٠ كلمة، مذيلاً بالاسم الحقيقي لصاحبه.. ويتعلق بموضوع المجلة عن التعريف بالنبي ﷺ وشمائله وفضائله وأخلاقه ورحمته بأمته والتذكير بحقه وواجبات الأمة نحوه، والدفاع عن سنته ومحبة آل بيته وصحابته، ورد الشبهات عنه.

٢ ترشيح مادة كتبها عالم من العلماء الراحلين، أو من المؤسسات الإسلامية العريقة كالأزهر في مصر وهيئة كبار العلماء في الجزيرة وندوة العلماء في الهند تتعلق بموضوعات المجلة.. مع التوثيق الدقيق لهذه المادة: في أي كتاب أو مجلة نشرت بالصفحة وتاريخ الطبعة، أو رابط المادة على الانترنت.

٣ أو ترشيح مادة كتبها أحد العلماء والدعاة الأسرى فيما يتعلق بموضوع المجلة، مع التوثيق الدقيق لمصدرها.

- تفريغ مادة صوتية لأحد العلماء -الراحلين أو الأسرى- مع توثيق مصدرها.

- ولا نستغني أبداً عن مجهود القراء ومساعدتهم في نشر المجلة أو في ترجمتها إلى لغات أخرى أو في طباعتها وتوزيعها في بلدانهم، فحقوق الطبع والتوزيع محفوظة لكل مسلم.

ترسل المشاركات على البريد الإلكتروني التالي : ansarunaby@gmail.com

أكاديمية أنصار النبي صلى الله عليه وسلم

SUPPORTERS OF THE PROPHET ACADEMY

أكاديميـــة علميـــة ودعويـــة عالمية، منبثقـــة عن الهيئـــة العالمية لنصـــرة نبـــي الإســـلام، تعتمـــد التقنيـــات والأســـاليب الحديثة في التعليـــم، تنظـــم وتقدم برامـــج ودورات علمية، ودبلومات شـــرعية وفنيـــة ومهارية في مختلف مجـــالات النصرة النبويـــة، وتقوم على تخريـــج وتأهيـــل متخصصين فـــي فقه نصـــرة النبي صلـــى الله عليه وســـلم علميا وعمليـــا، وتعمل على تمكين الشـــباب المســـلم من المشاركة الواعية الفعالة في مجالات النصرة المتعددة.

الشـــيخ د. محمد الصغير
رئيـــس الهيئـــة العالمية لأنصـــار النبي ﷺ

الشـــيخ د.عبدالحي يوســـف
عميد أكاديمية أنصار النبي ﷺ

+90 536 491 13 74
@ansaracademy_





الافتتاحية

الجهاد بين النصر والاستشهاد



د. محمد الصغير

رئيس الهيئة العالمية لأنصار النبي ﷺ

هل سمعت أن الله اشترى؟ نعم اشترى أنفساً هو خالقها، وأموالاً هو رازقها، من عبيد له، فعظم صفقتهم وأغلى لهم الثمن: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١].

عبيد الله عقدوا بيعَة مع مولاهم، والسِّلعة أرواحهم وأموالهم، والثمن الموعود جنة عرضها السماوات والأرض، والطريق الموصل هو الجهاد، وعاقبته نصر أو استشهاد، ومَن أوفى بعهده من الله؟ فيا لها من صفقة رابحة، إذ يتقلب المجاهد بين الخيرين، ويرجع بإحدى الحسنيين، فعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «انتدب الله لمن خرج في سبيله لا يخرجُه إلا إيمانٌ بي وتصديقٌ برسلي، أنْ أرجِعَه بما نالَ من أجرٍ أو غنيمةٍ أو أدخله الجنة، ولولا أنْ أشقَّ على أمَّتي ما قعدتُ خلفَ سريَّة، ولوددت أنِّي أُقتَل في سبيل الله ثم أُحيَا، ثم أقتل ثم أحيا، ثم أقتل»[1].



ويؤكد رسول الله ﷺ على ذات المعنى فيقول: «والذي نفسي بيَدِه لولا أنَّ رجالاً من المؤمنين لا تطيب أنفسهم أنْ يتخلَّفوا عنِّي، ولا أجد ما أحملهُم عليه، ما تخلَّفت عن سريَّةٍ تغزو في سبيل الله، والذي نفسي بيده لوددت أنِّي أُقتَل في سبيل الله، ثم أحيا ثم أقتل، ثم أحيا ثم أقتل، ثم أحيا ثم أقتل»[2].

ولما سُئل النبي ﷺ عما يعدل الجهاد في سبيل الله قال: لا أجد له عديلاً، حيث جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: دلَّني على عملٍ يعدلُ الجهاد، قال: «لا أجدُه». قال: «هل تستطيعُ إذا خرَج المجاهد أنْ تدخُل مسجدك فتقوم ولا تفتر، وتصوم ولا تفطر؟» قال: ومَن يستطيع ذلك[3].

---

١ أخرجه البخاري.

٢ أخرجه البخاري.

٣ أخرجه البخاري.

والشهيد إذا غادَرَ الدنيا لا يُحسَب في عداد الأموات، بل هو حيٌّ يعيشُ حياةً برزخيَّة يعلمها الله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٩ - ١٧١].

إنَّ الشهادة في سبيل الله درجةٌ عالية يصطفي الله لها من يستحقُّها، فهي اختيار من العليِّ الأعلى لصفوة البشَر ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ﴾ [آل عمران: ١٤٠].

إنها اصطفاء واجتباء لخيرة من البشر، ليكونوا في صُحبة عباد الله المكرمين: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩].



واختلف العلماء في سبب تسمية الشهيد شهيداً

- «قال النضر بن شميل: لأنه حي، فكأن أرواحهم شاهدة، أي حاضرة.
- وقال ابن الأنباري: لأن الله وملائكته يشهدون له بالجنة.
- وقيل: لأنه يشهد عند خروج روحه ما أعد له من الكرامة.
- وقيل: لأنه يشهد له بالأمان من النار.
- وقيل: لأن عليه شاهداً بكونه شهيداً.
- وقيل: لأنه لا يشهده عند موته إلا ملائكة الرحمة.



- وقيل: لأنه الذي يشهد يوم القيامة بإبلاغ الرسل.
- وقيل: لأن الملائكة تشهد له بحسن الخاتمة.
- وقيل: لأن الأنبياء تشهد له بحسن الاتباع.
- وقيل: لأن الله يشهد له بحسن نيته وإخلاصه.
- وقيل: لأنه يشاهد الملائكة عند احتضاره.
- وقيل: لأنه يشاهد الملكوت من دار الدنيا ودار الآخرة.
- وقيل: لأنه مشهود له بالأمان من النار.
- وقيل: لأن عليه علامة شاهدة بأنه قد نجا».[٤]

وقيل إن الشهيد من شهد أن دين الله أغلى من نفسه، لذا بذلها في سبيل ربه، أو لأنه يأتي يوم العرض، ومعه ما يشهد على موته في سبيل الله، حيث يبعث الشهيد يوم القيامة وجرحه يثعب دماً، اللون لون الدم، والريح ريح المسك!

وبعد مرور أكثر من مائة يوم على طوفان الأقصى، أصبحت كلمة الشهيد ومصطلح الشهادة، أكثر ما يتردد على الألسنة وتسمعه الآذان، وذلك من بركة الجهاد في سبيل الله، فكم من المسلمين كان يعلم أن فضيلة الشيخ صالح العاروري هو نائب إسماعيل هنية رئيس المكتب السياسي لحركة حماس، وأنه مؤسس كتائب الشيخ عز الدين القسام في الضفة الغربية، وذلك بعد تخرجه في كلية الشريعة الإسلامية، وهذا كله من معاني الحياة الجديدة التي يهبها الله لمن مات في سبيله، من انتشار الذكر، ورفعة المكانة في الدنيا والآخرة.

---

٤ فتح الباري، للإمام ابن حجر.

قال رسول الله ﷺ: «للشهيد عند الله ستُّ خِصال: يُغفر له مع أوَّل دفقة من دمه، ويرى مقعده من الجنَّة، ويُجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزَع الأكبر، ويُوضَع على رأسه تاجُ الوقار، الياقوتة منها خيرٌ من الدنيا وما فيها، ويُزوَّج اثنتين وسبعين زوجةً من الحور العين، ويشفَعُ في سبعين من أقاربه»[٥].

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما يجدُ الشهيد من مسِّ القتل إلا كما يجدُ أحدكم من مسِّ القرصة»[٦].

وإذا قُتِل الشهيدُ لم ينقطعْ عمله الصالح، بل يزيدُ ويتضاعف، فعند الترمذي عن النبي ﷺ أنه قال: «كلُّ ميتٍ يُختَم على عمله إلا الذي مات مُرابِطًا في سبيل الله، فإنَّه يُنمَى له عملُه إلى يوم القيامة، ويأمنُ من فتنة القبر»[٧].

أوردت مختصراً بعض المعاني التي يجب أن يستحضرها المتابع لما يجري الآن في فلسطين، فالقضية ليست فقط في فرضية مشروع التحرير، وإنما هي صفقة ربانية، عقدها أصحاب الأنفس الزكية، وهم أحرص ما يكونون على قبض الثمن، وشعارهم الذي سيظل يتردد، ما قاله الشهداء الأوائل: غداً نلقى الأحبّة، محمداً وصحبَه.

وإنه لجهاد نصر أو استشهاد.

---

٥ أخرجه الترمذي وقال: هذا حديث حسن.

٦ أخرجه الترمذي وقال: هذا حديث حسن.

٧ أخرجه الترمذي.



ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين



محمد إلهامي (رئيس التحرير)

عضو الأمانة العامة للهيئة العالمية لأنصار النبي ﷺ

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله..

إليكم يا أهل غزة، وإلى سائر المسلمين في المحنة والشدة، أكتب هذه الأسطر، أذكر بها نفسي وإياكم بحقيقة ما نحن فيه..

١ الصبر صفة الأنبياء والأصفياء

لقد امتحن الله أحب العباد إليه بالبلايا والرزايا، فأحب الناس إلى الله هم الأنبياء، ومع ذلك فهم أكثر الناس بلاء..

دخل أبو سعيد الخدري على النبي ﷺ في مرضه، وقد اشتدت عليه الحرارة، فكان النبي يضع على رأسه قطيفة، فوضع أبو سعيد يده، فشعر بالحرارة من فوق القطيفة، فقال: ما أشدَّ حُمَّاك يا رسول الله. فقال ﷺ: «إنا معشر الأنبياء، يُزاد لنا في البلاء، ويضاعف لنا في الأجر».



وسُئل ﷺ: من أشد الناس بلاء؟ فقال: «الأنبياء ثم الصالحون، وقد كان أحدهم يُبتلى بالفقر حتى ما يجد إلا العباءة يجوبها (أي: يقطعها) فيلبسها! ويُبْتَلَى بالقُمَّل حتى يقتله، ولأحدهم أشد فرحاً بالبلاء منكم بالعطاء».

وفي رواية: «يُبتلى المرء على قدر دينه، فإن كان في دينه صلابة، زِيد في بلائه، وإن كان في دينه رِقّة خُفِّف عنه، ولا يزال البلاء بالمؤمن حتى يمشي على الأرض وما عليه خطيئة».

وقد أخبرنا الله تعالى بأن الناس جميعاً خاسرون، إلا صنفاً واحداً فقط، أولئك هم ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ٣].

وأخبرنا تعالى أنه يحاسب الناس بالميزان العدل، لكل عمل أجر، إلا صنفاً واحداً من الناس، فهؤلاء لا عدَّ لثوابهم، فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

وأرسل الله بشرى ثلاثية مع نبيه ﷺ لعباده الصابرين، فوعدهم بالصلوات الربانية وبالرحمة وبالهداية، قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ *

ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ * أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥- ١٥٧].

وأما الذين صبروا على فراق أبنائهم وإخوانهم وأحبابهم من المجاهدين، فقد زادهم الله من البشرى فوق بشرى الصلوات الإلهية والرحمة والهداية، بأن أخبرهم أن شهداءهم ليسوا أمواتاً، بل أحياء، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقۡتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتُۢۚ بَلۡ أَحۡيَآءٞ وَلَٰكِن لَّا تَشۡعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٥٤]. وقال تعالى: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩، ١٧٠].

وقد خصَّ الله الصابرين في الجهاد بأنه معهم، ذكر ذلك في كتابه أربع مرات:

١ فقال تعالى في سياق القتال في سبيل الله وتكاليفه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣].

٢ وقال تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةٗ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

٣ وقال تعالى في سياق حديثه عن المجاهدين من أهل بدر: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦].

٤ وقال تعالى للمجاهدين: ﴿فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ صَابِرَةٞ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمۡ أَلۡفٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفَيۡنِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال: ٦٦].

وهكذا ترون أن أحب الناس إلى الله هم أشدهم بلاء، ليكونوا أكثر الناس أجراً وثواباً، وما هذه الدنيا العريضة الواسعة إلا أيام، وما آلامها وأوجاعها إلا ساعات، وقد قرَّبها لنا رسول الله ﷺ فقال: «ما الدنيا في الآخرة إلا كما يضع أحدكم أصبعه في اليم، فلينظر بم يرجع»!!



وأخبرنا نبينا ﷺ أن أكثر الناس بؤساً وشقاء في الدنيا، إذا غُمِس في الجنة غمسة واحدة ظنَّ أنه لم ير شقاء قط! وأن أنعم أهل الدنيا إذا غُمِس في النار غمسة ظنَّ أنه لم ير نعيما قط!!

ولما فهم أسلافنا الصالحون هذا كله ضربوا لنا أمثلة نادرة في الصبر؛ فهذا التابعي الكبير صلة بن أشيم، عرف هو وعائلته معنى الصبر، فكان هو وولده في الجهاد، فقال لابنه: أي بني! تَقَدَّمْ، فقَاتِلْ حتى أحتسبك. فحمل، فقاتل، حتى قُتِل. ثم تقدم هو حتى قُتِل. فلما بلغ خبره إلى أهله جاءت النساء إلى زوجته معاذة يُعزِّينها في زوجها وولدها، فبادرتهن قائلة: «مرحباً إن كُنْتُنَّ جِئْتُنَّ لِتُهَنِّئْنَنِي، وإن كنتن جئتن لغير ذلك، فارجعن!»

وقبل أن يموت، جاءه رجل ينعى إليه أخاه، فقال له صِلة: «ادنُ فكُل، فقد نُعِي إليّ أخي قبل حين». وتلا قول الله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠].

وصار شريح القاضي، التابعي الكبير ومن أشهر قضاة المسلمين، يعطي دروساً في الصبر يتفنن فيها، فيقول عن تجربته مع الصبر: «إني لأصاب بالمصيبة، فأحمد الله عليها أربع مرات: أحمد إذ لم يكن أعظم منها، وأحمد إذ رزقني الصبر عليها، وأحمد إذ وفقني للاسترجاع (أي: قول إنا لله وإنا إليه راجعون) لما أرجو من الثواب، وأحمد إذ لم يجعلها في ديني».

وكتب عبيد الله بن عتبة فقيه المدينة الكبير، وأحد فقهائها السبعة الذين اجتمع فيهم علم المدينة، كتب يعظ الخليفة عمر بن عبد العزيز، فقال:

واصبر على القدر المحتوم وارض به •• وإن أتاك بما لا تشتهي القدرُ

فما صفا لامرئ عيش يسر به •• إلا سيتبع يوماً صفوه كدرُ



إنه موكب طويل من الصابرين، يتقدمه الأنبياء، وأصحابهم وحواريوهم، كان أحدهم يؤتى به، فيُنشر بالمناشير، ويوضع على رأس أحدهم السيف فيشطر إلى شطرين، ويُمشَّط أحدهم بأمشاط الحديد ما دون لحمه إلى عظمه!

ولقد كان اتباع النبي شديد الكلفة عظيم التضحية، فهذا مصعب بن عمير وقد كان أترف غلام بمكة بين أبويه يدفع ثمن الإسلام حتى صار يتساقط جلده مما هو فيه من الجوع والرهق والخشونة، وصفه سعد بن مالك بقوله: «فلقد رأيته وإن جلده ليتطاير عنه تطاير جلد الحية، ولقد رأيته ينقطع به، فما يستطيع أن يمشي، فنعرض له القسي ثم نحمله على عواتقنا».

وحوصر الصحابة ثلاث سنين حتى ذكر سعد بن مالك أنه قام ليلة يبول، «فسمعت تحت بولي شيئاً يجافيه، فلمست بيدي، فإذا قطعة من جلد بعير، فأخذتها، فغسلتها حتى أنعمتها، ثم أحرقتها بالنار، ثم رضضتها، فشققت منها ثلاث شقات، فاقتويت (أي: تقوّيت) بها ثلاثاً».

فمن سار في طريق الأنبياء والأصفياء أصابه ما أصابهم.. حتى يلتحق آخر الموكب بأوله، عندما يشرب الصابرون من يد نبيهم شربة هنيئة لا ظمأ بعدها أبداً، هناك! حين يوفون أجرهم بغير حساب.

٢ الصبر صفة العظماء

والصبر صفة العظماء أيضاً، ولو كانوا كافرين.. ولو كان مصيرهم إلى النار!!

ما من نجاح يحققه المرء في هذه الدنيا إلا ولا بد له من الصبر، وقد قال الشاعر:

لا تحسبن المجد تمراً أنت آكله •• لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

وما من بطل ولا مؤسس ولا زعيم إلا صبر وصابر، وثبت وثابر في سبيل غايته، ولو كانت غايته الدنيا وحدها.. ومثله في ذلك كل صاحب موهبة في علم أو في أدب أو في حرب أو في فن!!



لا مناص ولا بديل عن الصبر حتى في حاجة الدنيا.. فكيف بحاجة اجتمع فيها مجد الدنيا وثواب الآخرة؟!

الصبر مفتاح النجاح ولم نجد •• صعباً بغير الصبر يبلغه الأمل

هذا سليمان بن كثير، من مؤسسي الدعوة العباسية، يتذكر أيام التدبير والتخفي والعناء في سبيل تأسيس الدولة العباسية فيقول: «صُلِينا بمكروه هذا الأمر، واستشعرنا الخوف، واكتحلنا السهر حتى قُطِّعَت فيه الأيدي والأرجل، وبُرِيَت فيه الألسن حزًّا بالشِّفَار، وسُمِلَتْ الأعين، وابتُلِينا بأنواع المُثْلات، وكان الضرب والحبس في السجون من أيسر ما نزل بنا».

إني رأيت وفي الأيام تجربة •• للصبر عـاقبة محمودة الأثر
وقلَّ من جدَّ في أمر يطالبه •• فاستصحَبَ الصبر إلا فاز بالظَّفَرَ

وأنتم يا أهل الأرض المباركة في أكناف بيت المقدس، وأنتم يا أيها المجاهدون في كل مكان، إنكم لتطلبون الأمر الكبير، وتنشدون الغاية العظمى، ولقد اصطفاكم الله فأقامكم في خير أرضه، ووضعكم في أشرف المعارك، وضرب بكم المثل للعالمين، وباهى بكم ملائكته في عليين.. فهل ترون هذا الشرف الضخم يصلح معه التعب القليل؟!



على قدر أهل العزم تأتي العزائم •• وتأتي على قدر الكرام المكارم
وتعظم في عين الصغير صغارها •• وتصغر في عين العظيم العظائم

لو كان التعب القليل يصلح للشأن الجليل، لكان الناس كلهم مجاهدين وصابرين.. ولكن هيهات!

لولا المشقة ساد الناس كلهمُ •• الجود يفقر، والإقدام قتّال



وليس من أحد بلغ غاية في الغِنَى أو في العلم أو في الرئاسة أو في البطولة، إلا إذا تحدث عن نفسه، تحدث عن صبره ومثابرته وعزمه وتصلبه على ما كان فيه من الشدة، ولو كان الذي أخاطبه غيركم يا أهل الأرض المباركة لقلت لهم اقرؤوا كذا وكذا من الكتب، ولكني الآن أخاطبكم أنتم، فأقول: قد جعلكم الله أنتم مثلاً وقدوة وأسوة للناس.. فيقال للناس: انظروا إلى هؤلاء! وتعلموا من هؤلاء، وتمثلوا هؤلاء!

يوم القيامة ستجدون في ميزان حسناتكم، فوق الأجر الذي يُهال وينهمر عليكم بغير حساب، ستجدون حسنات لا تعرفونها.. تلك حسنات أناس خرجوا من الكفر ودخلوا في الإسلام مما يرونه من صبركم وثباتكم.. ومعها حسنات أخرى كثيرة كثيرة كثيرة.. حسنات أناس خرجوا من الغفلة إلى اليقظة، ومن الكسل إلى الهمة، ومن مسالك الدنيا إلى سبيل الآخرة!

إن الذي تفعلونه يحيي الناس ويخرجهم من الظلمات إلى النور، صبركم وثباتكم وإيمانكم العجيب هذا يدفق في عروق الأمة، وفي عروق العالمين، روحاً جديدة ونوراً جديداً! ولعل هذا من معاني قول الله تعالى: ﴿ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾ [النحل: ٩٦].

٣ خير الدنيا والآخرة

لئن كان الصبر صفة الأنبياء والأصفياء أحباب الله، وهو كذلك صفة الكبار والعظماء من أهل الدنيا، فقد اجتمع في أهل الجهاد خير الدنيا والآخرة.. والتقى عندهم موكب الخالدين. فالإمامة ثمرة الصبر، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْ﴾ [السجدة: ٢٤].

فهنيئاً لهم! والحسرة كل الحسرة على من تركهم وخذلهم وانصرف عنهم!

الصبر خير لأصحابه في كل حال، وفي ذلك قال تعالى: ﴿وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ [النحل: ١٢٦]، وكما قال تعالى: ﴿وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ﴾ [النساء: ٢٥].. وهو للأمة المغلوبة الجريحة ضرورة لا بديل عنها.. فما قامت أمة من نكبتها وكبوتها إلا على يد المجاهدين الصابرين! وفي ذلك قال رسول الله ﷺ: «إن النصر مع الصبر». وقد وعد الله المجاهدين الصابرين بالمدد السماوي فقال: ﴿بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ [آل عمران: ١٢٥].

ولا تزال الأمم تخلد عظماءها المقاتلين، وتخلد معهم أهلهم الصابرين، طالما بقيت حية! فتكتب سيرتهم في كتب المدارس، وتوضع على لافتات المؤسسات، وتسمى بأسمائهم الشوارع والمدن.. فلا يزالون أبطالاً في الدنيا، وهم -إذا خلصت نواياهم- تنعموا فوق ذلك بالخلود في الآخرة، في زمرة خير الأولين والآخرين، النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

ولهذا، فلا عجب أن يكون ختام المشهد في قصة الصابرين هو تذكيرهم بما صبروا، هذا الختام قد أخبرنا الله به في قوله تعالى: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ * سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٣، ٢٤].



حتمية الانتصار في معركة طوفان الأقصى



د. الحسن بن علي الكتاني

عضو مجلس أمناء الهيئة العالمية لأنصار النبيﷺ

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وسلم، أما بعد، فإني أكتب مقالي هذا بعد مرور أكثر من مائة يوم من عملية طوفان الأقصى التي قامت غضباً لله تعالى، وانتصاراً للمسجد الأقصى المبارك، الذي عانى من انتهاك المستوطنين اليهود له، مع دعم السلطات الإسرائيلية لهم بالحماية والتأييد.

وقديماً قيل: «النصر صبر ساعة»، بمعنى أن النصر يتنزل على أكثر الفريقين صبراً وتحملاً، أما من يفقد صبره فإنه لا محالة ينسحب وتحل به الهزيمة.

وقد تكرر ذكر الصبر في القرآن الكريم أكثر من مئة مرة؛ فيها أثنى الله تعالى على الصابرين، وذكّر بمواقف صبرهم وتحملهم ونوّه لثوابهم، نحو قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [المؤمنون: ١١١]. وفي الحديث عند البخاري، قال ﷺ: «ومن يتصبر يصبره الله، وما أعطي أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر»[١].

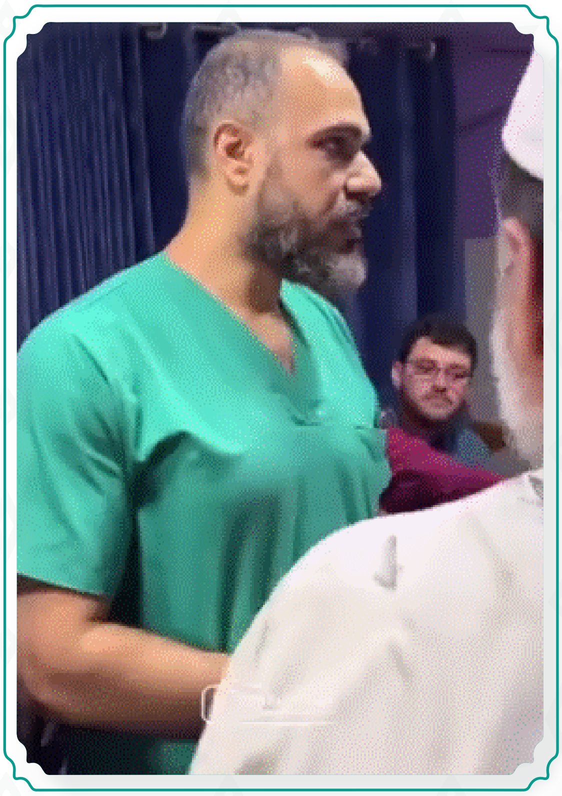


وكل هذا يؤكد عظيم مكانة الصبر وأهميته في حياة الأفراد والجماعات.

وأعظم الصبر ما يكون في الجهاد والرباط وتحت ظلال السيوف وقصف المدافع، وعند البحث عن الوالد والولد تحت الأنقاض والركام في جنح الظلام ورائحة الموت في كل مكان. لسان حالهم: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨]. فلولا هذا الصبر لانهارت النفوس أمام هذه الخطوب والكروب، قال ﷺ: «والصبر ضياء»[٢].

وقد كان رسول الله ﷺ سيد الصابرين في القيام بالفرائض واجتناب النواهي والصبر على الشدائد، وكان من أصبر الناس عند نزول البلاء، وضرب أروع الأمثلة في صنوف الصبر وأحواله؛ فصبر على أذى قومه حين جهر بالدعوة وصبر على حصارهم له بالشعب وصبر على هجرته وتركه بلده وقومه وماله في سبيل

١ متفق عليه: أخرجه البخاري (١٤٦٩)، ومسلم (١٠٥٣).
٢ رواه مسلم (٢٢٣).



الله، وصبر على مشقة الجهاد، وصبر على الزهد والتقلل من ملذات الدنيا، وصبر على الوقيعة في عِرض أهله، وصبر على أذى المنافقين.

وورد في الصحيحين، قال عبد الله: قسم النبي ﷺ قسمة كبعض ما كان يقسم؛ فقال رجل من الأنصار والله إنها لقسمة ما أريدَ بها وجه الله! قلت أما أنا لأقولن للنبي ﷺ، فأتيته وهو في أصحابه فساررته فشق ذلك على النبي ﷺ وتغير وجهه وغضب حتى وددت أني لم أكن أخبرته، ثم قال: «قد أوذي موسى بأكثر من ذلك فصبر»[٣].

وكان ﷺ في ذلك محتسباً الأجر من الله مفوضاً أمره لله، لم يشْكُ حاله لمخلوق ممتثلاً قوله تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥]. فصلوات الله وسلامه عليه.

وقد أوصى أئمة السلف الصالح بالصبر وحثوا عليه؛ قال عمر رضي الله عنه: «وجدنا خير عيشنا بالصبر». وقال علي رضي الله عنه: «الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فإذا ذهب الصبر ذهب الإيمان». وقال الحسن: «وجدت الخير في صبر ساعة». وقال عمر بن عبد العزيز: «ما أنعم الله على عبد نعمة فانتزعها منه فعاض مكانها الصبر، إلا كان ما عوضه خيراً مما انتزعه». فلا خيار للمجاهدين في الأرض المقدسة إلا أن يصبروا ويصابروا ويجاهدوا، حتى يتنزل عليهم نصر الله تعالى.

---

٣ أخرجه البخاري (٦١٠٠)، ومسلم (١٠٦٢).

ومما يجب الاهتمام به الإعداد للجولات القادمة، فطريق الإسلام لا يعرف فترة زمنية محددة من البذل والعطاء، ثم بعدها يلجأ الإنسان إلى الراحة والاسترخاء، مواسياً نفسه بأنه قد قام بالواجب والمطلوب، وعلى الآخرين أن يُكملوا عنه المسير والطريق، كما يحلو ذلك للبعض، إنما هو بذل وعطاء، وجهاد، من المهد إلى اللحد!

والمسلم لا يعرف الراحة الحقيقية إلا في جنان الخلد، وهذا هو المُستفاد من البيع والشراء الذي تكلم عنه ربنا عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١]



فالبيع قد تم، والشراء قد تم، والعقد قد مضى، ولا رجوع فيه ولا انتكاس، والله قد وفَّى وأجزل الوفاء، ولا بد للعبد من الوفاء!

والإعداد له شقان، معنوي ومادي، والأول أعظم من الثاني، لأنه أساسه وبه يقاتل المجاهد حقيقة. قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٦٠]. فقوله تعالى: (وأعدُّوا) أمر يفُيد الوجوب.

وفي الحديث عن عقبة بن عامر قال: سمعت رسول الله ﷺ وهو على المنبر يقول: «﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي»[٤]. وقال ﷺ: «من علم الرمي ثم تركه فليس منا» أو: «قد عصى»[٥]. وهذا وعيد يفيد الوجوب.



ومما يدخل في الرمي المراد من الحديث: الرمي على المسدس والبندقية والمدفع والدبابة، ومنه الرمي على الصواريخ، فكل فنون الرماية هذه تدخل في المراد من كلمة «الرمي» الواردة في الحديث والتي يجب على المسلم أن يأتي منها ما يستطيع ويقدر عليه!

وكذلك قوله ﷺ: «المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف وفي كلٍّ خير، واحرص على ما ينفعك»[٦]. والقوة هنا يُراد منها جانبا القوةِ والإعدادِ: المادي منها والمعنوي.

وهذا الخطاب للأمة الإسلامية كلها وخاصة من احتُلت أرضهم، وهاجمهم العدو الكافر، وإن كان قد تقرر عند علمائنا من سائر المذاهب أنه إذا وطئ العدو أرض المسلمين فقد تعين عليهم الجهاد جميعاً، فكل مَن استطاع حمل السلاح وجب عليه ذلك، فإن لم يستطيعوا دفع العدو توسع الوجوب على مَن يليهم حتى يعم المسلمين جميعاً.

في «مختصر» خليل بن إسحاق الجندي: «وتعين بفجءِ العدو وإن على امرأة وعلى من بقربهم إن عجزوا».

وقال الخرشي: «ذكر هنا أنه قد يتعين على كل أحد، وإن لم يكن من أهل الجهاد؛ كالمرأة والعبد ونحوهما،

---

٤ رواه مسلم (١٩١٧).
٥ رواه مسلم (١٩١٩).
٦ رواه مسلم (٢٦٦٤).

كما إذا لجأ العدو مدينة قوم، فإن عجزوا عن الدفع عنهم فإنه يتعين على مَن بقُربهم أن يقاتلوا معهم العدو ما لم يخف من بقربهم معرة العدو، فإن خاف ذلك بأمارة ظاهرة فليلزموا مكانهم»[٧].

وقال المواق: «(وتعين بفجئ العدو)... قال أبو عمر (بن عبد البر النمري): يتعيّن على كل أحد إن حل العدو بدار الإسلام محارباً لهم فيخرج إليه أهل تلك الدار خفافاً وثقالاً، شباناً وشيوخاً، ولا يتخلف أحد يقدر على الخروج من مقاتل أو مكثر، وإن عجز أهل تلك البلاد عن القيام بعدوهم كان على مَن جاورهم أن يخرجوا على حسب ما لزم أهل تلك البلدة. وكذلك من علم أيضاً بضعفهم وأمكنه غياثهم لزمه أيضاً الخروج، فالمسلمون كلهم يد على من سواهم. (وعلى قربهم إن عجزوا) قال ابن بشير: إذا نزل قوم من العدو بأحد من المسلمين وكانت فيهم قوة على مدافعتهم فإنه يتعين عليهم المدافعة، فإن عجزوا تعيّن على من قرب منهم نصرتهم. وتقدم نص المازري: إذا عصى الأقرب وجب على الأبعد»[٨].

وهذا الذي قاله أصحابنا من أهل المدينة، هو ما اتفق عليه علماء المسلمين بجميع طوائفهم، سنيهم وبدعيهم.

قال ابن تيمية: «فأما إذا أراد العدو الهجوم على المسلمين فإنه يصير دفعه واجباً على المقصودين كلهم، وعلى غير المقصودين لإعانتهم... وسواء أكان الرجل من المرتزقة للقتال أو لم يكن، وهذا يجب بحسب الإمكان على كل أحد بنفسه وماله، مع القلة والكثرة، والمشي والركوب، كما كان المسلمون، لما قصدهم العدو عام الخندق ولم يأذن الله في تركه أحداً كما أذن في ترك الجهاد ابتداء لطلب العدو، الذي قسمهم فيه إلى قاعد وخارج... فهذا دفع عن الدين والحرمة والأنفس، وهو قتال اضطرار، وذلك قتال اختيار؛ للزيادة في الدين وإعلائه ولإرهاب العدو»[٩].

---

٧ شرح الخرشي على خليل (١١١/٣).

٨ التاج والإكليل (٥٣٩/٤).

٩ في السياسة الشرعية لابن تيمية (ص ١٧١).

وقال كذلك: «إذا دخل العدو بلاد الإسلام فلا ريب أنه يجب دفعه على الأقرب فالأقرب؛ إذ بلاد الإسلام كلها بمنزلة البلدة الواحدة، وأنه يجب النفير إليه بلا إذن والد ولا غريم، ونصوص أحمد صريحة بهذا وهو خير مما في المختصرات. لكن هل يجب على جميع أهل المكان النفير إذا نفر إليه الكفاية؟ كلام أحمد فيه مختلف»[١٠].



وهكذا الأمر عند جميع الفقهاء دون استثناء.

هذا وقد يقول قائل: أنتم تأمرون الناس بالجهاد وتمنونهم بالنصر، وتعدونهم به. فعن أي نصر تحدثون والناس قد قُتل منهم آلاف ودُمرت غزة عن بكرة أبيها وتشرد الناس فعادوا دون بيوت ولا أعمال ولا أموال؟

فالجواب هو أن نصوص الكتاب والسنة قد تضافرت على إثبات النصر في نهاية المطاف لأهل الإيمان وحملة العقيدة الصحيحة، وأن النصر ليس بالضرورة أن يكون في ساحات المعارك، فبقاء الإيمان رغم موت أصحابه نصر، وانتشار الدين نصر، والصبر على البلاء نصر، فأصحاب الأخدود انتصروا، والنبي ﷺ في العهد المكي انتصر هو وأصحابه على قريش لما ثبتوا على عقيدتهم ودينهم.

فالنصر أنواع:

١ قد يكون بالغلبة المباشرة والقهر للأعداء على أيدي الأنبياء أو الدعاة أو الجماعات أو الحركات؛ كما حصل لداود وسليمان عليهما السلام قال الله تعالى: ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ

١٠ في الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٥/٥٣٩).



ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥١].

وقد نصر الله محمداً ﷺ نصراً مؤزراً وخذل أعداءه يوم بدر وما بعدها، حتى ظهر الدين وقامت دولة الإسلام، هذا هو النصر الظاهر وهو أول ما يتبادر إلى الأذهان عند إطلاق كلمة النصر.

٢ وقد يكون بإهلاك الأعداء ونجاة الدعاة والجماعات والحركات؛ كما حدث لنوح عليه السلام حيث نجاه الله وأهلك قومه، قال تعالى:

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ * فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ * فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ * وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ [القمر: ٩-١٢].

وهكذا قوم هود عليه السلام، قال الله تعالى: ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ وَمَا كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ٧٢].

لقد وردت في السنة المطهرة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام أحاديث في النصر، من ذلك حديث عن خَبَّاب قال: أتينا رسول الله ﷺ وهو متوسّد بُرْدةً في ظِلِّ الكعبة فشكونا إليه. فقلنا: ألا تستنصر لنا؟! ألا تدعو الله لنا؟! فجلس مُحمَرّاً وَجْهُهُ، فقال: «قد كان مَنْ قبلكم يُؤْخَذُ الرجلُ، فيُحْفَرُ له في الأرض، ثم يُؤْتَى بالمنشار، فيُجْعَلُ على رأسه، فيجعَلُ فِرقتين، ما يصرفه ذلك عن دينه، ويُمْشَطُ بأمشاط الحديد ما دون عظمه مِنْ لَحْمٍ وعَصَب، ما يصرفه ذلك عن دينه! والله! لَيُتَمَّنَّ الله هذا الأمرَ، حتى يسير الراكبُ ما بين صنعاء وحَضْرَمَوْتَ، ما يخاف إلا اللهَ تعالى، والذئبَ على غنمه، ولكنكم تَعْجَلُونَ»[١١].

---

١١ رواه البخاري (٦٩٤٣).

وذكر الله تعالى شروط النصر في سورة العصر فقال تعالى: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ * إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ * إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ [العصر: ١-٣]. فالإيمان وعمل الصالحات والتواصي بالحق وبالصبر من شروط النصر الأساسية.

٣ وقد يكون الانتصار بانتقام الله مِن أعدائه بعد وفاة الأنبياء والرسل والدعاة والجماعات، كما حدث مع من قتل يحيى وحاول قتل عيسى عليهما السلام.

٤ وثبات الداعية على مبدئه نوع من أنواع النصر حيث يعلو على الشهوات والشبهات ويجتاز العقبات بشجاعة وثبات.



٥ وقد يكون النصر بقوة الحجة وصحة البرهان، قال الطبري عند قوله تعالى ﴿وَلَقَدۡ سَبَقَتۡ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلۡمُرۡسَلِينَ * إِنَّهُمۡ لَهُمُ ٱلۡمَنصُورُونَ * وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾ [الصافات: ١٧٠-١٧٣]: «هو النصرة والغلبة بالحجج.. وهكذا قال السدي».

٦ وقد يكون ما يتصوره الناس هزيمة قد يكون هو النصر الحقيقي؛ كالقتل والسجن والطرد، أليس قتل الداعية شهادة؟ قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩]. وقال سبحانه: ﴿قُلۡ هَلۡ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحۡدَى ٱلۡحُسۡنَيَيۡنِۖ وَنَحۡنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمۡ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٖ مِّنۡ عِندِهِۦٓ أَوۡ بِأَيۡدِينَاۖ فَتَرَبَّصُوٓاْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ﴾ [التوبة: ٥٢].

وأخيراً فقد قيل: «إن القوي إذا لم يقضِ على الضعيف فقد انهزم، وإن الضعيف إذا بقي ثابتاً لا يتزحزح، صامداً في مواقعه، فقد انتصر». وهذه المعاني بفضل الله تعالى كلها تحقق لأهل غزة وفلسطين.

حِكم الابتلاء



هذا وإن كثيراً من الناس يتساءل عن حكمة ابتلاء أهل الأرض المقدسة بكل هذه البلايا العظيمة، ولا شك أن لله حكماً عظيمة في ذلك، فمن ذلك ابتلاء الله تعالى عباده المؤمنين الصادقين بالجهاد في سبيله، وفيه صنوف من الأذى والابتلاء بالقول والفعل، وأذى في الأموال بنقصها وهلاكها، وفي الأنفس بالجراحات والأسقام والأوجاع والقتل؛ قال تعالى: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٦].

ومن ذلك أنّ الله تعالى لا يقبل من العباد أن يكون إيمانهم مجرّد دعوى فارغة من الدليل والبرهان؛ فلا بد لكلّ ادّعاء من بيّنة على صحته، قال تعالى: ﴿وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

وقال تعالى: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ [آل عمران: ١٧٩].

ومن حكمة إنزال البلاء تكفير الخطايا ومحو السيئات؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يزال البلاءُ بالمؤمن أو المؤمنة، في جسده، وفي ماله، وفي ولده، حتى يلْقَى اللهَ وما عليه من خطيئة»[١٢].

---

١٢ مسند أحمد، ط. الرسالة، تحقيق: الأرناؤوط وقال محققه: إسناده حسن، (١٣/ ٢٤٨).

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ * وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠-٣١].

فالله تعالى من رحمته يعفو عن كثيرٍ من الذنوب، ويعاقب العبد على بعضها ليرتدع وينزجر عن غيِّه، ويكون في ذلك تكفيرٌ لسيئاته، فالحِكَم قد تتعدّد فيكون البلاء عقوبة للمؤمن ويكون كفارة في الوقت نفسه، كذلك ما دام العبد يتلقَّى المصاب بنفس راضية مؤمنة، فعن أبي سعيد الخدري، وعن أبي هريرة: عن النبي ﷺ قال: «ما يُصيب المسلمَ، مِن نَصَبٍ ولا وَصَبٍ، ولا هَمٍّ ولا حزنٍ ولا أذًى ولا غَمٍّ، حتى الشوكة يُشاكُها، إلّا كفَّر اللَّهُ بها من خطاياه»[١٣].



وهذا فيه رفع درجات وتمحيص كبير، حتى يتنزل النصر على المسلمين وهم يستحقونه بما وصلوا إليه من إيمان وتمحيص.

أما ما ينال الأطفال الأبرياء من البلاء، ففي كلام الإمام ابن القيم رحمه الله جواب عن ذلك، قال ابن قيم الجوزية: «ثم تأمل حكمة الله تعالى في كثرة بكاء الأطفال وما لهم فيه من المنفعة، فإن الأطباء والطبائعيين شهدوا منفعة ذلك وحِكمته، وقالوا: في أدمغة الأطفال رطوبة لو بقيت في أدمغتهم لأحدثت أحداثاً عظيمةً، فالبكاء يسيِّل ذلك ويحدِّره من أدمغتهم فتقوى أدمغتهم وتصح. وأيضاً: فإن البكاء والعياط -أي: الصراخ- يوسّع عليه مجاري النَّفَس، ويفتح العروق، ويصلِّبها، ويقوِّي الأعصاب. وكم للطفل مِن منفعة ومصلحة فيما تسمعه من بكائه وصراخه، فإذا كانت هذه

١٣ أخرجه البخاري في صحيحه، رقم ٥٦٤٠، ومسلم في صحيحه، رقم ٢٥٧٢.

الحكمة في البكاء الذي سببه ورود الألم المؤذي وأنت لا تعرفها ولا تكاد تخطر ببالك: فهكذا إيلام الأطفال فيه وفي أسبابه وعواقبه الحميدة مِن الحكَم ما قد خفي على أكثر النَّاس، واضطرب عليهم الكلام في حِكمته اضطراب الأرشية -أي: الحصوم-»[١٤].

وقال أيضاً: «هذه الآلام هي من لوازم النشأة الإنسانية التي لا ينفك عنها الإنسان ولا الحيوان، فلو تجرَّد عنها لم يكن إنساناً بل كان ملكاً أو خلقاً آخر. وليست آلام الأطفال بأصعب من آلام البالغين، لكن لما صارت لهم عادة سهُل موقعها عندهم، وكم بين ما يقاسيه الطفل ويعانيه البالغ العاقل. وكل ذلك من مقتضى الإنسانية وموجب الخلقة، فلو لم يُخلق كذلك لكان خلقاً آخر، أفترى أن الطفل إذا جاع أو عطش أو برَد أو تعب قد خُصَّ من ذلك بما لم يُمتحن به الكبير؟ فإيلامه بغير ذلك من الأوجاع والأسقام كإيلامه بالجوع والعطش والبرد والحر دون ذلك أو فوقه، وما خلق الإنسان بل الحيوان إلا على هذه النشأة. قالوا: فإن سأل سائل وقال: فلم خُلق كذلك؟ وهلا خُلق خلقة غير قابلة للألم؟ فهذا سؤال فاسد، فإن الله تعالى خلَقه في عالم الابتلاء والامتحان من مادة ضعيفة، فهي عرضة للآفات، وركبَّه تركيباً معرَّضا للأنواع من الآلام... فوجود هذه الآلام واللذات الممتزجة المختلطة من الأدلة على المعاد، وأن الحكمة التي اقتضت ذلك هي أولى باقتضاء دارين: دار خالصة للذات لا يشوبها ألم ما، ودار خالصة للآلام لا يشوبها لذة ما، والدار الأولى: الجنة، والدار الثانية: النار»[١٥].

دعم المجاهدين وفضح المعتدين

وعلينا ألا تثنينا هذه المجازر والكوارث والمصائب عن دعم المجاهدين وفضح الأعداء المعتدين، فقد تبين، بفضل الله تعالى، أن تأثير ذلك كبير جداً في العالم، ولا أعلم يوماً تضامن فيه الناس مع قضية فلسطين

---

١٤ مفتاح دار السعادة (٢/ ٢٢٨).

١٥ مفتاح دار السعادة (٢/ ٢٣٠، ٢٣١).



كما حدث اليوم، حتى تعالت أصوات الشباب في أمريكا وأوروبا بتحرير فلسطين من النهر إلى البحر، وهذا شيء لم نرَه من قبل في أوروبا وأمريكا، بل لأول مرة نرى الناس تتعاطف بشدة مع مظاهر صبر المسلمين في غزة، حتى إنهم أحبوا القرآن والإسلام، لِما رأوه فيهما من عامل صبر ورباطة جأش لمن ابتلي من أهل غزة وفلسطين كلها.

وبفضل الله تعالى فإن وسائل الانتصار لأهل غزة أضحت كثيرة، ومنها الجهاد على مواقع التواصل الاجتماعي، بالكلمة الهادفة المقوية لعزائم أهل غزة وفلسطين، والأنشودة الرصينة، والدعم القوي، مع فضح ممارسات العدو وجبنه وخوَره.

وواجب النصرة هذا لا يخلي أحداً من المسؤولية، لأنه ضرْب من الجهاد، كما تقدم، فإن العدو إذا وطئ أرض المسلمين فإن الجهاد يصبح واجباً على الجميع تدريجياً، فيعم كل مسلم في العالم. والجهاد اليوم وقبل اليوم، لا يقتصر على العمل المسلح فقط، بل إن هناك من روافد العمل المسلح أعمالاً كثيرة تسانده وتؤيده، ومنه الجهاد الإعلامي، والحقوقي وغيره.

أما من لا زال موالياً لأعداء الله تعالى فإنه سيبوء بالخزي والعار دنيا وأخرى، فإن موالاة أعداء الله تعالى ذنب عظيم، قد يصل للردة والخروج من الدين. وقال اللهُ سُبحانَه: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ﴾ [آل عمران: ٢٨].

قال الحافظ ابنُ جرير رحمه الله: «معنى ذلك: لا تتَّخِذوا أيُّها المؤمنون الكُفَّارَ ظُهورًا وأنصارًا، توالونَهم على دينِهم، وتُظاهِرونَهم على المُسلِمين من دونِ المؤمنين، وتَدُلُّونَهم على عَوراتِهم؛ فإنَّه من يفعَلْ ذلك فليس من اللهِ في شيءٍ، يعني بذلك: فقد بَرِئَ من اللهِ، وبرئَ اللهُ منه بارتدادِه عن دينِه، ودُخولِه في الكُفرِ»[١٦].



كما قال اللهُ سُبحانَه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١]. وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [التوبة: ٢٣].

---

١٦ تفسير ابن جرير (٥/ ٣١٥).

التوجيه والإعداد النبوي

في مواجهة الابتلاءات والمصائب



د. علي الصلّابي

الأمين العام للاتحاد العالمي لعلماء المسلمين



إن الله تعالى منذ خلق الدنيا جعلها دار امتحان واختبار، ومنذ أنزل إليها آدم عليه السلام واستخلف ذريته فيها، قضى على بني آدم أن يكونوا عُرضةً للابتلاء في جميع أحوالهم، قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾ [الملك: ٢].

أي ليختبرهم أيهم أصوب عملاً وأخلصه، ولينظر أي عباده أكثر طاعة لأوامره واجتناباً لنواهيه، وأكثر امتناعاً عن الشهوات المحرمة، وأيهم أكثر صبراً عند المصائب والشدائد.

وابتلاء العباد سُنة ثابتة ماضية من الله تعالى في جميع خلقه ليختبر صدقَ إيمانهم؛ قال تعالى: ﴿الٓمٓ * أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ * وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ١-٣].



وهذه السُّنة الظاهرة لا تقتصر على أناس دون غيرهم، فقد جرت على جميع البشر بما فيهم الأنبياء والرسل، وأولهم رسول الله ﷺ الذي خاطبه الله تعالى بقوله: ﴿وَلَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمۡ نَصۡرُنَاۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ وَلَقَدۡ جَآءَكَ مِن نَّبَإِيْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ [الأنعام: ٣٤].

فما ادعى أحدٌ الإيمان بالله تعالى ورسله إلا كان له نصيب من الابتلاء الذي يختبر إيمانه، وإن تباينت صور هذا الابتلاء ومراتبه، فالمؤمن يُبتلَى على قدر إيمانه، فعن مصعب بن سعد عن أبيه قال: قلت يا رسول الله: أي الناس أشد بلاء؟ قال: «الأنبياء، ثم الأمثل، فالأمثل، فيُبْتلَى الرجل على حسب دينه، فإن كان دينه صلباً اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة، ابتلي على حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة».

فرسول الله ﷺ، وهو أكرم خلق الله على الله، تعرض للابتلاء العظيم من المحن والأذى على قدر عظمة الرسالة التي يحملها والتي كُلف بدعوة الناس إليها، وذلك ليكون أسوةً حسنة للمؤمنين من بعده في الصبر على البلاء والمصابرة على تكاليف الدعوة من العذاب النفسي والجسدي.

فقد رأى النبي ﷺ من البلاء ما تضعف معه العزائم وتخور معه القوى، فكان ﷺ يصبر، ويحتسب، ويتابع دعوته وجهاده دون كلل أو ملل. قال النَّبيُّ ﷺ: «لقد أُخِفتُ في اللهِ وما يُخافُ أحَدٌ ولقد أُوذيتُ في اللهِ وما يُؤذَى أحدٌ ولقد أتَت عليَّ ثلاثون مِن بينِ يومٍ وليلةٍ وما لي ولبِلالٍ طعامٌ يأكُلُه ذو كَبِدٍ إلَّا شيءٌ يُواريه إبْطُ بلالٍ».



لكن النبي ﷺ كان خير قدوة لمن معه من الصحابة في الصبر والمجاهدة، فقد ربّى أصحابه على الصبر على البلاء وذلك بتذكيرهم بعظم الأجر والجزاء الذي أعده الله للصابرين من عباده، وأن نزول البلاء ليس مرتبطاً بالضرورة بمعاصي العبد، بل قد ينزل بالعبد كعلامة على حب الله تعالى له.

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن عِظَمَ الجزاءِ مع عِظَمِ البلاءِ، وإن اللهَ إذا أَحَبَّ قومًا ابتلاهم؛ فمن رَضِيَ فله الرِّضَى، ومن سَخِطَ فله السُّخْطُ». وقال ﷺ: «ما يُصيبُ المُسلِمَ مِن نَصَبٍ ولا وَصَبٍ، ولا هَمٍّ ولا حُزْنٍ ولا أذًى ولا غَمٍّ، حتى الشَّوكَةِ يُشاكُها، إلا كَفَّرَ اللهُ بِها مِن خَطاياه».

كما كان رسول الله ﷺ يبث الثقة والتفاؤل في قلوب الصحابة الكرام، وأن جهدهم لن يذهب سُدىً، وإنما هي تضحيات مطلوبة على طريق النصر والتمكين، قال رسول الله ﷺ: «لَيَبلُغَنَّ هذا الأمرُ ما بلَغَ اللَّيلُ، ولا يَترُكُ اللهُ بيتَ مَدَرٍ ولا وَبَرٍ إلَّا أدخَلَه اللهُ هذا الدِّينَ، بعِزِّ عزيزٍ، يُعِزُّ به الإسلامُ، وبذُلِّ ذليلٍ يُذِلُّ به الكُفرُ».

وكان رسول الله ﷺ يقص على أصحابه ما تعرض له المؤمنون قبله من الابتلاء والعذاب فما وهنوا لما أصابهم وما ضعفت عزيمتهم، فعن خباب بن الأرتّ رضي الله عنه قال: شَكَوْنَا إِلَى رسولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَه في ظلِّ الْكَعْبةِ، فَقُلْنَا: أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا أَلَا تَدْعُو لَنَا؟ فَقَالَ: «قَد كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ يؤْخَذُ الرَّجُلُ فيُحْفَرُ لَهُ في الأَرْضِ فيُجْعلُ فِيهَا، ثُمَّ يؤْتَى بالْمِنْشارِ فيُوضَعُ علَى رَأْسِهِ فيُجعلُ نصْفَيْن، ويُمْشطُ بِأَمْشاطِ الْحديدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ وَعظْمِهِ، مَا يَصُدُّهُ ذلكَ عَنْ دِينِهِ، واللَّه ليتِمنَّ اللَّهُ هَذا الأَمْر حتَّى يسِير الرَّاكِبُ مِنْ صنْعاءَ إِلَى حَضْرمَوتَ لاَ يخافُ إِلاَّ اللهَ والذِّئْبَ عَلَى غنَمِهِ، ولكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ».

بل إن النبي ﷺ استحب الصبر على رفع البلاء في بعض المواقف، وحض المؤمنين على ذلك لما في الصبر على البلاء من الأجر العظيم الذي لا يكافئه إلا الجنة، كما جاء فيما رواه يحي عن عمران أبي بكر قال: «حدثني عطاء بن أبي رباح قال: قالَ لي ابنُ عَبَّاسٍ أَلَا أُرِيكَ امْرَأَةً مِن أَهْلِ الجَنَّةِ؟ قُلتُ: بَلَى، قالَ: هذِه المَرْأَةُ السَّوْدَاءُ، أَتَتِ النبيَّ ﷺ، قالَتْ: إنِّي أُصْرَعُ وإنِّي أَتَكَشَّفُ، فَادْعُ اللَّهَ لِي، قالَ: «إنْ شِئْتِ صَبَرْتِ ولَكِ الجَنَّةُ، وإنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيَكِ»، قالَتْ: أَصْبِرُ، قالَتْ: فإنِّي أَتَكَشَّفُ فَادْعُ اللَّهَ أَنْ لا أَتَكَشَّفَ فَدَعَا لَهَا».

المنهج النبوي في التعامل مع المحن

إن المنهج النبوي كان التجسيد الواقعي للمنهج القرآني في التعامل مع الابتلاء والمحن، فكان رسول الله ﷺ يردد على مسامع أصحابه آيات القرآن الكريم ليغرس في نفوسهم معانيه التي كان لها أثرٌ عظيم في شدِّ أزر المؤمنين والتَّخفيف عنهم، بضرب الأمثلة والقصص لهم من الأمم السَّابقة



وأنبيائها، وكيف لاقوا مِنْ قومهم الأذى والعذاب؛ ليصبروا ويستخفُّوا بما يلاقون، وأيضاً بمدح بعض تصرُّفاتهم، ثمَّ بوعدهم بالثَّواب والنَّعيم المقيم في الجنَّة، وكذلك بالتَّنديد بأعدائهم الَّذين كانوا يذيقونهم الألم والأذى.

•• ومن تلك المعاني أن هذه الدنيا دار شقاء وابتلاء دائم، وليست دار هناء واستقرار، قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٥].

•• وأن الابتلاء فيه تمحيص وتنقية للصف المسلم من المنافقين، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ٣]، وقال تعالى: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ [آل عمران: ١٧٩].

•• وأن الثبات والصبر سبيل النصر، فالنصر الإلهي آت لا محالة، قال الله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [يوسف: ١١٠].

إذا كان الإيذاء والابتلاء قد نال رسولَ الله ﷺ وصحابته الكرام، فليس هناك أحد أكبر من الابتلاء والمحن، فتلك سُنة الله مع الأنبياء والمؤمنين إلى يوم الدين، وعلى ذلك ربّى رسول الله ﷺ الرعيل الأول، فينبغي على المسلم الثبات على دينه ودعوته، وأن يواجه الأذى والمحن والمصائب بالصبر الجميل الذي يريده الله من عبده، فلا يضعف أو يحيد عن طريق الله إذا ما عانى شيئاً من الأذى والابتلاء، فقد سبقه في ذلك رسول الله ﷺ، وجميع الأنبياء والصحابة الكرام.



هل ينجح التهجير؟

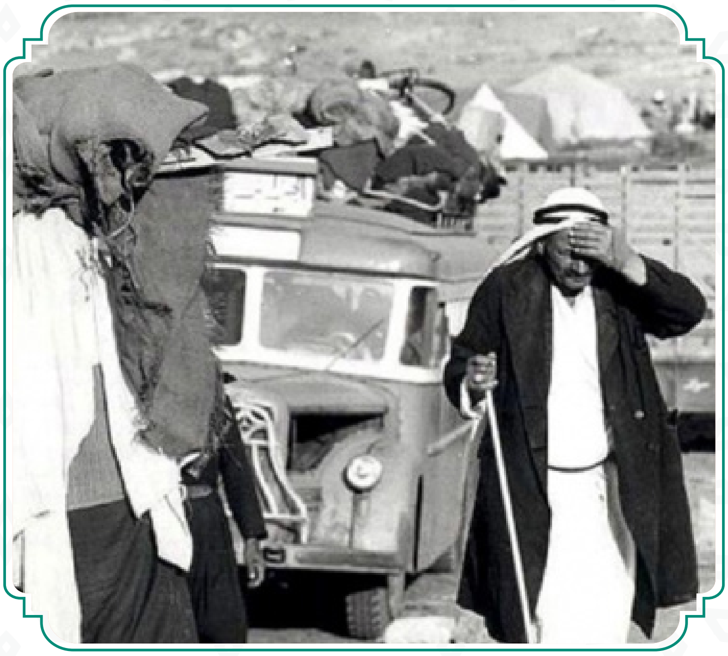
محمد شعبان صوان

مؤرخ فلسطيني

نجاح عملية التهجير ليس مرتبطاً بجهة واحدة، هناك عدة أطراف في العملية، الشعب الفلسطيني، ومن ينصره ومن يخذله ومن يلتف على تضحياته، والعدو الصهيوني، ومن ينصره ومن يقاومه، في زمن النكبة نجح التهجير.

صحيح أن خبرة الشعب كانت محدودة، وأنه قد جرب الرحيل مرتين في نفس نصف القرن، في الحرب الكبرى ١٩١٤-١٩١٨، وفي زمن الثورة الكبرى ١٩٣٦-١٩٣٩، وفي كل مرة كان الناس يعودون إلى مساكنهم بعد هدوء الأحوال وانتهاء الاضطرابات، هذه كانت

خبرتهم الماضية ولم يفهموا خصوصية معركة النكبة فسَهَّلَ ذلك رحيلهم، ولكن علينا أن نفهم أيضاً ما فطن الناس إليه مؤخراً بعد اندلاع طوفان الأقصى، وهو أن أحداث الكارثة لم تكن سهلة، وأن الأرض هي العرض عند الفلسطيني، ولكن ما أجبره على الرحيل لم يكن حدثاً بسيطاً، فالدمار والجوع والقتل يضع الإنسان في رد الفعل الغريزي الذي قد يتجاوز حدود الحسابات المنطقية، وهذا ما أدركه الكثيرون اليوم وعذروا أجدادهم الذين رحلوا.



أما النتيجة النهائية فهي بين حسابات الكبار التي قد يهمها الشكل الخارجي للشرعية الدولية والضغط على الجنوح اليميني المتطرف في الكيان الصهيوني في سبيل استقرار مصالح النهب التي يؤمنها القانون الدولي والمنظمات الأممية، وحسابات التجزئة العربية التي لا تريد حملاً فلسطينياً إضافياً يمكن أن يسبب لها متاعب مع الجار الصهيوني، أو متاعب داخلية تؤثر على استقرار الأنظمة والسلالات الحاكمة، إذا ما أعاد الصهاينة فكرة الوطن البديل إلى الحياة، ثم لدينا قدرة المواطن الفلسطيني على الصمود وما يثبته في موقعه وهو لا يرى الأمان المضمون في أي مكان كما يرى البؤس الذي لحق بالنازحين.

وها هنا فرصة لنجتر الماضي ونسأل: هل كان هذا الذي نفكر فيه ممكناً في زمن ضعف الدولة العثمانية؟

إن منطق العظمة هو الذي يسير الدول العظمى، الدولة العثمانية ظلت في خانة الدول العظمى حتى النهاية، ومنطق العظمة الذي كان يحكم ساستها يرفض أن يكون العظيم مهزوماً أو تابعاً، ولهذا رفضت الدولة



العثمانية مجرد تسهيل اختلاق مشكلة أقلية جديدة تتيح للدول الكبرى التدخل في شئونها الداخلية بهجرة اليهود إلى فلسطين، لقد كان وجود اليهود فيها استمراراً لتاريخ التسامح الإسلامي العام الذي حمى واستقبل الكثير من اللاجئين المضطهدين في روسيا وأوروبا حتى آخر زمن الدولة العثمانية، وهذا ما لم يميزه بعض الباحثين فجعلوا من استقبال اللاجئين اليهود من الاضطهاد الروسي تسهيلاً للصهيونية، رغم أن الصهيونية لم تكن قد تأسست بعد، استقبال اللاجئين تحت سيادة الدولة ليس فيه أي تنازل، وإلا لأصبحت الكثير من دول العالم والمهجر دولاً تخون أنفسها، والغريب أن من يهاجمون التاريخ العثماني في هذه النقطة هم أنفسهم يهاجمون تاريخ الإسلام ويتهمونه باضطهاد الأقليات، فلم نفهم منهم في المحصلة هل اضطهد المسلمون الأقليات أو سهلوا لها اضطهاد المسلمين أنفسهم؟

المهم لما شعرت الدولة العثمانية ببوادر خروج الهجرات اليهودية عن وضع اللجوء وأنها مقدمة لاختلاق أزمة أقلية جديدة تفتح الباب للتدخل الأجنبي الذي كان يتخذ من حماية الأقليات ستاراً لتحقيق مصالح الدول الكبرى، بادرت لمنع هذه الهجرات، وتصاعدت الإجراءات مع زيادة وضوح الخطر، مع وجوب الالتفات إلى أن معركة العثمانيين كانت ضد التدخل الأجنبي ولم يخطر ببالهم أي تنازل عن السيادة لكيان صهيوني مستقل، جميع السجالات واختلاف الآراء بين المسئولين العثمانيين كانت تدور حول مكانة الأقلية في الدولة، هل هي مفيدة أو خطرة، ولم يقبل مسئول عثماني واحد بتنازل عن السيادة.

ولهذا كانت معركة العثمانيين في ظل سيادتهم مختلفة عن معركتنا اليوم، دولة الاستقلال الوهمي والتجزئة المجهرية هي التي سهلت امتلاك الصهاينة لفلسطين. عندما حاربت الدولة العثمانية وجاءت بالسيادة البريطانية التي لم تكن تخفي نواياها الصهيونية، ثم أجمعت الأنظمة العربية على التنازل للكيان الصهيوني عن ٧٨% من فلسطين، هذا هو التسهيل وهذا هو التنازل، وليس النقاشات والسياسات التي تعاملت مع أقلية من اللاجئين في ظل سيادة دولة عظمى، مثل كثير من سياسات أي دولة في العالم، تفتح باب اللجوء أو تضيقه أو تغلقه حسب مصالحها، فالدولة العثمانية رفضت التنازل عن فلسطين لسيادة أخرى.



وقد بينت في دراسة سابقة أن هرتزل توفي وهو يستجدي زعماء العالم التدخل لدى السلطان عبد الحميد لمجرد إعادة فتح باب التفاوض على هجرة لاجئين إلى فلسطين مع الإقرار والاعتراف بالسيادة العثمانية ومنحها مزايا مالية وسياسية مهمة مقابل ذلك، ولكن دون جدوى، فقد أغلق السلطان باب الحوار بعدما استنفد هرتزل دوره بصفته مُمولاً محتملاً بديلاً للممولين الفرنسيين، ولهذا طالت مدة المفاوضات، لا كما يظن مبتدئو الباحثين بسذاجة دونكيخوتية عن نوايا شريرة لدى السلطان، بدليل أن هذه النوايا الشريرة لم تحقق على يد السلطان وانتظرت أنظمتهم العتيدة لكي تحققها بالتعاون مع الاستعمار، لأن السلطان كان يمقت التدخل الأجنبي لحماية الأقليات، وهو ما يفضي إلى الاستقلال الذاتي وهو المصيبة الكبرى في نظره، أما التنازل عن السيادة فلم يكن في حساب أحد من الموافقين أو الرافضين لهجرة اليهود، هذا ما كان في زمن الضعف العثماني.

ولكن ماذا لو احتُلت فلسطين كما احتلت بلاد أخرى مثل شمال إفريقيا ومصر، ماذا كان سيحدث؟

نستطيع الإجابة على ذلك من السياسات العثمانية تجاه البلاد المحتلة:

وأول ما نرى من ذلك أن الدولة العثمانية لم تعترف أبداً بالتنازل عن أراضيها لأي دولة أوروبية، وظلت خرائطها الأخيرة تضم نفس البلاد التي ضمتها خرائطها القديمة، فلا الجزائر ولا تونس ولا مصر أزيلت من الأملاك العثمانية الرسمية، ويمكننا التعرف على أهمية عدم التنازل من إصرار القوى الأوروبية على انتزاع هذا التنازل من تركيا الكمالية في معاهدة لوزان ١٩٢٣، فالجوهر القانوني للاحتلال الأوروبي



للبلاد العربية لم يكن هامشياً، يمكن ليس خوفاً من مطالبات الضحايا، بل لضرورات التعاملات الأوروبية فيما بينها، ومن الخوف من إثارة قوى أوروبية مسألة الشرعية في تنافساتها فيما بينها، ويمكننا تشبيه ذلك بإصرار الصهاينة وسادتهم الغربيين على الحصول على التنازل الفلسطيني عن فلسطين رغم وقوع الاحتلال بالقوة منذ ثلاثة أرباع القرن، وإقرار الأمم المتحدة بحق الكيان الصهيوني، ومزاعم بيع الفلسطينيين لأراضيهم، كل هذا لم يغنِ عن السعي المحموم للحصول على التوقيع الفلسطيني النهائي.

هذه كانت أهمية عدم تنازل العثمانيين عن أملاكهم، فلما وقع احتلال مصر مثلاً، وقفت الدولة إلى جانب المقاومة المصرية الممثلة في الحزب الوطني، ودعم السلطان عبد الحميد الزعيم مصطفى كامل باشا بشدة أثارت استغراب الباشا نفسه أحياناً، فالدولة العثمانية لم تترك المقاومة لمصيرها، وفتحت أبوابها للاجئين من الاحتلال الأجنبي الروسي في القوقاز، والأوروبي في البلقان، لم تحاصر اللاجئين ولم تغلق أبوابها في وجوههم ولم تتركهم نهباً يتخطفهم عقبان وذئاب أوروبا، قدمت ما يمكنها في تلك الظروف الصعبة.

فلما اندلعت الحرب الكبرى الأولى كان من أسباب دخول الدولة العثمانية فيها محاولة استعادة ما فقدته من بلاد عربية، وسيرت الحملات لاستعادة مصر، ولكنها لم تتمكن من ذلك وهُزمت بسبب الدعم الكبير الذي قدمته القيادات السياسية العربية العميلة للحلفاء، وهي التي مهدت لاحتلال بلادنا وتسليمها للأجانب وتقسيمها إلى دويلات متناحرة كما أراد لورنس ورؤساؤه، وحاربت إخوتها في سبيل رضا الأجانب، وهو نفس ما يحدث اليوم، فلما وصل الخطر إلى فلسطين حارب العثمانيون بشراسة للحفاظ على سيادتهم عليها، وقدموا ٢٥ ألف شهيد في هذا السبيل.



ولهذا أقول دائماً إن الوحدة في أضعف حالاتها أفضل من التجزئة في أبهى صورها، الدولة العثمانية لم تسمح بوصول الأمر إلى هذا الحال، ولم يصل بنا الحال إلى هذا إلا بعد زوالها.

ولهذا عد الدكتور وليد الخالدي زوال السيادة العثمانية هو الزلزال الأول الذي تعرضت له بلادنا في القرن العشرين، وساواه

بزلزال النكبة وزلزال النكسة، ثم يأتيك أحد مروجي الأنظمة العربية التي تنازلت عن كل فلسطين بجرة قلم ليقول إن العثمانيين هم الذين «سهلوا» المشروع الصهيوني ويحملهم المسئولية «الكاملة» دون اعتبار لحقائق التاريخ التي تدين أسياده وأسيادهم الأوروبيين عموماً والبريطانيين خصوصاً.

إن استحضار التاريخ ضرورة لنفهم مسار أمتنا، فنرى حقيقة نكبتنا ومسار مستقبلنا..



ولم يكن طوفان الأقصى أول الطوافين في التاريخ الإسلامي، لقد شهدت بلاد المسلمين الكثير من المآسي المشابهة بل الأكبر مما يحدث اليوم في فلسطين، ويمكن نتذكر هنا طوفان الخوارزميين ودوره في حطين الثانية، كما سبق القول، وطوفان ملاذكرد الذي أثار الحروب الصليبية، وحروب بايزيد الصاعقة التي انتهت بزوال الدولة العثمانية عقداً من الزمان ثم بعثها أقوى مما كانت، ويكفي أن نذكر الأندلس والبلقان والقوقاز بصفاتها أماكن احتلال وإبادة واستيطان، وقد قاوم الأندلسيون بلا هوادة وفي أثناء الانهيار وقع طوفانان كاسحان هما: الزلاقة والأرك، وبعد الانهيار لم يستسلم الأندلسيون وصاروا طليعة للعثمانيين في جهادهم ضد الإسبان والبرتغاليين وعملائهم، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا فيها الكثير من السيول التي قاومت الغزاة لاسيما بمساعدة الأساطيل العثمانية، وشهد البلقان والقوقاز مقاومة شديدة للزحف والاحتلال وكانت القوى المعادية كبيرة وضخمة ونجحت في تهجير وقتل الملايين من المسلمين، فما نشاهده اليوم له سوابق من العدوان والمقاومة في تاريخ المسلمين وتواريخ غيرهم لاسيما الذين واجهوا الاستيطان الأوروبي.

وقد نجح المسلمون في البقاء في ليبيا والجزائر ونجحوا جزئياً في البلقان والقوقاز، وفقدوا الأندلس، ولكنهم بذلوا كل ما في وسعهم، ولم يدخروا جهداً، منهم من انتصر، ومنهم من استشهد، وما بالموت من عار على الفتى إذا ما نوى حقاً وجاهد مسلماً، ومنهم من هُزم.



ولهذا كان بعض ذوي البصيرة ممن هُزموا في الجولات العسكرية يرون هزيمة أعدائهم وشيكة وأن الظلم سيحيق بأهله في يوم قريب:

فقل للشامتين بنا أفيقوا •• سيلقى الشامتون كما لقينا

وهو نفس ما رآه حكماء الهنود الحمر من مصير سيلقاه الرجل الأبيض بجشعه وطمعه رغم القوة القاهرة التي كان يمتلكها وسحقت السكان الأصليين في طريقه: «عندما تقطع الشجرة الأخيرة، ويسمم النهر الأخير، وتصطاد السمكة الأخيرة، ستدرك أن المال لا يؤكل»، ولهذا قال الشاعر البرتغالي خوليو روبرتو على لسان زعيم الهنود الحمر في رسالته إلى الرجل الأبيض يصور حاله بعد فراغه من الإبادة: «ستحس الروح بالوحشة والصمت المرير، ويعود القلب مقهوراً إلى صمت القبور، فالذي أفنى سيفنى، هكذا تحكي الدهور».

نظرة إلى المستقبل

إنني ببصر المؤرخ، أتذكر أنني في سن المدرسة بين منتصف السبعينيات ومنتصف الثمانينيات كنت أُعد قمة بين زملائي بسبب اهتماماتي الثقافية والسياسية، لم يكن جيلي منغمساً في القراءة وكانت عنده

مسلمات سياسية بلا تفكير فيها، ولكنني عندما أنظر إلى جيل اليوم في نفس العمر الذي كنت فيه، أرى أنني لو وجدت بينهم اليوم بنفس صيغتي في زمني، فإنني سأكون شخصاً عادياً جداً بلا أي تميز، وسيكون حولي الكثيرون من المتميزين الذين يحجبون ما كنت فيه من تميز في سن دراستي.

إن جيل اليوم رغم جهود الإعلام الهابط الكثيفة ووسائل التسطيح والزيف يتطلع إلى مثل عليا أكثر مما تطلع إليه جيلي، أراهم يقرءون كتاباتي ثم يشقون بها طرقاً لم تخطر على بالي، ويضيفون إليها أسلحة تشعرني بالصغار أمامهم، وهذا الانفتاح واليقظة قدحه طوفان الأقصى في كل العالم وليس في أمتنا المقهورة وحدها، ولهذا أتمنى أن تصل الشعوب فعلاً إلى حكم أنفسها وأن تدرك معاني أسمى كثيراً من معاني اللذات والنزوات المادية التي أشغلوها بها، هذا عن الناس العاديين وأصدقائي المحيطين.

أما عن ليوث المقاومة في كل مكان فليس مثلي من القاعدين من يجرؤ على إصدار النصائح الفارغة لهم، هؤلاء حاربوا الباطل في جرأة لا نملك نزراً يسيراً منها، وحطموا أصناماً كانت تجثم على أنفاس المظلومين، ونحن نتعلم منهم ولا نعلمهم، لقد درسوا وخططوا ونفذوا أفضل من كل المنظّرين خلف المكاتب والأكاديميين في المكتبات، نريد منهم أن يقودونا هم لا أن نقودهم نحن، أعمالهم هي التي يجب أن تدرّس في المدارس والكليات لا هم الذين يجب أن يَدرسوا فيها، هذا هو معنى الحكم الذاتي وليس العبث بالحياة لشباب تافه بلا هدف كما يريد التغريب في نسخه العملية الأخيرة كما نراها بوضوح لا كما كنا نصفهم في النظريات.

بين الطوفان القائم والطوفان القادم

خارطة طريق شخصية



د. سميح عبد الرحمن
مدير أكاديمية أنصار النبي ﷺ

في السابع من أكتوبر ٢٠٢٣ أطلقت المقاومة الفلسطينية معركة «طوفان الأقصى»، ونجحت المقاومة في الساعات الأولى من هذه المعركة في اجتياز كافة تحصينات العدو والدخول إلى مستوطنات غلاف غزة، وإلى المواقع العسكرية لفرقة غزة، ليقضوا على أغلب المقدرات البشرية والمادية للفرقة، والعودة بمئات الأسرى إلى قطاع غزة، في عملية عسكرية أذهلت العالم بأسره.



أعلن جيش العدو على إثر ذلك إطلاق معركة «السيوف الحديدية» لاجتياح قطاع غزة بهدف القضاء الكامل على المقاومة، وتباينت التوقعات حول قدرة المقاومة على الصمود، والمدى الزمني الذي يمكن أن تصمد فيه بإمكاناتها المحدودة مقارنة بإمكانات الترسانة العسكرية الإسرائيلية المدعومة أمريكيًا دعمًا غير مشروط ولا محدود، لكن الآن وبعد مضي أكثر من مئةِ يومٍ -لحظة كتابة هذه السطور- فقد نجحت المقاومة في الصمود أمام آلة القتل والتدمير غير المسبوقة للعدو، بل واستطاعت أن توقع في صفوفه خسائر غير متوقعة ليضطر الجيش على إثرها إلى سحب لواء (جولاني) من المعركة والذي يعد نخبة الجيش الإسرائيلي، إضافة إلى سحب عدد من الكتائب المظلية، في نفس الوقت لم يستطع العدو أن يصل إلى قادة المقاومة، أو يوجّه لها ضربة قاصمة تحد من قدرتها على الاستمرار.



والسؤال الذي يتبادر إلى الذهن أمام هذا الواقع هو:

كيف استطاعت المقاومة أن تفعل ذلك؟

والجواب المباشر والمختصر على هذا السؤال هو: الإعداد.

وأعني بالإعداد في هذا السياق مسارين من الإعداد:

- **الأول:** هو مسار الإعداد الأساسي الذي سلكته المقاومة في غزة على مدار عقدين من الزمان، من تراكم الخبرات، وحفر الأنفاق، والتدريب بشتى صوره، والتصنيع العسكري، والتربية الإيمانية للأفراد والحاضنة الشعبية، وأضراب ذلك مما يندرج تحت هذا المسار.

● **والثاني:** هو مسار الإعداد الخاص لهذه المعركة، والمتعلق بوضع أهدافها، وخطتها التفصيلية، والبدء في التنفيذ المتدرج لهذه الخطة وفق رؤية زمنية محددة، وامتلاك الأدوات اللازمة لتنفيذها، وتوظيف الخبرات والمعارف المتراكمة، وتدريب الجنود وتأهيلهم للقيام بالمهام اللازمة، إضافة إلى خطة الخداع الاستراتيجي والتي حققوا من خلالها عامل المفاجأة للعدو وللعالم، إلى غير ذلك من لوازم الإعداد لهذه المعركة (وقد فصلتُ في ذلك في مقال في عدد نوفمبر من مجلة أنصار النبي تحت عنوان: كيف نجحت المقاومة في تحقيق عنصر المفاجأة في معركة طوفان الأقصى).



إذن فكلمة السر في النجاح الذي حققته المقاومة في هذه المعركة هو التزامها بأمر الله عز وجل «"وَأَعِدُّواْ"»، محفوفة في ذلك، وقبله وبعده، بتوفيق الله وحفظ الله ورعاية الله وتأييد الله.

على الجانب الآخر

فقد عجزت الأمة في مجموعها، وكذلك عجزت الجماعات والتنظيمات الإسلامية، فضلاً عن عموم الأفراد، في الدخول في هذه المعركة والاشتباك مع العدو بأفعال نوعية من شأنها أن تُحدث فارقاً في مسار المعركة ونتائجها، فغاية ما رأيناه هو الحراك في الشوارع بالمظاهرات والمسيرات تنديداً بالعدوان، ودعماً لصمود غزة، إلى جانب الإسناد المادي بجمع الأموال وإرسالها إلى غزة، وهو جهدٌ مطلوب ومشكور بلا شك، لكنه -كما نرى- لا يؤثر في سياق المعركة، ولا يغير من نتائجها، وهو أقل بكثير مما يجب على الأمة، ومما يمكن للأمة أن تقدمه، وربما الاشتباك النوعي الوحيد الذي حدث حتى الآن هو مناوشات جماعة

الحوثي في اليمن لحركة الملاحة في البحر الأحمر وباب المندب، باستهداف سفن الكيان أو السفن التجارية التي تحمل بضائع إلى الكيان، وهو مسار يمكن أن يحدث فارقاً لو تطور وتوسع وبُني عليه.

نعود مرة ثانية إلى نفس السؤال الذي يتبادر إلى الذهن أمام هذا الواقع: لماذا فشلت الأمة في القيام بدورها في نصرة غزة وإسناد مقاومتها والاشتباك الكامل في المعركة؟ والجواب المختصر والمباشر على هذا السؤال هو نفس ما أجبنا به على السؤال السابق ألا وهو: الإعداد! لقد التزمت المقاومة أمر الله عز وجل «وَأَعِدُّواْ»، ونجحت في معركة الإعداد، وبذلت فيها جهدها، وقدمت فيها غاية وسعها، فكان من أثر ذلك -مع توفيق الله عز وجل- ما يذهل العالم بأسره في هذه المعركة.

في حين تنكبت الأمة طريق الإعداد، وفرطت جماعاتها العاملة في هذه الفريضة، وغفل عنها عموم الأفراد، فكان من أثر ذلك ما وقعنا فيه جميعاً اليوم من خذلان غزة، وعجز عن تقديم يد العون بفعل حقيقي يؤثر في معادلة الصراع القائم.



إنني لا أشك أن المقاومة كانت تنتظر من الأمة أكثر بكثير مما قدمت، وكانت تعوِّل عليها في تدخلات حاسمة تضع حداً لعربدة الكيان الغاشم، وهذا ما سمعناه في خطاب قائد الكتائب (أبي خالد الضيف) صبيحة يوم السابع من أكتوبر وهو يستنفر الأمة جميعها للانخراط في هذا الطوفان الهادر، ليكون بحقٍ طوفاناً كطوفان نوح عليه السلام، لا يبقي من الكيان ولا يذر، ولكن أنَّى لذلك أن يحدث والأمة بعيدة كل البعد عن امتلاك أدوات الفعل والتأثير، وسنن الله لا تحابي أحداً.

لو كانت الأمة سلكت سبيل الإعداد فتحررت في إحدى دول الطوق، وامتلكت قرارها وخيارها، كيف سيكون الحال؟ وقد رأينا تحرراً جزئياً مؤقتاً لمصر في معركة (حجارة السجيل) سنة ٢٠١٢، وأثر ذلك في المعركة، ماذا لو تمكنت إحدى تنظيمات الأمة التي تنتمي لمشروع الأمة انتماءً حقيقياً من امتلاك أدوات الفعل والتأثير -كما هو الحال مع حزب الله في لبنان أو جماعة الحوثي في اليمن- ما الذي كان بالإمكان فعله في الجولة الحالية؟ ماذا لو خرج في أقطار الأمة المختلفة (عياش أو برغوثي أو زواري أو سلجوق) جديد، عرف ما عليه وأعد له، ما الذي كان يمكن أن نراه في لحظة تاريخية فارقة كالتي تعيشها الأمة الآن؟

إن خذلان المسلمين لغزة اليوم هو بمثابة التولي يوم الزحف، فالله عز وجل يقول: ﴿وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ﴾ [الأنفال: ٧٢]، ويقول جل ذكره: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ إِلَّا تَفۡعَلُوهُ تَكُن فِتۡنَةٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَفَسَادٞ كَبِيرٞ﴾ [الأنفال: ٧٣]. وقد رأينا كيف تولى الذين كفروا دولةَ الكيان فدعموهم بالمال والسلاح والعتاد والجنود، فضلاً عن الدعم السياسي والدبلوماسي والإعلامي، فأين ولاية المسلمين لأهل غزة؟ ونحن أولى بهذه النصرة لأنها فرض الله علينا، ودونها الفتنة والفساد الكبير، والواقع ينطق بذلك!



سبيل النصرة

إن سبيل التكفير عن هذا الخذلان العريض لأهل غزة ومقاومتها، وعدم الاشتباك الحقيقي في المعركة القائمة هو بالإعداد للمعركة القادمة! إن معركة الأمة مع هذا الكيان المحتل وحلفائه معركة طويلة، متعددة الجولات، وما طوفان الأقصى إلا جولة من هذه الجولات، وآخر

جولات هذه المعركة هو ما جاء في الحديث الصحيح الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر والشجر: يا مسلم هذا يهودي خلفي، تعال فاقتله، إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود»[1].



ولا سبيل إلى الالتحام الفعال المؤثر في هذه المعركة إلا من خلال الإعداد الجيد لها، فإن فاتنا ذلك في طوفان الأقصى، فلا يفوتنا في الطوفان القادم، والله عز وجل يقول: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ﴾ [التوبة: ٤٦]، فمن صدق في إرادة الخروج للمعركة، فيجب عليه أن يُعِدَّ لذلك عدته، ومن تنكب طريق الإعداد فأنَّى له بطريق القتال؟ ومن تولى فيُخاف عليه أن يكون ممن كره الله انبعاثهم فثبطهم وكتب عليهم القعود مع القاعدين.

إن صدق التحرق والتشوق للانخراط في مواجهة العدو، والتألم على فوات ذلك في المعركة القائمة، يستوجب صدق الإعداد للجولة القادمة، وانظر إلى موقف أنس بن النضر الذي رواه البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «غَابَ عَمِّي أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ عن قِتَالِ بَدْرٍ، فَقالَ: «يا رَسولَ اللَّهِ، غِبْتُ عن أَوَّلِ قِتَالٍ قَاتَلْتَ المُشْرِكِينَ، لَئِنِ اللَّهُ أَشْهَدَنِي قِتَالَ المُشْرِكِينَ لَيَرَيَنَّ اللَّهُ ما أَصْنَعُ»! فَلَمَّا كانَ يَوْمُ أُحُدٍ وانْكَشَفَ المُسْلِمُونَ، قالَ: «اللَّهُمَّ إنِّي أَعْتَذِرُ إلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلَاءِ -يَعْنِي أَصْحَابَهُ- وأَبْرَأُ إلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلَاءِ -يَعْنِي المُشْرِكِينَ-» ثُمَّ تَقَدَّمَ، فَاسْتَقْبَلَهُ سَعْدُ بنُ مُعَاذٍ، فَقَالَ:

---

١ رواه مسلم.

«يا سَعْدُ بنَ مُعَاذٍ، الجَنَّةَ وربِّ النَّضْرِ، إنِّي أَجِدُ رِيحَهَا مِن دُونِ أُحُدٍ»، قال سَعْدٌ: «فَمَا اسْتَطَعْتُ يا رَسولَ اللَّهِ ما صَنَعَ»، قال أَنَسٌ: «فَوَجَدْنَا به بِضْعًا وثَمَانِينَ ضَرْبَةً بالسَّيْفِ، أَوْ طَعْنَةً برُمْحٍ، أَوْ رَمْيَةً بسَهْمٍ، ووَجَدْنَاهُ قدْ قُتِلَ وقدْ مَثَّلَ به المُشْرِكُونَ، فَمَا عَرَفَهُ أَحَدٌ إلَّا أُخْتُهُ بِبَنَانِهِ»، قال أَنَسٌ: «كُنَّا نُرَى -أَوْ نَظُنُّ- أنَّ هذِه الآيَةَ نَزَلَتْ فيه وفي أَشْبَاهِهِ: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣]». الحديث.

لم تفت الفرصة بعد

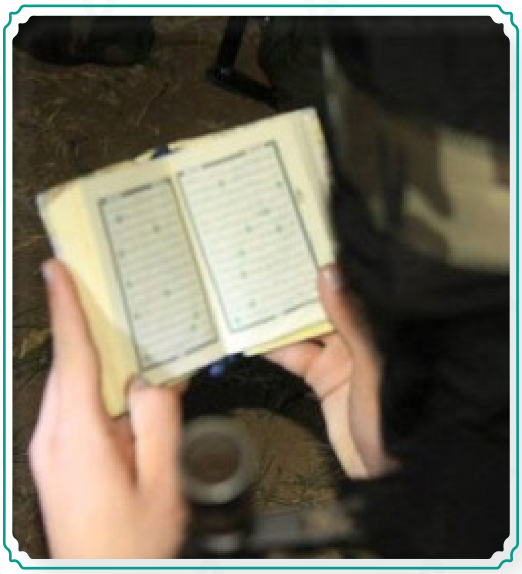
إن الإجابة على السؤال المتكرر اليوم من عموم أفراد الأمة: كيف أنصر غزة في المعركة القائمة؟ هي: أن تنصرها بالإعداد للمعركة القادمة، وملامح هذا الإعداد يمكن الإشارة إليها اختصاراً في النقاط التالية:



التوبة

أول ملامح هذا الإعداد هو التوبة؛ التوبة من التأخر والتقصير في الإعداد حتى اليوم، التوبة من خذلان أهلنا وإخواننا في غزة، التوبة من الذنوب التي تُقعدنا عن اللحاق بركب السابقين، وتُثقل كاهلنا بأحمال الإخلاد إلى الأرض، التوبة من إضاعة الأوقات والأعمار في الفراغ وتوافه الأمور، التوبة من الانشغال بالدنيا عن الآخرة، وبالسفاسف عن المعالي، وباللغو عن العمل، التوبة من كل ذنب؛ صغر أو كبر، عظم أو حقر، توبة نصوحاً، نندم فيها على ما فات، ونعقد العزم على عدم العودة إليه فيما هو آت، ونسأل الله الصدق والعون والتيسير والقبول.

الاستقامة على الأوامر



الجهاد هو ذروة سنام الإسلام، وفيه من الشدة والبلاء ما لا يقدر عليه إلا من أخذ بأسباب ذلك، ومنها التسلح بالاستقامة على أوامر الله جل وعلا، من المحافظة على صلاة الجماعة، والمثابرة على الأذكار والأوراد، والصبر على قيام الليل وصيام النهار، والارتباط بالقرآن، والتحلي بالمروءة والرجولة ومكارم الأخلاق، والاجتهاد في ذلك أيما اجتهاد، والصبر عليه، والمثابرة في سبيله، والحرص على ذلك مرة بعد مرة، ومكابدة مشقة ذلك، حتى يصير هذا هو الأصل في حال كلٍ واحد منا، وغير ذلك عارض يزول سريعاً بالتذكر والاستعانة بالله القوي العزيز، إن هذه الاستقامة على مراضي الله ومحابه هي ما ينشأ عنها الإيمان في القلب، هذا الإيمان اللازم لحمل هم الدين، والعمل له، والتضحية في سبيله، وهذا مصداق قول الله عز وجل لنبيه ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ * قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا * نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا * أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا * إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا * إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا * إِنَّ لَكَ فِى ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا * وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ [المزمل: ١-٨].

الصبر عن المعاصي

إن ما عند الله عز وجل من الفضل والخير لا يُطلب بمعصيته سبحانه، وفي حديث ثَوْبَانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيُحْرَمُ الرِّزْقَ بِالذَّنْبِ يُصِيبُهُ».

وإن من الرزق والخير والفضل الذي يمكن أن يُحرمه العبد بسبب المعصية هو عدم التوفيق للجهاد والبذل والعمل لدين الله عز وجل، لذلك كان من تمام الإعداد مجاهدة النفس على ترك الذنوب

والمعاصي، والأخذ بكافة الأسباب المعينة على ذلك، فالذنوب جراحٌ في القلوب، ورب جرح كان قاتلاً، واجتماع الجراح على الجراح تترك القلب نازفاً على شفا هلكة، لذا كان لابد من التوبة النصوح كما أسلفنا، ثم المرابطة على حبس النفس عن المعاصي، والاستعانة على ذلك بالله، وبالأسباب المعينة على ذلك، مع تجديد التوبة والاستغفار مع كل ضعف أو زلة، والله سبحانه حليم رحيم تواب غفور.

التخطيط والمثابرة



إن سبيل الإعداد لا يستقيم ولا يصل بصاحبه، مع الفوضى والعشوائية وقصر النفس وضعف الهمة وضياع الأوقات، فلابد لمن أراد أن يدخل المعركة ويُحدث فارقاً فيها أن يكون على قدر المعركة ورجالها، فلابد من وضع أهداف محددة واضحة، وخطط لتحقيق هذه الأهداف، والمثابرة على طريق تنفيذ هذه الخطط، مع المراجعة والتقييم والتقويم المستمر، ثم المحاسبة الجادة والتعلم من الأخطاء، وتأمل قول الله عز وجل: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥].

وفي الحديث أن رسول الله ﷺ كان يقول: «اللهمَّ إنِّي أعوذُ بك من العجزِ والكسلِ»، وجاء في الأثر عن عمر رضي الله عنه قال: «إني لأكره أن أرى الرجل سبهللا»، يعني يعيش في عشوائية بلا أهداف يحققها وأعمال ينجزها، وهكذا تجد كل من ترك أثراً أو أحدث فارقاً في تاريخ هذه الأمة، أنه كان صاحب همة عالية، ونفس وثابة، وقلب طموح، جادٌّ مجد، صبور مثابر، لا يعرف الكلل والملل والكسل، بل تعرفه المعالي والقمم، ويكفي أن تقرأ سيرة (الياسين) الذي يصنع تلاميذه وأبناؤه المجد



اليوم على ثرى فلسطين، ليتضح لك الطريق، ويستنير لك الدرب، والعون من الله، والحول والقوة كلها به سبحانه، فنه المدد، وعليه التكلان.

البناء المعرفي

إن من أبرز ملامح طريق الإعداد هو البناء المعرفي على اختلاف فروعه، فإن من أصول معركتنا مع عدونا هو الوعي والمعرفة والإدراك، وهذا ما يتطلب خطة بناء معرفي، تقف بك على ما تحتاجه من العلوم الشرعية، وما يلزمك معرفته من تاريخ الأمة، وقواعد الحرب، ووسائل الصراع، وتتعرف من خلالها على تجارب الأمم في المقاومة والتحرر، وتبني ثقافة عسكرية وأمنية، وترفع الجهل عن نفسك بقواعد السياسة، وأدوات الإعلام، وأهمية الاقتصاد، ودور الجغرافيا، ونحو ذلك من فروع البناء المعرفي الذي يحتاجه من نذر نفسه لله، وقرر خوض غمار المعركة بكافة أسلحتها اللازمة، لإحداث أكبر نفع للأمة، وتحقيق أكبر نكاية في العدو، والله هو المقصد، وهو يهدي السبيل.

اختر ثغرك

إن الله عز وجل خلق عباده متفاوتين في القدرات والمواهب وفيما يحسنونه، واعلم أن الأمة في حاجة إلى كل محسن ومجيد في كل باب من الأبواب، فانظر ما الذي تحسنه وتجيده، أو يمكن أن تحسنه وتجيده، فهذا ثغرك فالزمه، وقِف عليه، واجتهد في بلوغ أقصى معرفة وإجادة له، وليكن في قلبك وبين عينيك على الدوام أنك تفعل ذلك ديناً وتعبداً وإعداداً وجهاداً، ولا تستصغر ثغراً أو تستحقر باباً يمكنك أن تسده وتقف عليه.



وانظر إلى (محمد الزواري التونسي) -وإذا لم تكن تعرفه فيجب عليك أن تعرفه-، فهو نموذج للمسلم الذي اختار ثغره، وعرف طريقه، فسار فيه جاداً مثابراً، فصنع الله على يديه الطائرات المسيرة، والطوربيدات البحرية المسيرة، ليحدث فارقاً في قدرات المقاومة المحاصَرة، في صراعها مع العدو المدجج بكل حديث من السلاح، ثم يكتب الله له الشهادة -نحسبه- بعد أن أدى ما عليه لدينه وأمته، والزواري، ومجال الهندسة الذي برع فيه هو مجرد نموذج للتمثيل، فاصنع نموذجك الخاص، وجد ثغرك المناسب، واعلم أن الأمة في حاجة إليه، ومن يصدق الله يصدقه.

المؤمن القوي

معلوم أن مصطلح القوة واسع ومتشعب، وتدخل فيه أنماط متعددة من القوة، لكنني أدرج تحت هذا العنوان نمطاً واحداً مقصوداً هو القوة البدنية، فينبغي لمن سلك سبيل الإعداد، أن يهتم لجانب القوة البدنية، فيحرص على أن يكون له ورد يومي من الرياضة، يحافظ بها على نشاطه العقلي، وقوته الجسدية، ولياقته البدنية، ويحسن به أن يكون ذلك منتظماً، ويرجع فيه إلى النصائح التي يقدمها المختصون على الإنترنت، إلى جانب ذلك عليه الابتعاد عن الأطعمة المضرة مثل السكر بكل أشكاله، والمشروبات الغازية، والوجبات السريعة، ونحوها مما يسهل الامتناع عنه، ويجتهد في ذلك ما استطاع، محتسباً ذلك، مذكراً نفسه دائماً بنبل ما يطلب، وأن هذا من أهون ما قد يُبذل، وهو كذلك من الاستعداد للعيش في الظروف الصعبة، كما نراه اليوم واقعاً في غزة، والله المستعان.

أخيراً

فإن الإعداد من جنس الجهاد وله حُكمه، فالله عز وجل الذي كتب علينا القتال، فقال: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ﴾ [البقرة: ٢١٦]، هو سبحانه الذي فرض علينا الإعداد، فقال: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ﴾ [الأنفال: ٦٠].

فمن مات أثناء الإعداد وهو قائم عليه منشغل به نحسبه شهيداً، ومن أعرض عنه وفرّط فيه وتنكب طريقه فنخاف عليه من حديث رسول الله ﷺ: «مَن ماتَ ولَمْ يَغْزُ، ولَمْ يُحَدِّثْ به نَفْسَهُ، ماتَ علَى شُعْبَةٍ مِن نِفاقٍ».

إن حياتنا -نحن من خذلنا غزة- بعد طوفان الأقصى يجب أن تختلف عما كانت عليه قبلها، فلا صلوات نتهاون فيها، ولا أوراد نغفل عنها، ولا ذنوب نصر عليها، لا مجال لمزيد من الكسل والعجز، ولا مزيد وقت يضيع في توافه الأمور ولغو الحديث، لا مكان لحياة دون أهداف وخطط وتنفيذ وإنجاز، لابد أن نخرج عن مألوف حياتنا إلى نمط حياة جديدة شعارها الجدية والالتزام والجندية والمثابرة والإنجاز والإخلاص.

فإن سأل سائل: ماذا بعد الإعداد، وأين السبيل إلى المعركة والميدان في ظل هذه الأسوار والحدود؟

والجواب على ذلك: أننا نوقن أن الله سيفتح الطريق للصادقين، بأيديهم أو بأمر من عنده، فكما فتح الله بأيدي رجال المقاومة الجدار العازل، وكما يسر الطريق (للزواري) وأمثاله، فيوشك أن تُفتح السبل للصادقين الباذلين السائرين على طريق الإعداد والبناء، فالحقْ بالركب لا يفوتنّك الخير، واعلم أنه على قدر الإعداد يكون الإمداد، واحذر من: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم﴾ [محمد: ٣٨]، وتذكر دائما قول ربك لنبيه ﷺ: ﴿فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأۡسٗا وَأَشَدُّ تَنكِيلٗا﴾ [سُورَةُ النِّسَاءِ: ٨٤].



دور الإعداد في النصر والتمكين



د. أنس عيروط

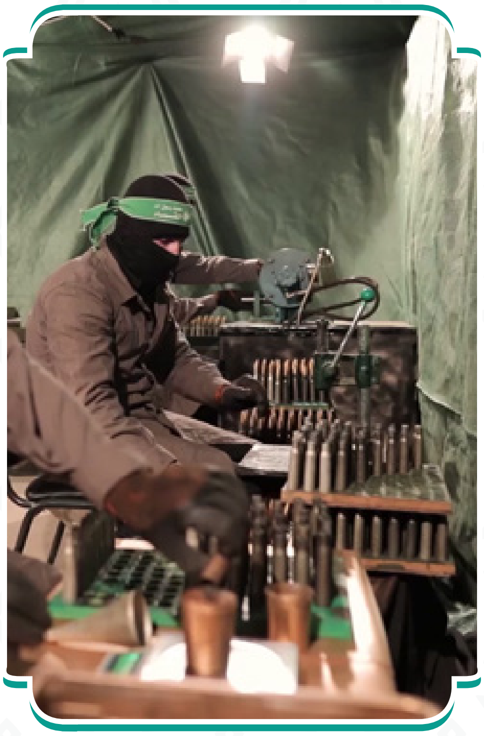
عضو مجلس أمناء الهيئة العالمية لأنصار النبي ﷺ

بسم الله الرحمن الرحيم..

قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٦٠].

الإعداد هو من قبيل الأخذ بالأسباب، وهو معنى التوكل، فلا يُرجى النجاح إلا لمن درس واجتهد، ولا يُسأل القبول إلا لمن عمل وأطاع الله سبحانه وتعالى، ولا الفوز إلا لمن تعب وتهيأ وتدرب، ولا يُرجى النصر إلا لمن استعد بقلبه وقالبه، بعقله وبدنه، وأعد العدة من قوة وتطوير.

فالإعداد هو واجب قبل كل عمل مهم، لأنه ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، فردّ العدوان، وصد البغاة، وحماية الدين والنفس والعِرض والمال واجب، ولا يتم هذا الواجب إلا بالإعداد والتقوّي والتهيؤ اللازم واللائق، فلا تحقق النتائج الكبيرة، ولا يُتوصل إلى الغايات النبيلة إلا بالإعداد، وبقدر ما تعدّ وتستعدّ بقدر ما تصل إلى ما ترنو إليه.



والخوض في غمار الحروب والمعارك دون عدة أو استعداد هو من قبيل الإلقاء بالتهلكة، فكما أن الإعداد واجب يؤجر فاعله، فتركه أو التهاون به إثم، وقد يتحمل صاحبه وزر الآخرين.

وإذا أردت أن تعرف قدر الإعداد وخطر تركه، انظر إلى آثاره، فبه تحفظ بيضة المسلمين، وتُصان الأعراض والمقدسات، وتُحقن الدماء. وبتركه يُتعدى على الدين وتُهدر الدماء وتُدنس الأعراض وتضيع الأموال.

والإعداد هو الاجتهاد في تحصيل القوة بمختلف أنواعها، والتي ترهب الأعداء وتثخن فيهم، فقد جاء في (تفسير الوسيط) في معنى هذه الآية: «عليكم -أيها المؤمنون- أن تعدّوا لقتال أعدائكم ما تستطيعون إعداده من وسائل القوة، على اختلاف صنوفها وألوانها وأسبابها. وجاء -سبحانه- بلفظ (قُوَّةٍ) منكراً، ليشمل كل ما يُتقوّى به في الحرب كائناً ما كان».

كما جاء في (تفسير الوسيط): «أعدّوا لقتال أعدائكم ما أمكنكم من كل ما يُتقوّى به عليهم في الحرب، من نحو: حصون وقلاع وسلاح. ومن رباط الخيل للغزو والجهاد في سبيل الله. وخص رباط الخيل بالذكر

من بين ما يُتقوى به، لمزيد فضلها وغنائها في الحرب، ولأن الخيل كانت الأداة الرئيسية في القتال في العهد النبوي، وقوله: (تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ) بيان للمقصود من الأمر بإعداد ما يمكنهم إعداده من قوة».

جاء في (تفسير البغوي): «والخلاصة: أن مَن تتبع آيات القرآن الواردة في القتال يجدها جميعها تقرر أن سبب القتال في الإسلام ينحصر في رد العدوان، وحماية الدعوة الإسلامية من التطاول عليها وتثبيت حرية العقيدة، وتطهير الأرض من الظلم والطغيان».

أقسام الإعداد

• • ويمكن أن نقسم الإعداد إلى قسمين: مادي ومعنوي.

الإعداد المادي



أما المادي فيكون بالتخطيط والتدريب والمعسكرات..

فهذا رسول الله ﷺ يوم بدر، فقد أشار إليه الصحابي الجليل الحباب بن المنذر رضي الله عنه بتغوير الآبار جميعها والإبقاء على بئر واحد بئر بدر.. فكان في ذلك النصر. وهذا سلمان الفارسي رضي الله عنه يشير إلى النبي ﷺ بحفر الخندق حول المدينة فكان في ذلك النصر، فقال النبي ﷺ في حق سلمان: «سلمان منا آل البيت».

هذا من التخطيط والإعداد المادي للحروب والمعارك.

لحفر الأنفاق في غزة، وكذلك تصنيع السلاح والذخيرة، هو من الإعداد المادي، بل إن خير ما ينفق المال في هذا المضمار أي في سبيل الله، وإن ترك هذه الأمور والالتفات إلى الدنيا والتجارة والزراعة وغير

ذلك من متاع الدنيا هو معنى التهلكة التي حذرنا منها الله عز وجل في كتابه الكريم، فقال تعالى: ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ وَأَحۡسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥].

فقد جاء في سبب نزولها أن الأنصار لما أعز الله الإسلام وأمن أهله وكثر ناصروه، قال بعضهم لبعض: لقد عز الإسلام وأمن أهله وكثر ناصروه فينبغي أن نقوم على أموالنا ونصلح ما ضاع منها.. فأنزل الله تعالى الآية.

فقد روى الترمذي وغيره وصححه عن ابن عمران التجيبي قال: «كنا بمدينة الروم، فأخرجوا إلينا صفاً عظيماً من الروم، فخرج إليهم من المسلمين مثلهم أو أكثر.. فحمل رجل من المسلمين على صف الروم حتى دخل فيهم، فصاح الناس وقالوا: سبحان الله يلقي بيده إلى التهلكة؟ فقام أبو أيوب فقال: يا أيها الناس إنكم لتتأولون هذه الآية هذا التأويل! وإنما أنزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار، لما أعز الله الإسلام وكثر ناصروه، فقال بعضنا لبعض سراً دون رسول الله ﷺ: إن أموالنا قد ضاعت، وإن الله قد أعز الإسلام وكثر ناصروه، فلو أقمنا في أموالنا فأصلحنا ما ضاع منها.. فأنزل الله تعالى على نبيه يرد علينا ما قلنا: (وأنفقوا في سبيل الله ...) الآية. وكانت التهلكة الإقامة على الأموال وإصلاحها وتركنا الغزو.. فما زال أبو أيوب شاخصاً في سبيل الله حتى دُفن بأرض الروم».

فلما ترك المسلمون هذا الإعداد، واتكلوا على الغرب في كل شيء وخاصة في أمور القوة والعسكرة والصناعة، صاروا أذلاء تابعين، فقد جاء في الحديث الصحيح الذي أخرجه الإمام أحمد وغيره: عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ، سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ».

الإعداد المعنوي



وأما الإعداد المعنوي، فلا يقل أهمية عن الإعداد المادي، بل هو سبيل له، ولا يمكن لأمة أن تنتصر وتمكن إلا أن تسير على هذا الإعداد بمختلف مجالاته، من إعداد فكري وتربوي وتعليمي وسياسي.. فأما الإعداد الفكري، فيكون عن طريق قراءة التاريخ قراءة اعتبار لا سرد أحداث، وخاصة قراءة السيرة النبوية وأخذ العبر والدروس منها، سمّها إن شئت «فقه السيرة»، ثم ربط هذه السيرة بواقعنا المعاصر، وإسقاط أحداثها ومواقفها على أحداث اليوم مع مراعاة الفوارق المكانية والزمنية، أيضاً، لا بد من فقه آيات الإيمان والعقيدة، ومنهج السلف رضوان الله عليهم.

وتستطيع أن تقف على بعض هذه الأمور، أو على الفكر الصحيح، عندما تقرأ لبعض المفكرين المعاصرين الذي شهد لهم العالم بالتميز والعطاء والتغيير على مستوى الأمة، كالمفكر العملاق الشهيد سيد قطب رحمه الله.. بذلك يمكن أن نقول إن هناك بناءً فكرياً صحيحاً.

- **أما الإعداد التربوي**، ويكون عن طريق التربية والتعليم والدعوة.. من خلال حلقات القرآن، ودروس المساجد، والاهتمام بصلوات الجماعة، وقيام الليل، والمعسكرات.. إذ تترك أثراً كبيراً في شخص المتدرب، لا ينساه أبداً، بل هذه التربية تصقل شخصية المسلم، وتجعله شخصاً آخر يحمل هم الدعوة والمسلمين.

والقارئ في التاريخ عندما يطّلع على سيرة صلاح الدين رحمه الله، وكيف حرر القدس، يدرك أن هذا التحرير لم يأتِ من فراغ أو كان طفرة في زمن ضعف وانهيار، بل كان التحرير مشروعاً طويلاً تعاقبت

عليه أجيال، فلقد أنشئت وانتشرت المدارس الدينية والتربوية والعلمية، وتكاتف عمل الزنكي وصلاح الدين مع عمل العلماء والمربين، واستطاعوا أن يملؤوا الفجوة بين حرب الصليبيين وما فعلوه من مجازر في المسلمين، وبين تحرير الأقصى، ملؤوها بالاهتمام بعلم الدين والدنيا، بتغذية العقول بالفكر الإسلامي الصحيح، وتزكية النفوس بتعلم القرآن والسنة، وتهذيب الأخلاق بالسيرة النبوية وسيرة السلف الصالح.

لذلك من الأخطاء الشائعة التي يقع فيها كثير من الخطباء والأئمة اليوم أنهم عندما يذكرون تحرير الأقصى.. فقط يسردون التحرير ومعركة حطين.. وكأنه عمل بطولي فدائي فقط، ولا يلتفتون أو لا يعيروا اهتماماً لما سبق هذا التحرير وهذه المعركة التاريخية من إعداد في كل المجالات، فعندما يسمع المسلم ما حققه المسلمون آنذاك، ويقارنه بالواقع، يُصاب بالإحباط وخيبة الأمل، لأنه لم يحسن القياس، فقد أتى على عصر وفترة الازدهار والقوة، ونسي ما سبقها من جهود وسعيٍ وبذل في الفكر والإيمان والتربية والتطوير حتى جنى المسلمون قطاف غراسهم.



واليوم أهل غزة الذين يسطّرون أعظم الملاحم، ويدهشون العالم بل الأعداء بقوة رميهم، وتطور سلاحهم، وبثباتهم الأسطوري وصبرهم وجلَدهم على ما ينزل بهم، فهذا لم يكن وليد اللحظة، بل هذا نتاج حلقات القرآن ودروس المساجد، هذا نتاج الإعداد الطويل لعشرات السنين، هذا نتاج قوله تعالى:

﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٦٠].



أخلاق الإسلام في الحروب ومع الأسرى
المقاومة الفلسطينية نموذجاً



الشيخ محمد علي محمد المسعود

مسؤول الهيئة العلمية في مؤسسة (إددف)

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه، أما بعد:

لم تعرف البشرية محارِبًا أرحم بأعدائه أثناء الحروب وقبلها وبعدها من الإسلام، حقيقةً مؤكّدة بالدلائل والبراهين التي يريد أعداء الإسلام طمسَها وتزويرَها، لعلهم يستطيعون بذلك خلط الأوراق وقلب الموازين لصالح فِكرهم المنحرف فيما يُروّجون له من أباطيل وأكاذيب، حتى يُصوّروا الإسلام

عامةً، ونبي الرحمة ﷺ خاصةً بصورة السفاح المتعطش لسفك الدماء وقتل الأبرياء، ينطبق عليهم قول الأعشى في لاميّته:

كَنَاطِحٍ صَخْرَةً يومًا ليَفْلِقها •• فلم يَضِرْها وأَوْهَى قَرْنَه الوَعِل

فإذا استقرأنا التاريخ نجده مُتْخَمًا بالحروب الطاحنة منذ عهد الإسكندر وما قبله إلى عهد نابليون وما بعده، تفوح من هذه الحروب رائحةُ الدماء بما يزكم الأنوفَ ويُفتّت الأكباد حزنًا أمام صور القتل المروّعة التي لا تفرّق بين صغير وكبير، ولا رجل وامرأة. وعندما نسأل هذا الشاهد «التاريخ» الذي لا يشهد زُورًا، فسيقول لنا بلسان فصيح مبين: إنّه لم يعرف أمة من الأمم أحسنَ أخلاقًا ولا أكثرَ رحمةً من المسلمين في حروبهم وتعاملهم مع الأسير.

ولعلّي في هذه العُجالة أُوَفّق في إبراز بعض جوانب الرحمة وحسن الخلق من خلال عدة نقاط:

أولًا: أخلاق الحروب والتعامل مع الأسرى في القرآن الكريم

عندما نتدبر القرآن الكريم نجد ثَمَّةَ آياتٍ ضَمَّت في طيّاتها أخلاقًا راقية، أرْسَت من خلالها قواعد وآدابًا جعلت المسلمين أعظم فاتحين، سطَّر لهم التاريخ أروع الأمثلة، كالوفاءِ بالعهد والنَّهي عن الغدر إلى ما هنالك من مُثُلٍ عُليا مشى عليها المسلمون وجعلوها نُصب أعينهم في فتوحاتهم العظيمة.

يقول تعالى: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَـٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَـٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [النحل: ٩١]. ويقول عند انتصار المسلم للمسلم: ﴿وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الأنفال: ٧٢]. ويقول تعالى: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ﴾ [الأنفال: ٥٨].

رغم أنّ الحرب مَظِنَّة التَّرخيص في الأخلاق والتَّساهل في الفضائل، إلا أنّ هذه الآيات الكريمات وغيرها كثير جاءت لتبيّن للعالم أنّنا أصحاب أخلاقٍ كريمةٍ ومعاملةٍ حسنةٍ حتى في أقسى شيءٍ في هذا الوجود.



وأمَّا عن تعامل القرآن الكريم مع الأسير، فإنَّنا نجدُه حَفِظ للأسير كرامتَه وراعى حرمته، حتّى أنَّه جعل إطعام الأسير صفة من صفات الأبرار، يقول تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان: ٨]. أسَّسَت هذه الآية الكريمة مبدأ الإحسان إلى الأسير، بِحثِّ المسلمين على تقديم الطعام له وعدم تجويعه، على الرغم من أنَّ المسلمين كانوا في ضيقٍ من العيش، لكنَّ ذلك لم يمنعهم من إيثار الأسير بطعامهم.

وقد عمَّق القرآن هذا الخلُق الرّاقي مع الأسير بقوله: (عَلَىٰ حُبِّهِ) لأنَّهم لا يطعمون الأسير على سعةٍ منهم، إنَّما يطعمونه وهم في أمسِّ الحاجة إلى الطَّعام، يبتغون بذلك رضوان الله، ولِسَانُ حالهم يقول: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان: ٩]. يقول سعيد بن جبير: «أما والله ما قالوه بألسنتهم، ولكن علِمه الله من قلوبهم فأثنى عليهم ليرغب في ذلك راغب»[1].

ويقول الإمام الجصاص: «هذه الآية تدل على أن في إطعام الأسير قربة، ويقتضي ظاهره جواز إعطائه من سائر الصدقات»[2].

١ تفسير الطبري، (٢٩/٢١٠).

٢ أحكام القرآن، للجصاص، (٥/٣٧٠).

ثانيًا: أخلاق الحروب والتعامل مع الأسرى في السيرة النبوية



وأما الحديثُ في هذا الشَّأن عن نبيِّ الرَّحمة صاحب الجناب الرّفيع ﷺ فهو حديثٌ ذو شجونٍ، إذ إنَّه ﷺ ضَرَب للبشرِيَّة جَمْعَاءَ أروعَ وأسمى أمثلةِ الرّحمة والعطف في الحروب ومع الأسير، مع عدم المَساس بقوة الإسلام وهيبته ومقصده، وهذا يتجلّى بقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]. فما كانت غزواته ﷺ إلا ليخرج الناس من عبادة الأوثان إلى عبادة الواحد الديان، وليخلّص الناس من ظُلْم الظَّلَمَة وبَطْش الأكاسرة، ويحرِّرَ عقولهم من عبوديَّةِ غير الله.

فمن عظيم خُلُقِه ﷺ أنَّه نهى في الحرب عن قتل الوِلدان والنّساء والإساءة إليهم بما يتنافى مع الخلُق السويّ، ونهى عن الغدر والسَّرِقة والتَّمثيل بالقتلى وقتل الجرحى، روى مسلم في صحيحه عن بريدة عن أبيه قال: كان ﷺ إذا أمَّر أميرًا على جيشٍ أو سَرِيّةٍ أوصاه في خاصَّته بتقوى الله، ومن معه من المسلمين خيرًا، ثم قال: «اُغْزُوا بِاسْمِ اللهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ باللهِ، اُغْزُوا ولَا تَغُلُّوا ولَا تَغْدِرُوا ولَا تُمَثِّلُوا ولَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا...» الحديث[٣].

وأمَّا من ناحية التَّعامل مع الأسير فقد أوصى ﷺ بالإحسان إليه ما استطاع المرء إلى ذلك سبيلًا، ويظهر ذلك جليًّا في قوله ﷺ: «اِسْتَوْصُوا بِالْأَسْرَى خَيْرًا»[٤].

---

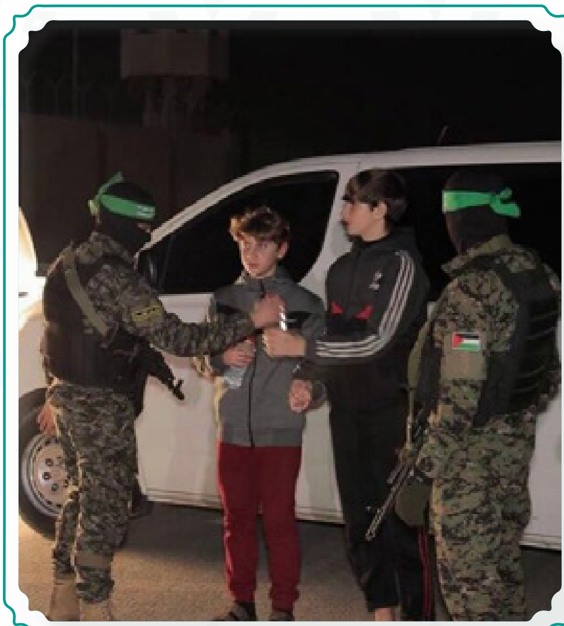
٣ صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب تأمير الإمام الأمراء ووصيته إياهم بآداب الغزو وغيرها، رقم: ١٧٣١.

٤ السيوطي، الجامع الصغير، رقم: ١٠٠٣.

يقول الصحابي الجليل أبو عزيز بن عمير -وهو شقيق مصعب بن عمير رضي الله عنهما- وقد كان من أسرى بدر: «مَرَّ بي مصعب بن عمير يومَ بدر، ورجل من الأنصار يأسِرُني، فقال مصعب للأنصاري: شُدَّ يدك به، فإنّ أمّه ذات متاعٍ، لعلّها أن تفتدِيَه منك. قال: وكنت في رهطٍ من الأنصارِ حين أقبلوا من بدرٍ، فكانوا إذا قدموا غداءهم وعشاءهم خصّوني بالخبز، وأكلوا التَّمر، لوصيَّة رسول الله إيَّاهم بنا، فما تقع في يد رجل منهم كَسْرةٌ من الخبز إلا نَفَحَنِي بها. قال: فأستحي فأَرُدُّها على أحدهم فيَرُدَّها عليَّ ما يَمَسُّها»[٥].

وقد كان الخبزُ أفضلَ الطعام على الإطلاق لنُدْرَتِهِ ولَذَّتِه، فكانوا يكرمون به ضيوفهم، وما كانوا يقدّمون للأسرى ما بقي من طعامهم، بل كانوا يقدّمون لهم أجود ما لديهم من طعامٍ عَمَلًا بوصية رسول الله ﷺ جبرًا لخواطرهم، وليؤلِّفوا قلوبهم على الإسلام.

ومن عظيم رحمته ﷺ أنّه كان يُؤْتَى بالأسير فيَدْفَعُهُ إلى بعضِ المسلمين ليُحسِنَ إليه، فيكونُ عنده اليومين والثلاثة فيُؤْثِرُه على نفسه وأهل بيته.



ومن جملة أخلاقه الكريمة أنّه كان يجعل الأسرى في مكانين، إمّا في المسجد أو في بيوت الصَّحابة رضي الله عنهم، والهدف من ذلك أن يَرَوْا أخلاقَ المسلمين وعباداتِهم لعلَّهم يتأثّرون بها، فيدخلَ الإيمان قلوبَهم، وقد حدث هذا بالفعل مع كثير من الأسرى؛ كثمامة بن أثال ودعثور بن

---

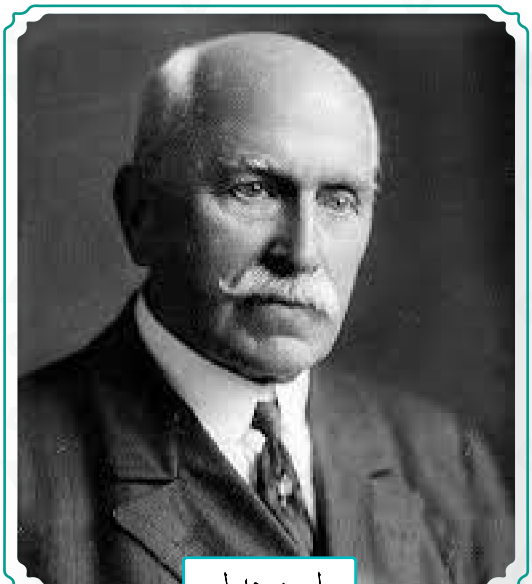
٥ الهيثمي، في مجمع الزوائد ٨٩/٦، والطبراني، في التاريخ (٣٩/٢).

الحارث الغطَفانيّ، وغيرهم كثير مِمَّن شهدوا خلال مكوثهم مع المسلمين أخلاق النبي ﷺ وأصحابِه فلم يتردّدوا في نطق الشهادتين بعد أن خالط الإيمان قلوبهم لِما رأَوا.

وإلى هذا يشير الدكتور مصطفى السباعي في قوله: «إنّ الفكر الذي جاء به رسول الرحمة ﷺ في جبر خواطر الأسرى، هو عِتقُهم ليكونوا أحرارًا، حتى أصبح هذا العِتق قربةً إلى الله عزّ وجلّ»[٦].

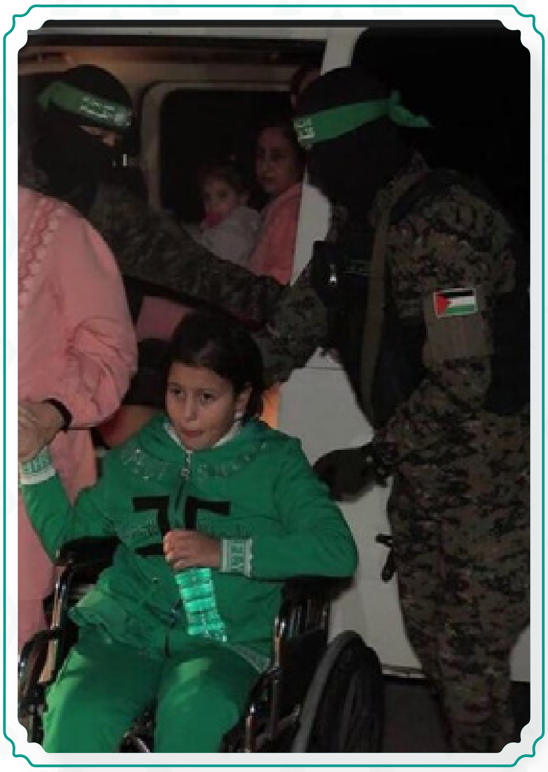
ولعلَّنا نجد هذا المعنى مجسّدًا واضحًا في قصة إسلام سفّانة بنت حاتم الطائيّ عندما قالت بعد أسرها من قبل المسلمين: «يا رسول الله، هلك الوالد وغاب الوافد، فامنُن عليّ مَنّ الله عليك». وفي القِصّة أنّ النبي ﷺ قال لها: «قد فعَلْتُ، فلا تَعْجَلِي بِخُرُوجٍ حتَّى تَجِدِي مِنْ قَوْمِكِ مَنْ يكُونُ لكِ ثِقةً حتى يبلِّغَكِ بِلَادكِ». قالت: «فكساني رسول الله ﷺ وحملني وأعطاني نفقةً، فخرجتُ حتى قدِمْتُ الشَّام على أخي عُديّ بن حاتم». فقال لها عُدَيّ: «ما ترين من أمر هذا الرجل»؟ قالت: «أرى أن تلحق به». وكانت قد أسلمت فحَسُن إسلامها[٧].

ولا يفوتني أن أذكر ما قاله المستشرق المشهور (لورد هدلي) بعد أن وقف مندهشًا مذهولًا أمام سيرة هذا النبي العظيم ﷺ، وكيف كان في غزواته ومعاملته مع الأسرى المشركين، ملاحِظًا فيها قمة الأخلاق السَّمْحة والمعاملة الطيبة الكريمة، فيتساءلُ قائلًا: «أفلا يدُلُّ هذا على أن محمدًا لم يكن متَّصِفًا بالقَسْوَةِ ولا مُتَعَطِّشًا للدِّماءِ كما يقول خُصُومُه، بل كان يعمل دائمًا على حَقْنِ


لورد هدلي

٦ من روائع حضارتنا، للدكتور مصطفى السباعي، ص٧٥.
٧ أُسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير، حرف السين - سفانة، وتاريخ الطبري (٢/٣٩).

الدِّماء جَهْدَ المسْتطَاع، وقد خضعت له جزيرةُ العَرَبِ من أقصاها إلى أدناها، وجاءه وَفْدُ نجران اليمنيون بقيادة البطريق، فلم يُحَاوِلْ قطُّ أن يُكْرِهَهُمْ على اعتناق الإسلام، فلا إكراه في الدِّين، بل أَمَّنَهم على أموالهم وأرواحهم، وأَمَرَ ألا يتعرض لهم أحد في معتقداتهم وطقوسهم الدينية»[٨].



ويقول أيضًا المستشرق الإسباني (جان ليل): «لا يمكن توصيف حياة محمد بأحسن مما وصفها الله تعالى بقوله: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]. كان محمد رحمة حقيقية وإني أصلي عليه بلهفة وشوق»[٩].

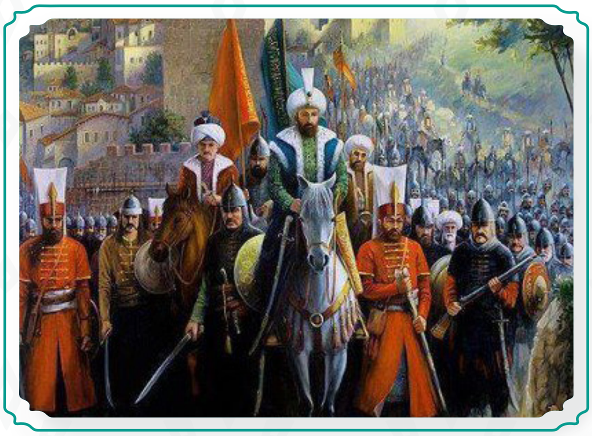
ثالثًا: أخلاق الحروب والتعامل مع الأسرى في الفتوحات الإسلامية وواقعنا المعاصر

وبهذه الأخلاق العظيمة المُستقاة من معين القرآن والسُّنَّة المطهرة دَرَجَ الصحابةُ ومن بعدهم من المسلمين على هذا المِنوال المشرّف في فتوحاتهم التي امتدّت من المشرق إلى المغرب، وحسن تعاملهم مع الأسرى الذين يقعون تحت أيديهم. ومن أعظم ما استوقفَني في هذا المعنى ما ورد في كتب الأدب والتاريخ من قصة هند بنت النعمان بن المنذر ملك الحيرة، وقد كانت على ما ورد من إحدى أسباب معركة (ذي قار) التي وقعت بين المسلمين والفرس، عندما اشتهرت بجمالها وأدبها وشِعْرِهَا أرسل كسرى في خِطبتها فردّه النُّعمانُ ووقعت الحرب قبل بعثة النبي ﷺ وانتصر فيها العرب على الفرس.

٨ الرسول ﷺ في عيون غربية منصفة، حسن حسني معدى (١/١٠٤).
٩ سيدنا محمد رسول الله شمائله الحميدة وخصاله المجيدة، عبد الله سراج الدين.

وبعد هذه المعركة تفرّغت هند في دير للعبادة واعتزلت الناس، فمرّ عليها خالد بن الوليد رضي الله عنه بعد سنوات طويلة في مسيره لإحدى المعارك، واستأذن بالدخول عليها وعرض عليها الإسلام فاعتذرت بِكِبَرِ سِنِّها عن أن تغيّر دينها، فأمر لها بكسوة ومعونة، وبعد انصرافه جاءها النصارى يسألونها ما فعل قائد الجيش الإسلامي بها فقالت:

صَانَ لِي ذِمَّتِي وأَكْرَمَ وَجْهِي •• إنَّمَا يُكْرِمُ الكَرِيمَ الكَرِيمُ[١٠]



وما سيرة السلطان محمد الفاتح عنَّا ببعيد، عندما فتح القسطنطينية، ودخل كنيسة آيا صوفيا، فانحنى له البطارقة وهم يرتجفون فخاطبهم بقوله: «قِفوا واستقيموا، فأنا السلطان محمد الفاتح أقول لكم ولكل إخوانكم من النصارى إنّكم في أمان على حياتكم وحُرّياتكم».

وكان لهذه الكلمات أثر كبير في خروج الرّهبان والقساوسة الذين كانوا يختبئون في الأقبية والسراديب، وعودة كثير من النصارى الذين فَرُّوا من المدينة خوفًا[١١].

ومن عجائب الأقدار أنه في زمان ليس ببعيد عن زمان فتح القسطنطينية نجد أن النّصارى دخلوا بلاد الأندلس، فماذا فعلوا بالمسلمين بعد أن أعطَوْهم الأمان؟ أقاموا محاكم التفتيش، وما أدراك ما محاكم التفتيش! وَصْمَةُ عارٍ لا يمحوها الزمان مهما طال، أبشع طرق التعذيب التي يأنف القلم عن كتابتها، والغريب

١٠ الدر المنثور في طبقات ربات الخدور، زينب فواز، (١/٥٣٤).

١١ جوانب مضيئة من تاريخ العثمانيين الأتراك، زياد أبو غنيمة، (ص ٢٧٦).

في الأمر أنّه إلى يومنا هذا هناك متاحف في قُرْطُبَة وطُلَيْطُلَة تضُم هذه الآلات العجيبة التي عُذّب المسلمون وسُحقت عظامهم بها وهم أحياء، وعلى كل آلةٍ شَرْحٌ مُفَصَّلٌ كيف كانوا يستخدمونها ليعذّبوا المسلمين ويُزهقوا أرواحهم.

ولعلّنا اليوم نرى وضوح الشمس في رابعة النهار ما تعانيه غزَّةُ العِزّة من حربٍ ضَروسٍ، على مرأى العالم ومسمَعِه، يريد بها أعداءُ الإنسانية سحقَ أهل غزة جُملَةً واحدةً لو استطاعوا إلى ذلك سبيلًا، لا يفرّقون بين رجل وامرأة، ولا صغير وكبير، ولا مريض وصحيح.

والعالم يقف مصفّقًا لهم ومبرّرًا، يختلق لهم الحُجج المكذوبة لشَرعنة أفعالهم الإجرامية، في حين أن هذا العالم رأى بعينه كيف تعامل المجاهدون في غزَّةَ مع الأسرى، ففي صفقة تبادل الأسرى رأى المجتمع الدولي الفيديوهات التي وضعت العالم الدولي بموقف مُحْرِجٍ لا تفسير له إلا رحمة الإسلام والمسلمين وحسن تعاملهم مع الأسرى، وخصوصًا النساء اللواتي خرجن مُحيِّين ومُسَلِّمين على المجاهدين، ينظُرْنَ إليهم نظرة شُكر واعتراف بالجميل والإحسان.



ولما وصلن إلى الجانب الإسرائيلي والتقى بهن الصحفيون وأدلَيْن بشهادتهن أُحرج الكيان الصهيوني أيّما إحراج، ولم يسَعْه إلا أن يقول عن هؤلاء النسوة المفرَج عنهنّ إن المجاهدين في غزة أجبروهنّ قبل الإفراج أن يتناوَلْن حبوبًا للهلوسة حتى قُلْنَ ما قُلْنَه من مدح المجاهدين وحسن معاملتهم لهنّ على أتمّ وجهٍ.

في حين أن العالم رأى إحدى الأسيرات الفلسطينيات، والعدو الصهيوني يُخرِجُها من الزِّنْزَانة المظلمة ليسلّمها للمجاهدين وهي مكبّلة اليدين بالأغلال منهَكَة القِوى، وغيرها كثير ممن خرجوا من السجون الإسرائيلية ورووا للعالم أهوالًا مما عانوا داخل السجون من ظُلْمٍ وانتهاكٍ للحقوق وتعذيبٍ وتجويعٍ.



فما تعامُلُ المجاهدين في غزَّة مع الأسرى إلا امتدادًا لتعاليم القرآن الكريم والسيرة النبوية المجسّدة لرحمة الإسلام، وما تعامُلُ الكيان الصهيوني مع الأسرى إلا امتدادًا لما عُرِف عنهم من بطش وظلم وقتل.

ولا أملك في آخر مقالتي إلا أن أختم بقول الشاعر «الحيص بيص»:

مَلَكْنَا فكان العفوُ مِنّا سَجِيّة •• فلمّا ملكْتُم سال بِالدّم أبطَحُ
وحَلَّتم قتلَ الأُسارى وطالما •• غدونا عن الأسرى نعِفّ ونصفحُ
فحسبُكم هذا التّفاوت بيننا •• وكلّ إناءٍ بما فيه ينضحُ

والحمد لله رب العالمين.



مدرسة الابتلاء في غزة العزة

محنة ومنحة



الشيخ مختار بن العربي مؤمن

عضو مجلس أمناء الهيئة العالمية لأنصار النبي ﷺ

الحمد لله خالق الأرض والسماوات، والصلاة والسلام على رسولنا الكريم الثابت القلب في سائر الأوقات، وبعد:

خلق الإنسان والبلاء المحتوم

لقد خلق الله الإنسان وكرّمه وأسْجَدَ له ملائكتَه، ﴿فَسَجَدَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمۡ أَجۡمَعُونَ * إِلَّآ إِبۡلِيسَ﴾ [ص: ٧٣-٧٤]، ومن هنا بدأ الامتحان، وتوالت العداوة التي حذّر الله منها آدم لعدّوه، ولم يصمد آدم عليه السلام أمام الامتحان الذي قدره الله سبحانه، ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ * ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ﴾ [طه: ١٢١-١٢٢].



وأُهبطا إلى الأرض، لتكون مسرح التدافع بينهما وذرياتهما، وتوالت المحن على آدم وذريته، فصبر أولو الرشد والعزم وأفلحوا، وسقط من أراد الله لهم السقوط والرسوب.

حكمة الابتلاء

إن الناس منهم مبتلى ومعافى، فليحمد العبد ربه على العافية، ويسأله العافية لأهل البلاء والابتلاء، وإن من الحِكم العظيمة في الابتلاء هو تحقيق العبودية لله ربّ العالمين، يقول ابن القيم رحمه الله تعالى: «فلولا أنّه -سبحانه- يداوي عباده بأدوية المحن والابتلاء لطغوا وبغوا وعتوا، والله -سبحانه- إِذَا أراد بعبد خيراً سقاه دواء من الابتلاء والامتحان على قدر حاله، يستفرغ به من الأدواء المهلكة، حتى إذا هذّبه ونقّاه وصفّاه أَهَّلَه لأشرف مراتب الدّنيا، وهي عبوديته وأرفع ثواب الآخرة، وهو رؤيته وقربه»[1].

وإنّ كثيراً من النّاس عبدٌ لهواه وليس عبداً لله، يعلن أنه عبد لله، ولكن إذا ابتُلي نكص على عقبيه، قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡآخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ﴾ [الحج: ١١].

والابتلاء إعداد للمؤمنين للتمكين في الأرض، فقد قيل للإمام الشافعي رحمه الله: أَيّهما أَفضل: الصَّبر أو المِحنة أو التَّمكين؟ فقال: «التَّمكين درجة الأنبياء، ولا يكون التَّمكين إلا بعد المحنة، فإذا امتحن صبر، وإذا صبر مُكِّنَ».

[1] زاد المعاد لابن القيم (١/١٤٥).

إنّ الابتلاء أشبه ما يكون بعرض المعادن على النّار فما كان منها ذا قيمة زادته النّار صقلاً ولمعاناً، ونصاعةً وبياناً، وما كان منها غثًّا خبيثاً أذهبت رونقه وصفاءه، وبهرجه ونقاءه، ولذلك فإنّ النّاس لا يمكن أن يبقوا يدعون الدّين والتمسك به حتى يُبتلوا وتُختبر بواطنهم وخفاياهم، قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٧٩].

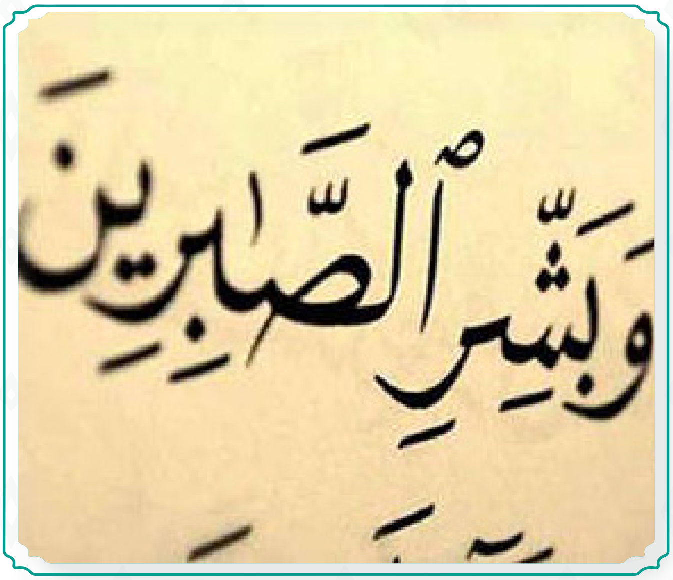
وقال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥]، وقال سبحانه: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد: ٣١].

إنّ دعوى الصلاح والجهاد يحسنها كلّ أحد منّا، وهي أوراق خضراء تغطّي مساحة كبيرة في حياتنا، ولكن إذا أصابها خريف المِحن تساقطت فلا يثبت منها إلّا ما كان مباركاً مقبولاً، فاللّهمّ نسألك العافية والثبات!



وإذا كان أشد النّاس بلاءً الأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام، فمن نحن النّاس بعدهم؟ روى الترمذي عَنْ سَعْد بن أبي وقاص رضي الله عنه قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بلاءً؟ قَالَ: «الأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ، فَيُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ دِينُهُ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلاؤُهُ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَمَا يَبْرَحُ الْبَلاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ»[٢].

٢ رواه الترمذي (٢٣٩٨)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٤٣).



قال ابن القيم: «فإنه سبحانه كما يحمي الأنبياء ويصونهم ويحفظهم ويتولاهم فيبتليهم بما شاء من أذى الكفار لهم:

١ ليستوجبوا كمال كرامته.

٢ وليتسلى بهم مَن بعدهم من أممهم وخلفائهم، إذا أوذوا من الناس فرأوا ما جرى على الرسل والأنبياء صبروا ورضوا وتأسوا بهم.

٣ ولتمتلئ صاع الكفار فيستوجبون ما أعد لهم من النكال العاجل والعقوبة الآجلة؛ فيمحقهم بسبب بغيهم وعداوتهم فيعجل تطهير الأرض منهم.. فهذا من بعض حكمته تعالى في ابتلاء أنبيائه ورسله بإيذاء قومهم، وله الحكمة البالغة، والنعمة السابغة، لا إله غيره، ولا رب سواه». انتهى[٣].

وقال ابن القيم رحمه الله: «وإذا تأملت حكمته سبحانه فيما ابتلى به عباده وصفوته بما ساقهم به إلى أجلِّ الغايات وأكمل النهايات التي لم يكونوا يعبرون إليها إلا على جسر من الابتلاء والامتحان... وكان ذلك الابتلاء والامتحان عين الكرامة في حقّهم، فصورته صورة ابتلاء وامتحان، وباطنه فيه الرحمة والنعمة، فكم لله مِن نعمة جسيمة ومنَّة عظيمة تُجنى من قطوف الابتلاء والامتحان. فتأمّل حال أبينا آدم ﷺ وما آلت إليه محنته من الاصطفاء والاجتباء والتوبة والهداية ورفعة المنزلة...

وتأمل حال أبينا الثاني نوح ﷺ وما آلت إليه محنته وصبره على قومه تلك القرون كلها حتى أقر الله عينه، وأغرق أهل الأرض بدعوته، وجعل العالم بعده من ذريته، وجعله خامس خمسة وهم أولو

٣ ابن القيم، بدائع الفوائد (٢/٤٥٢)

العزم الذين هم أفضل الرسل، وأمَرَ رسولَه ونبيه محمَّداً أن يصبر كصبره، وأثنى عليه بالشكر فقال: «إنه كان عبداً شكوراً» فوصفه بكمال الصبر والشكر.

ثم تأمل حال أبينا الثالث إبراهيم ﷺ إمام الحنفاء وشيخ الأنبياء وعمود العالم وخليل رب العالمين من بني آدم، وتأمل ما آلت إليه محنته وصبره وبَذْله نفسه لله، وتأمل كيف آل به بذله لله نفسه ونصره دينه إلى أن اتخذه الله خليلاً لنفسه... وضاعف الله له النسل وبارك فيه وكثر حتى ملؤوا الدنيا، وجعل النبوة والكتاب في ذريته خاصة، وأخرج منهم محمَّداً ﷺ وأمَرَه أن يتبع ملة أبيه إبراهيم...



ثم تأمل حال الكليم موسى عليه السلام وما آلت إليه محنته وفتونه من أول ولادته إلى منتهى أمره حتى كلَّمه الله تكليماً، وقرَّبه منه، وكتب له التوراة بيده، ورفعه إلى أعلى السموات، واحتمل له ما لا يحتمل لغيره، فإنه رمى الألواح على الأرض حتى تكسرت، وأخذ بلحية نبي الله هارون وجرَّه إليه، ولطم وجه ملك الموت ففقأ عينه، وخاصم ربه ليلة الإسراء في شأن رسول الله، وربه يحبه على ذلك كله، ولا سقط شيء منه من عينه، ولا سقطت منزلته عنده، بل هو الوجيه عند الله القريب، ولولا ما تقدم له من السوابق وتحمل الشدائد والمحن العظام في الله ومقاساة الأمر الشديد بين فرعون وقومه ثم بني إسرائيل وما آذوه به وما صبر عليهم لله.. لم يكن ذلك.

ثمّ تأمّل حال المسيح ﷺ وصبره على قومه واحتماله في الله وما تحمّله منهم، حتّى رفعه الله إليه وطهّره من الذين كفروا وانتقم من أعدائه، وقطّعهم في الأرض ومزَّقهم كلّ ممزّق وسلبهم ملكهم وفخرهم إلى آخر الدهر...

فإذا جئت إلى النبي ﷺ وتأملت سيرتَه مع قومه وصبره في الله، واحتماله ما لم يحتمله نبي قبله، وتلون الأحوال عليه مِن سِلْم وخوف، وغِنى وفقر، وأمن وإقامة في وطنه وظعن عنه وتركه لله وقتل أحبابه وأوليائه بين يديه، وأذى الكفار له بسائر أنواع الأذى من القول والفعل والسحر والكذب والافتراء عليه والبهتان، وهو مع ذلك كله صابر على أمر الله يدعو إلى الله فلم يؤذ نبي ما أوذي، ولم يحتمل في الله ما احتمله، ولم يُعطَ نبي ما أُعطيه، فرفع الله له ذكره وقرن اسمه باسمه، وجعله سيد الناس كلهم، وجعله أقرب الخلق إليه وسيلةً، وأعظمهم عنده جاهاً، وأسمعهم عنده شفاعة، وكانت تلك المحن والابتلاء عين كرامته، وهي مما زاده الله بها شرفاً وفضلاً، وساقه بها إلى أعلى المقامات.



وهذا حال ورثته من بعده الأمثل فالأمثل، كلٌّ له نصيب من المحنة، يسوقه الله به إلى كماله بحسب متابعته له» انتهى[٤].

فيا أهل الابتلاء في الدنيا.. إن ثمن الجنة غال وعال، لا تناله النفوس إلا بدفع الثمن، فأبشروا يوم أن يُغمس أحدكم في الجنة فتنسيه تلك الغمسة كل همّ وغمّ، فعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «يُؤْتَى بأَنْعَمِ أهْلِ الدُّنْيا مِن أهْلِ النَّارِ يَومَ القِيامَةِ، فيُصْبَغُ في النَّارِ صَبْغَةً، ثُمَّ يُقالُ: يا ابْنَ آدَمَ، هلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هلْ مَرَّ بكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فيَقولُ: لا واللَّهِ يا رَبِّ، ويُؤْتَى بأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا في الدُّنْيا مِن أهْلِ الجَنَّةِ، فيُصْبَغُ صَبْغَةً في الجَنَّةِ، فيُقالُ له: يا ابْنَ آدَمَ، هلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟ هلْ مَرَّ بكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فيَقولُ: لا واللَّهِ يا رَبِّ، ما مَرَّ بي بُؤْسٌ قَطُّ، ولا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ»[٥].

---

٤ ابن القيم، مفتاح دار السعادة (١/٢٩٩–٣٠١).

٥ رواه مسلم (٢٨٠٧).

التدافع وتحقيق التمكين

يستعجل الكثير منا النصر، وذاك أمر تستشرف له النفوس البشرية، ولربما أصابها القنوط فتزحزحت عن طريق الهدى لما يصيبها من شك ﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الأحزاب: ١٢]، ﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ لَـَٔاتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا * وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَٰرَ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا﴾ [الأحزاب: ١٤-١٥].

إن سُنة الله تعالى في الكون عظيمة، فحينما يلتقي صف المؤمنين بالكافرين، قد يتحقق النصر سريعاً، وفي ذلك حكمة، وقد يتأخر وفي ثنايا ذلك حِكم أخرى لا يمكن رؤيتها من سجف الغيب، ولله الأمر من قبل ومن بعد.



فقد يُقتل الأبرياء أطفالاً ونساء، وشيوخاً وشباباً، ولا يتحقّق النصر كاملاً، وذلك إما لتخلف أسبابه، أو لأن الله يريد من تلك الفئة أن يختبر ثباتها وصبرها، ويزيد أجرها وعطاءها، ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة ٢١٤]، ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ * هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ [الأحزاب: ١٠-١٢].

وفي غزوة أحد دروس عظيمة ينبغي لكل مسلم أن يتدبر عبرها بين ثنايا الآيات من سورة آل عمران. وليس بالضرورة أن يشهدَ الجميعُ النّصر، فقد استشهِدَ ياسر وسُميّة قبل الهجرة، واستُشهِدَ حمزة ومصعب قبل الفتح! ثمّة دمٌ يجب أن يُعبّدَ الطريق، نحن مسؤولون عن السّعي لا عن النتائج، عن المسير لا عن الوصول، عن القتال لا عن النصر، أمّا النّصرُ فهو وعد الله آتٍ لا محالة، وكل مَن مات على الطريق فاز ولو لم يصِل!

فأبشروا يا من صنعتم طوفان العزة فمحى غثاء السيل العالمي، يا من محوتم ظلمة العولمة التي أرادت أن تمحو الجهاد وأثره في عزة الأمة، فجعلتم من أطفالنا: أبوعبيدة، والسنوار، والساجد الشهيد، وكل مجهول في الأرض معروف في السماء؛ فلا يضركم قعودنا، ولا يهولنّكم تثاقلنا؛ فقد أعددتم وصنعتم مجداً لا تمحوه الأيام والسنون، وعلّمتم العالم كيف تَصنع الفئة المسلمة المحاصرة من العدم المعجزات.

وقولوا له ما قال مفدي زكريا، شاعر الثورة الجزائرية المجيدة:

واقضِ يا موتُ فيَّ ما أنت قاضٍ •• أنا راضٍ، إن عاش شعبي سعيدا
أنا إن متُّ، فالجزائر تحيا •• حرةً مستقلةً، لن تبيدا
قولةٌ، ردّد الزمانُ صداها •• قُدُسيًا، فأحسنَ الترديدا
احفظوها زكيةً كالمثاني •• وانقلوها، للجيل، ذكرًا مجيدا
وأقيموا، من شرعها صلواتٍ •• طيباتٍ، ولقنوها الوليدا



الحجر والشجر يلعنان اليهود



الشيخ حسين عبد العال

عضو الأمانة العامة للهيئة العالمية لأنصار النبي ﷺ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ، فَيَقْتُلُهُمُ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى يَخْتَبِئَ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ، فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوِ الشَّجَرُ: يَا مُسْلِمُ يَا عَبْدَ اللهِ هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي، فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ، إِلَّا الْغَرْقَدَ، فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ»[1].

قال الإمام النووي: قَوْلُهُ ﷺ «وَالْغَرْقَدُ» نَوْعٌ مِنْ شَجَرِ الشَّوْكِ مَعْرُوفٌ بِبِلَادِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَهُنَاكَ يَكُونُ قَتْلُ الدَّجَّالِ وَالْيَهُودِ[2].

---

١ أخرجه مسلم، رقم ٢٩٢٢.

٢ شرح مسلم للنووي (١٨/ ٤٥).

والسؤال المهم هنا: ما هو هذا الجرم العظيم، والمصيبة الكبرى، التي اقترفها اليهود حتى يُنْطِق الله عز وجل لأجلها الحجر والشجر ليخبر عن هذا اليهودي المختبئ خلف الحجر أو الشجر؟!

ولماذا يحدث مثل هذا العقاب الإلهي لبني إسرائيل وهي أمة لها كتاب سماوي (التوراة) وكانت في بعض الأزمان في كل الأرض مُفَضَلة على العالمين من أهل زمانها.

والجواب هنا: هو أن الأفضلية في زمان ما أو مكان ما لا يمكن أبدًا أن تكون لجنس ولا للون ولا لعرق ولا لحسب أو نسب، فكل هذا لا يمنح الله تعالى الأفضلية من أجله.



لكنَّ الأفضلية الحقيقية هي في اتباع منهج الله عز وجل وتلقي الأوامر والانصياع لها، واتقاء النواهي والبعد عنها ومفارقتها، وهو ما يسمى بتقوى الله سبحانه وتعالى في السر والعلن قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾ [الحجرات: ١٣]، فلما كان بنو إسرائيل على الهدى مع نبي الله موسى فضلهم الله على أهل زمانهم من الفراعنة وغيرهم، فلما عصوا الله تعالى لعنهم، قال تعالى: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ﴾ [المائدة: ٧٨].

قال القرطبي -رحمه الله-: «فِيهِ جَوَازُ لَعْنِ الْكَافِرِينَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ أَوْلَادِ الْأَنْبِيَاءِ. وَأَنَّ شَرَفَ النَّسَبِ لَا يَمْنَعُ إِطْلَاقَ اللَّعْنَةِ فِي حَقِّهِمْ. وَمَعْنَى: عَلى لِسانِ داوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، أَيْ لُعِنُوا فِي الزَّبُورِ وَالْإِنْجِيلِ، فَإِنَّ الزَّبُورَ لِسَانُ دَاوُدَ، وَالْإِنْجِيلَ لِسَانُ عِيسَى، أَيْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الْكِتَابَيْنِ».



وقد ورد في كتاب الله تعالى عن تمرد اليهود على الله تعالى وعلى أحكامه ما يندى له الجبين، فقد نجاهم الله من فرعون بمعجزة عظيمة وفلق لهم البحر فما كان منهم إلا أن خرجوا من البحر يطالبون بإله يعبدونه من دون الله تعالى قال تعالى: ﴿وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، فما هو أن فارقهم أربعين يومًا فقط للقاء الله تعالى وهم يعلمون -أنه ذاهب للقاء الله تعالى- حتى رجع إليهم وقد عبدوا العجل من دون الله فوقع عليهم غضب الله بأن يقتلوا أنفسهم بأيديهم.

وحتى الذين ذهبوا مع موسى عليه السلام، تطاولوا على الذات الإلهية فطلبوا من نبيهم رؤية الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ فَأَخَذَتۡكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ﴾ [البقرة: ٥٥]، ولما قال لهم نبيهم ادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة، دخلوا يزحفون على استهم وهم يقولون «حنطة» وذلك فقط لعصيان أمر الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا ٱدۡخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ فَكُلُواْ مِنۡهَا حَيۡثُ شِئۡتُمۡ رَغَدٗا وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا وَقُولُواْ حِطَّةٞ نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطَٰيَٰكُمۡۚ وَسَنَزِيدُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ * فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوۡلًا غَيۡرَ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمۡ فَأَنزَلۡنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ﴾ [البقرة: ٥٨-٥٩].

ولما أمرهم الله تعالى بالجهاد مع موسى -عليه السلام- خاروا وجبنوا كعادتهم وردوا على نبيهم ردًا في منتهى السوء: ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤]، فكتب الله عليهم التيه أربعين سنة.

ولما أمرهم الله تعالى أن يذبحوا بقرة، وكان عليهم أن يذبحوا أي بقرة لكنهم لعنادهم جعلوا يسألون عن أدق الأشياء فيها عن عمرها ولونها وعملها، فلما ضيقوا ضيّق الله عز وجل عليهم حتى اشتروها بوزنها ذهبًا.

وكانوا يتحايلون على أوامر الله تعالى من باب المخالفة وفقط، فلما نهاهم أن يصطادوا يوم السبت احتالوا ليخالفوا وهم يعلمون جريمتهم فمسخهم الله تعالى قردة وخنازير، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا عَتَوْاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ [الأعراف: ١٦٦].

ويكفي أن الله تعالى أخبر عنهم أنهم قتلة الأنبياء، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران: ٢١].

فاليهود قوم قست قلوبهم فهي كالحجارة أو أشد قسوة، قال الله تعالى عنهم: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [البقرة: ٧٤]، فقد قالوا عن الله تعالى بأن يده مغلولة، تعالى الله عن قولهم علوًا كبيرًا، وما كان سعيهم في الأرض إلا فسادًا قال تعالى عنهم: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [المائدة: ٦٤].

وما نراه اليوم منهم على أرض فلسطين وفي غزة تحديدًا، لهو عين ما ذكره الله تعالى في كتابه الكريم عنهم من سعيهم في الأرض فسادًا، يقصفون ويدمرون ويهلكون الحرث والنسل، يقتلون الأطفال والنساء والشيوخ دون أدنى رحمة، يقصفون المشافي والمساجد والمدارس وأماكن المأوى، فهذا لا يكون إلا من فسادهم في

الأرض، ولذلك لعنهم الله تعالى فقال: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ * كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾ [المائدة:٧٨-٧٩].



فلا عجب أن يجعل الله الحجر والشجر ينطق دالًا عليهم ليقتلهم المسلمون، فقد لعنهم الله تعالى، ومن لعنه الله لعنته كل المخلوقات حتى الحجر والشجر، فما يراه الحجر والشجر من فسادهم وطغيانهم وقتلهم وجبروتهم وسفكهم للدماء، لهو كفيل بأن يلعنهم ويدلي بشهادته للمسلم عليهم كي يأتي لقتلهم، ولكي تستريح الأرض منهم، وما أجمل قول النبي ﷺ حاكيًا عن الحجر والشجر إذ يقولان: «يَا مُسْلِمُ يَا عَبْدَ اللهِ هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي، فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ».

وإن عبدًا يدل عليه الحجر والشجر لمهزوم لا محالة، وعبدًا لعنه الله تعالى لمدحور لا محالة، وإن انتفخت أوداجه واحمر وجهه، وصرخ بأعلى صوته بأنه على طريق النصر، وسيظل في الحرب حتى يحقق نصرًا مبينًا، فلا والله إنها صرخة كصرخة أبي جهل يوم بدر يوم أن زين له الشيطان فعله، فظن أنه سيغلب بالعدد أو العدة أو بشرب الخمر وعزف القيان، فظل هكذا يزين له الشيطان حتى وقع في شر أعماله، وفر عنه شيطانه لما رأى الملائكة تهرول نحو أرض المعركة حاملة سيوفها ورماحها، وظل اللعين يكابر حتى سقط كجيفة حمار نتنة على ظهر الأرض، تلعنه الملائكة والناس أجمعين، وهكذا (نتنياهو) سيظل يصرخ، ستستمر الحرب رغمًا عن محكمة (لاهاي)، ورغمًا عن كذا وكذا، سيظل هكذا حتى يسقط كجيفة حمار نتن هو، يلعنه الحجر والشجر والملائكة والناس أجمعين.

اللهم أرنا في اليهود يومًا عليهم أسودًا، كيوم عاد وثمود، اللهم طهر الأرض كل الأرض من رجسهم، وطهر الأقصى وفلسطين منهم عاجلًا غير آجل بقدرتك يا قوي يا عزيز.



طوفان الأقصى

أدركوا اللحظة الفارقة



الشيخ مصطفى البدري

الداعية الإسلامي

في يوم السابع من أكتوبر عام ٢٠٢٣م قام الإخوة المجاهدون في غزة بعمل كبير ضد الاحتلال الصهيوني أسموه: طوفان الأقصى. وبعيدًا عن التفاصيل المتعلقة بالأسباب والمقدمات والنتائج أود التذكير هنا بالكلمة البارزة التي أعلنها الأستاذ حازم صلاح أبو أسماعيل أثناء وبعد الثورة المصرية التي بدأت في الخامس والعشرين من يناير عام ٢٠١١م: «أدركوا اللحظة الفارقة».

واللحظة الفارقة هي الأوقات التي لا يكون ما بعدها كما قبلها، بمعنى أنها لحظة تحولات تاريخية قد لا تتكرر كثيرًا في الحياة، وهي التي تسمَّى (الفُرَص). علمًا بأنها تمر بالأفراد كما تمر بالأمم والدول والجماعات.

قال تعالى مخاطبًا عموم المؤمنين: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٢٤]. وقال سبحانه مخاطبًا بني إسرائيل: ﴿قَالُوٓا۟ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٩].

فالآية الأولى تحذير شديد اللهجة من تأخير الاستجابة حتى تصبح صعبة أو مستحيلة على العبد، وهي تشبه قوله تعالى في سورة التوبة: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ * فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ * فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ﴾ [التوبة: ٧٥-٧٧]. فاللحظة الفارقة في حق هؤلاء كانت بالعطاء الذي طلبوه، وكان إخلافهم الوعد بمثابة تضييع الفرصة الذي تسبب في طبع النفاق في قلوبهم إلى يوم القيامة!



والآية الثانية تبشير لأمة من الأمم الكبيرة بالاستخلاف في الأرض، وفي ذات الوقت بيان أن هذا الاستخلاف اختبار وامتحان يقبل الرسوب كما يقبل النجاح.

ومن التاريخ القديم نرى مَن فشل في استغلال هذه اللحظة رغم وضوح الأدلة وتوفر عوامل النجاح كما في قصة ابن سيدنا نوح عليه الصلاة والسلام؛ حيث كان الأب من أولي العزم من الرسل، وكان معه من الآيات ما يدعو البعيد فضلًا عن القريب للإيمان به واتباعه، وعندما جاء الطوفان، وحانت اللحظة

الفارقة.. لم يستفد منها وفشل في استغلالها: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَـٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَـٰفِرِينَ * قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ﴾ [هود: ٤٢-٤٣]

وفي المقابل كان غلام الأخدود عندما ظهرت الدابة التي قطعت على الناس طريقهم، فكانت فرصة للتيقن من صحة سبيل الراهب وضلال الساحر والملك؛ فأحسن استغلال الفرصة، وكان سبباً في إيمان كل أهل البلدة ودخولهم الجنة[١].

ولو أردنا تتبع واستقصاء مثل هذه اللحظات في التاريخ الإسلامي لاحتجنا مساحات كبيرة لا يتسع لها هذا المقام؛ لكن نكتفي هنا بنماذج وأمثلة من السيرة النبوية نتبين من خلالها خطورة هذه اللحظات وتأثيرها على ما بعدها، كما يسهل ربطها والاستفادة منها في موضوع طوفان الأقصى والأحداث الجارية.

١. الهجرة النبوية



لقد كانت الهجرة النبوية من مكة إلى المدينة حدثًا فارقًا بكل معنى الكلمة، بل ربما لا أكون مبالغًا إذا قلت بأنها أهم لحظات التاريخ الإسلامي إن لم يكن الإنساني كله؛ لأنها كانت السبيل لتأسيس دولة الإسلام وبداية الغزوات وانطلاق الفتوحات وتوسيع الرقعة الجغرافية، ومن ثَمّ.. دخول الناس في دين الله أفواجًا.

---

١ انظر الحديث الطويل الذي رواه مسلم في صحيحه برقم ٣٠٠٥، باب قصة أصحاب الأخدود والساحر والراهب والغلام.

وبالطبع.. الحديث عن الهجرة يعني ما سبقها من مقدمات وإرهاصات بداية من إغلاق الطريق على الدعوة في مكة وعرض النبي ﷺ نفسه على القبائل والبحث عن منطلق جديد لدعوته، وصولًا للقائه بالأنصار وانعقاد بيعتي العقبة، وتهيئة المدينة لاستقبال رسول الله ﷺ وبقية المهاجرين؛ فضلًا عما تلاها من أحداث ووقائع كبرى.



٠٢ غزوة بدر

حيث بداية إعلان الجهاد، ولئن كانت بدر لحظة فارقة بالنسبة لعموم المسلمين من هذا الجانب، فإنها كانت بارزة في حق الأنصار رضي الله عنهم عندما استشارهم رسول الله ﷺ في خوض المعركة، فكان جوابهم الخالد على لسان سعد بن معاذ: «امضِ يا رسول الله لما أردتَ فنحن معك، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضتَ بنا البحر لخضتَه لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدوّنا غدًا، وإنّا لصُبرٌ في الحرب صُدقٌ عند اللقاء، فسِر على بركة الله».

٠٣ صلح الحديبية

وقد أسماه بعض العلماء (غزوة الحديبية)، هذا الحدث الذي يحضر كثيرًا في خطابات التخذيل والصد عن الجهاد والمنع من مقاومة الاحتلال! في حين أنه لحظة فارقة بالفعل في ابتكار وسائل جديدة لمواجهة ظلم الأعداء وعدوانهم كما برز ذلك فيما فعله أبو بصير وأبو جندل من تأسيس جماعة تقطع الطريق على قوافل قريش دون المساس بالعقد الذي أبرمه رسول الله ﷺ معهم؛ حتى أجبَروا قريشًا على طلب إلغاء هذا البند المجحف المتعلق برد من جاء مسلمًا من مكة إلى المدينة.

٤. غزوة تبوك



رغم كثرة وأهمية الغزوات التي خاضها رسول الله ﷺ، ورغم أنه لم يقاتل العدو في غزوة تبوك بسبب فرار الأعداء وهروبهم؛ إلا أنها تبقى غزوة فارقة بشكل كبير وملحوظ لكثرة الوقائع المهمة والمؤثرة التي احتفت بها، ويكفي أنها قد استحوذت على مساحة خاصة من القرآن الكريم، لدرجة أن تُفرَد لها سورة كاملة بحجم سورة التوبة.

ولو ذهبنا نتتبع الآيات والأحاديث المتعلقة بمعنى اللحظة الفارقة في غزوة تبوك فقط، لربما احتجنا إلى مقالين أو أكثر من حجم هذا المقال، لكني سأكتفي فقط بالإشارة إلى ما كان من صدق كعب بن مالك رضي الله عنه وثباته عليه، حتى قال في آخر سياق قصته التي رواها بنفسه: «قلتُ يا رسول الله: إن الله تعالى إنما أنجاني بالصدق، وإنّ من توبتي ألا أُحَدِّث إلا صدقًا ما بقيت»[٢].

والذي أحتاج لإبرازه هنا من هذه الأربع هو صعوبة هذه المواقف والقرارات التي يترتب عليها أثمان باهظة؛ لكنها في ذات الوقت تمثل منعطفًا تاريخيًا إيجابيًا لمن يصدق الله عز وجل ويحسن الاختيار.

فالهجرة وترك الأوطان والأهل والأحباب من أشق الأمور على نفس الإنسان وأصعبها؛ لذلك كانت كلمته ﷺ لأرضه مكة: «لولا أن قومك أخرجوني ما خرجت».

---

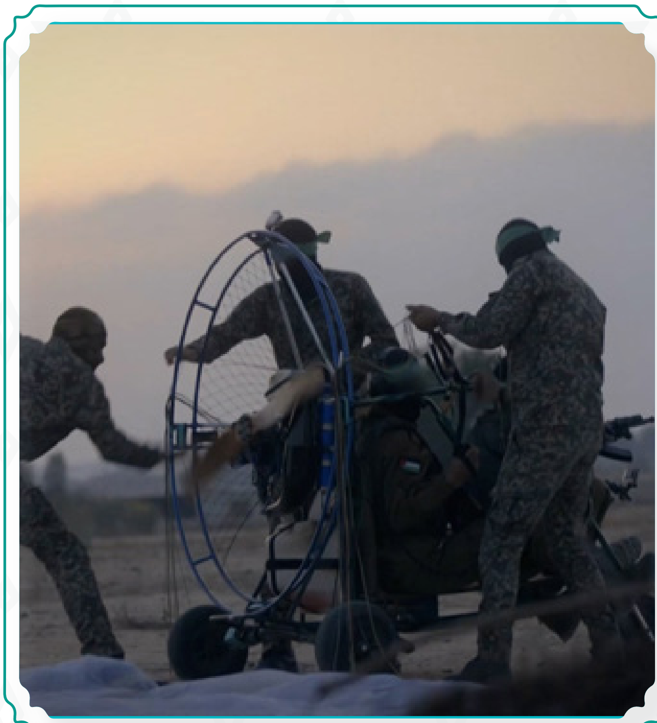
٢ القصة بطولها مروية في الصحيحين (البخاري ومسلم)، وقد جمع رواياتها الإمام النووي في كتابه العظيم: رياض الصالحين، باب التوبة. فليرجع إليه من شاء الاطلاع عليها.

كما كانت كلمة سعد بن معاذ بعد كلام ثلاثة من كبار المهاجرين؛ حيث كان أصل الاتفاق هو حماية النبي ﷺ داخل المدينة وليس خارجها، والمشاركة في هذه المعركة يعني بداية حرب واسعة النطاق بين أهل المدينة وكل المحيطين بهم من القبائل التي ترفض الإسلام.

وكذلك ما فعله أبو بصير وأبو جندل رضي الله عنهما يعني أنهما ومن يلتحق بهما بلا ظهير يدفع عنهم أو ينتصر لهم.

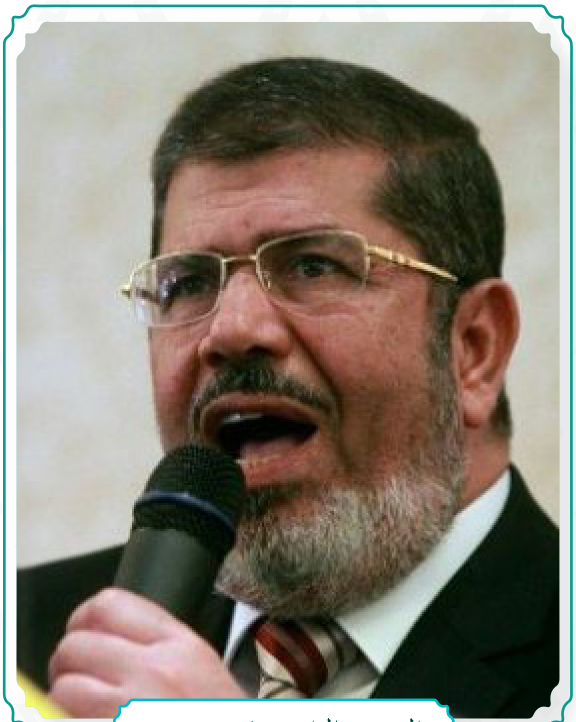
أمّا كعب بن مالك فقد لامَه الناس وعاتبوه على صدقه واستنفروه ليرجع ويكذِّب نفسه أمام رسول الله ﷺ؛ لكنه صبر وصدق وتحمل البلاء الشديد الذي تعرض له جراء ذلك، لينزل القرآن مثنياً عليه وعلى صاحبيه، بل وآمرًا بسلوك سبيلهم والسير على دربهم: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]. والصادقون هم كعب وأصحابه.

طوفان الأقصى واللحظة الفارقة



عندما بدأت العملية المباركة يوم السابع من أكتوبر فرح الجميع وهلل (وهذا حق)، وعندما بدأ العدو الصهيوني وحلفاؤه عدوانَهم الغاشم على أرض غزة وشعبها، وظهرت خطورة المعركة على مستقبل المنطقة بأسرها، واستبان للجميع أنها لحظة فارقة، وأن ما بعدها لن يكون كما قبلها، تساءلت الشعوب الإسلامية عن دورها في هذه

الحرب الكبيرة (وهذا أيضًا حق)؛ لكن سريعًا ما بدأت الأحلام تتقلص والآمال تتضاءل أمام إجرام غير محدود من دول وجيوش همجية لا تتفق على شيء كاتفاقها على الإسلام وأهله، في حين ظلت -أغلب- أنظمة الدول الإسلامية تضرب أخماسًا في أسداس! يريدون المشاركة العاجلة في القضاء على المجاهدين وفي نفس الوقت يخافون من ثورات شعوبهم التي توشك أن تنفجر في وجوههم؛ فقرروا المناورة والمراوغة لامتصاص الحماسة العالية وتمرير الموجة العاتية.



الرئيس الراحل محمد مرسي

وكان لهم ما أرادوا!

ولم تظهر دولة واحدة بجيشها ومؤسساتها لتقول للعدو: لن نترك غزة وحدها (رحمة الله على الرئيس الشهيد: د/ محمد مرسي). حتى الدول التي كان يُؤَمَّل منها الخير وإدراك اللحظة الفارقة.. قرَّرَتْ ألا تزيد عن الموقف الرسمي لبقية الدول العربية والإسلامية! ولنا هنا أن نتعجب.. ألا يوجد بين هؤلاء من يريد أن يصنع من نفسه بطلًا؟! أليس فيهم باحث واحد عن الزعامة؟! هل أصبح المجد والتاريخ أمرًا زهيدًا لهذه الدرجة؟! إنها فرصة.. وأي فرصة؟ لكن لا تجد من يحسن استغلالها؛ ولو لصناعة مجد شخصي أو بطولة زائفة!

أظن (وبعض الظن إثم) أن السبب الرئيس هو خروج شعوب الأمة الإسلامية من المعادلة! ولست هنا بصدد الحديث عن أسباب ومقدمات هذه النتيجة؛ لكني أريد أن أنطلق منها لأحاول الجواب على السؤال:



كيف لهذه الأمة (بطاقاتها المتعددة المتجددة وقواها الحية وعلمائها وكياناتها) أن تدرك اللحظة الفارقة؟

نقول وبالله التوفيق:

- أولًا (وهو الأطول والأهم): ترك الأطراف واقتحام قلب المعركة

لا ينبغي للمسلم أن ينظر لنفسه على أنه عنصر فاعل في معركة بعيدة عنه، فضلًا عن أن يكون عاملًا مساعدًا، بل يتوجب أن يتعامل كجندي داخل الساحة، يعيش بانتصار الفئة المؤمنة عزيزًا مرفوع الرأس، ويموت بهزيمتها أو يعيش منكسرًا أسيرًا يبحث عن مخرج أو مهرب ليعيد الكرّة مرة أخرى لمواجهة العدو. نحن في قلب المعركة ولسنا على أطرافها، ولابد من استيعاب ذلك ماديًا ومعنويًا.

فحقيقة الأمر أن بلادنا واقعة تحت وطأة الاحتلال، وإن كان رؤساء أنظمتنا محسوبين علينا منتسبين لديننا متسمين بأسمائنا!

الفارق بين القدس وبين القاهرة ودمشق وعمّان وحتى مكة والمدينة شكليٌّ فقط، لكن الحقيقة هي أن المحتل الغربي يحكم الجميع ويدير الدّفّة بحسب القواعد التي تضمن بقاءه واستمراره (وتوسعه إن أمكن)، ويغير في الأشكال والوجوه بحسب مصلحته الآنية والمستقبلية، هو الذي يرسم لنا حدودنا الجغرافية، وهو الذي يفرض علينا ساستنا وحكامنا، وهو الذي يعبث في مناهجنا التعليمية، وهو الذي يسيطر على وسائل

إعلامنا، وهو الذي يختار رموزنا والمعبرين عن ثقافتنا وتاريخنا، وهذا أمر مادي ملموس، أرجو أن يكون مقررًا ثابتًا غير قابل للتشكيك.

والمعركة الدائرة حاليًا على أرض فلسطين تُعَد فرصة مهيأة لنا لأجل حلحلة الأوضاع، وإحداث بعض التغيرات النسبية على الساحة السياسية في منطقتنا العربية والإسلامية، وهذا يفيدهم ويفيدنا كما حدث أيام ثورات الربيع العربي أواخر ٢٠١٠ وما بعدها.

وهزيمة المجاهدين في أي ساحة بعيدة فضلًا عن القريبة تعني مزيدًا من التوحش والإجرام ضد المعالم والرمزيات الإسلامية في بلادنا.

أمّا الجانب المعنوي.. فهو رباط الأخوّة الإيمانية الذي يجعل المسلم يتألم لأي مصاب يلحق بإخوانه في أي بقعة من هذه الأرض، فقد قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ﴾ [الحجرات: ١٠]. وقال ﷺ: «المُسْلِمُ أخُو المُسْلِمِ لا يَظْلِمُه ولَا يُسْلِمُهُ». وقال أيضًا: «مَثَلُ المُؤْمِنِينَ في تَوادِّهِمْ، وتَراحُمِهِمْ، وتَعاطُفِهِمْ مَثَلُ الجَسَدِ إذا اشْتَكَى منه عُضْوٌ تَداعَى له سائِرُ الجَسَدِ بالسَّهَرِ والْحُمَّى»[٣].

فالواجب الشرعي إذن أن يبذل المسلم لإخوانه في هذه الحرب ما يبذله لأهله وذويه من مال وجُهد ووقت؛ قال الكمال ابن الهمام رحمه الله: «فإن كان بأن هجموا على بلدة من بلاد المسلمين، فيصير من فروض الأعيان... فيجب على جميع أهل تلك البلدة النَّفر، وكذا من يقرب منهم إن لم يكن بأهلها كفاية، وكذا من يقرب ممَّن يقرب، إن لم يكن بمن يقرب كفاية، أو تكاسلوا أو عصوا، وهكذا إلى أن يجب على جميع أهل الإسلام شرقًا وغربًا»[٤].

---

٣ الحديثان في الصحيحين.

٤ فتح القدير.

وقال ابن عبد البرّ رحمه الله: «وإن عجز أهل تلك البلدة عن القيام بعدوّهم كان على من قاربهم وجاورهم أن يخرجوا قلّوا أو كثروا على حسب ما لزم أهل تلك البلدة حتى يعلموا أن فيهم طاقة على القيام بهم ومدافعتهم، وكذلك كلّ من علم بضعفهم عن عدوهم، وعلم أنه يدركهم ويمكنه غياثهم؛ لزمه أيضًا الخروج إليهم، فالمسلمون كلهم يَدٌ على من سواهم»[٥].

وقد رأينا جميعًا البذل الأمريكي والعطاء البريطاني والدعم الفرنسي والمساندة الألمانية للكيان الصهيوني المحتل، وقد قال لنا ربنا سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ إِلَّا تَفۡعَلُوهُ تَكُن فِتۡنَةٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَفَسَادٞ كَبِيرٞ﴾ [الأنفال ٧٣]، فعدم فعل الواجب علينا تجاه إخواننا يترتب عليه من الشر والفساد في الأرض ما يعود علينا وعلى أهلنا وأبنائنا بشكل مباشر وكبير.

وأكرر.. لك أن تخيل مقدار التغول المتوقع من كل قوى الاحتلال داخل دولنا وإحكام السيطرة علينا وعلى مقدراتنا حال هزيمة إخواننا في هذه المعركة لا قدر الله.



من هنا نقول: نحن نعيش لحظة فارقة بالنسبة لكل العاملين للإسلام، بل لكل محب مخلص لله ورسوله.

● ثانيًا: خلق المساحات وتوسيع الدائرة

أيضًا مما يظهر كونه لحظة فارقة في هذه المعركة هو ما أعلنه العدو من تصريحات غير مسؤولة فتحت عليه

---

٥ الكافي في فقه أهل المدينة.

وعلى أسياده أبوابًا لم تكن مفتوحة من قبل! فوزير الخارجية الأمريكي هو الذي صرح يوم ١٢ أكتوبر: «جئت إلى هنا كيهودي وليس فقط كوزير خارجية أمريكا».

وهنا يكون قد فتح المجال على مصراعيه لخطابات طالما وُصِفَت بالعنصرية والطائفية، وإن كنا نعلم الحقيقة أصلًا، لكن فتحهم الباب يعطي مساحات أوسع للمستضعفين والمظلومين أن يكثروا من استعمال المصطلحات المحظورة إعلاميًا والتي يوصف صاحبها بالإرهاب (الجهاد/ الولاء والبراء/ الكفار/ أعداء الإسلام... إلخ).



بل إن تكرار زيارته للكيان هو ورئيسه وغيرهم ودعمهم غير المحدود في هذه الحرب هو نفسه شرعنة لكونها مواجهة أممية (أمة الإسلام/ أمة الكفر) وفي هذا السياق يقول الله سبحانه: ﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ كَآفَّةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٣٦].

ومن المعلوم بداهة أن بدأه وشرعنته لا يعني أن المناوئين في مأمن من بطشه وطغيانه، لكننا هنا نستغل الفرصة لزيادة الضغط عليه وتشتيت انتباهه، لدرجة أن إصابة أحدنا بنيرانه تعني فتح الطريق لمرور آخر، وحتى في مساحات (مواقع التواصل الاجتماعي) يحدث اختراق بسبب كثرة المحتوى المحظور وتتابعه، وكما فشلت منظومة (القبة الحديدية) وتعطلت نظم وأجهزة المراقبة يوم السابع من أكتوبر بسبب عوامل الكثرة والمفاجأة؛ نستطيع بعون الله أن نفعل الشيء نفسه مع أجهزة الأمن وجواسيس الأعداء القابعين فوق رؤوسنا.

وعلى كلٍ.. فهذه هي اللحظات التي تُستحضَر فيها المعاني الإيمانية العالية: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ * قُلۡ هَلۡ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحۡدَى ٱلۡحُسۡنَيَيۡنِۖ وَنَحۡنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمۡ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٖ مِّنۡ عِندِهِۦٓ أَوۡ بِأَيۡدِينَاۖ فَتَرَبَّصُوٓاْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ﴾ [التوبة: ٥١-٥٢].

وكذلك: ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنَا سُبُلَنَاۚ وَلَنَصۡبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيۡتُمُونَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ * وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمۡ لَنُخۡرِجَنَّكُم مِّنۡ أَرۡضِنَآ أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۖ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ رَبُّهُمۡ لَنُهۡلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ * وَلَنُسۡكِنَنَّكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾ [إبراهيم: ١٢-١٤].

وأيضًا: ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمَا ٱدۡخُلُواْ عَلَيۡهِمُ ٱلۡبَابَ فَإِذَا دَخَلۡتُمُوهُ فَإِنَّكُمۡ غَٰلِبُونَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [المائدة ٢٣].



وغيرها مما يحتاج فقط لتذكير واستنفار.

ثالثًا: الهجرة والاشتباك المباشر

ربما يكون المعلَن والظاهر هو أن إخواننا لا يطلبون دعمًا بشريًا من الخارج، بل ربما يكون ذلك هو الحقيقة أيضًا؛ لكن هذا لا يعني توقف وامتناع من يستطيع ذلك عن التفكير والتخطيط لهذا الأمر، فالأحوال تتغير بشكل مستمر، والهجرة تمتنع حينًا وتلزم وتتيسر أحيانًا، ومشكلتنا الحالية ليست في كونهم بحاجة لدعم بشري أم لا، إنما تكمن المشكلة الحقيقية في عدم وجود خطط وسبل للقيام بهذا الدعم عند طلبه أو الاحتياج إليه!

فلا ينبغي والحال هكذا أن نظل ندندن حول منع الفكرة وإلغائها من الوجود؛ بل ينبغي أن يظل الجميع متعلقًا بفكرة الاشتباك المباشر في المعركة من داخل الأراضي المقدسة، وينبغي أن يحرص الساسة والعلماء والمفكرون على إيجاد حل للمعضلة التي تحول بين شباب الأمة والمشاركة المباشرة في تحرير بيت المقدس وما حولها، كما ينبغي أن نترك الشباب يجتهد ويبدع في ذلك؛ ليس بالضرورة لأجل هذه المعركة بعينها، ولكن لفتح سبل الدعم والإمداد، التي هي من أهم مكونات الحروب الطويلة ذات الخسائر الكبيرة.



والعجز الحالي عن إدخال الدواء والغذاء ما هو إلا فرع عن العجز عن دخول البشر الذين يحملون معهم هذه الأشياء!

وعلى المستوى الفردي.. ينبغي على كل شاب حالم بالجهاد والمشاركة في الحرب المقدسة أن يستعد ويتجهز لها، فحياة المؤمن تدور بين الجهاد والاستعداد، أما أن يظل راكنًا إلى الدنيا متمتعًا بشهواتها ولذاتها، ثم فجأة يقول: أريد أن أكون مجاهدًا في الميدان؟ فهيهات هيهات! والكل يعلم أن دون الوصول للميدان مخاطر وصعوبات، فضلًا عمّا تحتاجه المعركة من تهيئة نفسية وإعداد بدني وقوة إيمان ينبثق منه الصبر والثبات واليقين.

وهذه لحظة فارقة من جهة الرغبة ووجود العون على القيام بهذا الإعداد والاستعداد ربما لا تتوفر في غيرها من الأوقات؛ قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ﴾ [الأنفال: ٦٠].

رابعًا: نشر فكرة تهديد مصالح الكيان وأنصاره



لا شك أن الأمة حاليًا بجميع فئاتها ومكوناتها تعيش انتفاضة لا تتكرر كثيرًا، وهذه الحال تفاعلًا منها مع اللحظة الفارقة (طوفان الأقصى)، وقد رأينا ذلك في دعوات وفعاليات المقاطعة لكل ما هو داعم للكيان الصهيوني مؤيد له.

فهنا علينا أن نوجه خطابًا فاعلًا للجميع بحيث لا يُستثنى أحد من هذا الخطاب، حتى من نظن أنهم بعيدون عن نصرة القضية والمشاركة معنا؛ فالعدو غالبًا ما يلعب على هذه الفئات المستثناة من الخطاب الإسلامي ويستغلها في تحقيق مصالح ومكتسبات، وكذلك إحداث نوع من الشروخ والتصدعات في البنيان من الداخل!

وهذه الفئات لابد أن تعلم أنّ مصلحتها (ولو كانت دنيوية) مع الأمة التي تعيش وسطها وليست مع العدو المحارب، ولابد أن تكون داخلة ضمن خطابنا ولو بالاستنفار والاستفزاز، وقد جاء في الحديث: «إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر» وفي رواية: «بأقوام لا خلاق لهم».

والهدف من ذلك أن يكون العمل ضد مصالح العدو مشاعًا بين العامة، بدلًا من أن يكون محصورًا في فئات معينة، وخاصة على المدى البعيد، فالعدو يراهن كثيرًا على قصر نفس العاملين ضده لقلة عددهم وضيق أفق تحركهم؛ في حين أن اشتباك الجميع (رغبة ورهبة) من شأنه الاستمرار وقوة التأثير وتعدد

اتجاهات العمل، حيث أن لكل فئة أدواتها وأفكارها الخاصة؛ وما عمله الجندي محمد صلاح على الحدود مع العدو وكذلك جندي الإسكندرية ليس بالأمر الهين في مثل هذه الحروب، وهذا وإن كان دون المأمول بكثير، لكنه في بلد واحد فقط وهي مصر؛ فكيف إذا نُشر وعُمم؟!

وأخيرًا: أنبه أنني لم أرد هنا الاستقصاء، ولكني رغبت في التركيز على استغلال الفرصة والدخول في مساحات يصعب أن تكون متاحة في كل الأوقات وعلى كل الأصعدة كما هو الحال الآن؛ كما أن الفضاء الإلكتروني مليء حاليًا (والحمد لله) بالكلام عن وسائل الدعم والمناصرة المطلوبة من عموم أبناء الأمة الإسلامية.

وسبحان الله! بعدما كتبت هذا المقال وأثناء المراجعة قبل إرساله للتصميم والنشر كنت أستمع لكلمة الدكتور إسماعيل هنية أمام مؤتمر الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين؛ فقال في سياق كلمته: وآن الأوان ألا تفلت منّا هذه اللحظة، أيها السادة: قلما يجود الزمان بمثل هذه اللحظات التاريخية، إياكم أن تفلت منكم؛ لأنها إن أفلتت لا ندري كم نحتاج من العقود حتى تعود.

فكانت خير ما نختم به؛ والله من وراء القصد.

الوزن الحقيقي

تأملات حول الشهيد الساجد



د. أحمد شتيوي

أخصائي طب الأسنان



تأملت في تلك السبابة المجاهدة وهي تلوح بقوة قبل الاستشهاد، ثم تعالت لتصبح سجدة، ثم تعالت لتصبح قدوة تسري بين ملايين المسلمين وربما ملايين البشر.

في البداية ظلت يده اليمنى تنتفض، ظل يلوّح بها وبسبابتها وكأنه يقاتل بها عدواً.. كأن يده تهتف ولسانها هو السبابة، السبابة الحية النابضة.. تلك السبابة التي كانت تقاتل على الزناد، ولكن لسبب ما لم يكفه التلويح بها فعزم وأتمها سجدة، ثم طارت السجدة ولفت الأمة!

أحياناً تُبرز الأحداث قادة لم يكن أحد يعلمهم ولا يعلم ملكاتهم، يبرزون وقت أزمة بتصديهم لها وإحداثهم أثراً معها، فيعرف الناس قدرهم ويلتفون حولهم، ولكن أن يحدث هذا الأثر بلحظة رحيلك.. فهذا أمر مختلف.



الشهيد الساجد تيسير أبو طعيمة تقبله الله

أن تحدث الأثر بموتك معناه أن الأثر ليس من صنعك، إنه من صنع من قدر لك المشهد، من قدر لك طائرة تصورك، بيد عدوك..

هل كان يعلم هذا الشهيد أن الله سيجري فتحاً على يديه أم كان يخيل وجسده ينتفض انتفاض الموت أن هناك بالأعلى شيئاً ينقل خاتمة حياته للملايين؟ لماذا هو بالتحديد؟

لماذا هذا الذي لم نعرف أنه ألف كتاباً أو أسس جماعة أو تياراً أو قاد حركة أو مهد لشيء؟ مَن هذا؟

لماذا كتب الله لهذه السجدة أن تقرع قلوب الآلاف قرعاً قوياً غريباً عميقاً، لا تقرعه خطب ولا مقالات ولا كتب كثيرة؟

كل من عالج هذا الفيديو يعلم أنه أمام مؤشر لقياس الذات، كلما تذكره وقف عنده وقفة الحزين المتوجس ..هل أستطيع يوماً أن أبلغ هذا المقام؟

إن احتسبنا هذا الساجد ولا نزكي على الله أحداً، وإن احتسبنا تلك السجدة كأنها مصباح قوي صاف ولا نزكي على الله عملاً، فإن تلك البصمة القلبية النادرة لم تكن لتحصل إلا لمن يرضى الله عنهم فيأذن لهم أن يهدي بهم غيرهم.

كنا نربَّى في المسجد على أن نكون ذوي أثر، وأن يهدي الله على أيدينا، وأن ثواب وحسنات كل من هداه الله على أيدينا في موازيننا، وكانت ولا تزال صورة هذا الذي يفتح الله على يديه في نفوسنا لها جمال، مزخرفة ومبروزة داخل برواز أنيق وجميل، زخارف جميلة وشريفة، منها مثلاً العلم الشرعي الواسع، ومنها الشخصية الكاريزماتية الجاذبة الجامعة، ومنها أيضاً الحركية والنشاط العالي والهمة الظاهرة الدالة على الهم والبذل والصدق في المسعى، وكلها موازين دالة وجاذبة، إلا أن هذه الموازين لا تكفي وحدها لتفعل مثل تلك السجدة، بل وكما رأينا ليست حتى شرطاً لأن تفعل!



هذه الصورة المزخرفة ليست هي أساس ما يرقى بالعبد في سلم الشرفاء، الشرفاء المأذون لهم بأن يكونوا أسوة حسنة!

لنعد قليلاً إلى السابع من أكتوبر، ولفيديو آخر لم نرَ صاحبه ولكننا سمعناه بعد أن سمعنا الرصاصة التي اخترقت جسده، سمعناه يسرع بلفظ الشهادة وكأنه يخاف ألا يسعفه القدر لإكمالها، وقد كان مصيباً فقد سقط سريعاً وسكن!

تساءلت لماذا يسرع هكذا بلفظ الشهادة، أليس على يقين أن الموت محيط به؟ وهو خارج له أصلاً؟ وربما مات بصاروخ لن يسمع صوته ولن يبقي له لساناً يلفظ به كلمة.. لماذا ظل الساجد ينفض يمناه بالسبابة ثم لم تكفه فتحامل على ظهره المثقوب فأتمها سجدة؟

هل كان خائفاً ألا يختم حياته بثبات مثلما خاف سابقه الأول؟

هل هو تسارُع وحرص خوفاً من سوء الخاتمة!

إنهم المجاهدون، الحذرون ليس من الموت، ولكن مما قبل الموت..

إنه الجهاد، الذي ينزعك من حياتك نزعاً ويرسم لك طريقاً يريده هو، يكتب عليك خطوات لا تعلم ما يليها! إلا أن تستئزر بالصبر والثبات والتسليم!

هذا الجهاد ينزع كل مجاهد من تلك الصورة ذات البرواز والزخارف التي يتمنى كل منا وإن كان صادقاً أن يعيشها، فَمَن ذو همة لا يريد أن يكون عالماً مؤثراً قائداً مصلحاً؟

مَن ذو همة لا يريد أن يفعل أعظم عمل فينال أعلى مرتبة، مرتبة العلم والعلماء.. العلماء الذين يربون الشهداء، أهل العلم.. العلم بما فيه من صبر وبحث وطعم جميل يعرفه من ذاقه، البحث عن الشفاء من سؤال، الفضول الطيب وري الروح بكل جديد، ولذة الإنتاج بالبحث والاستنتاج، هذا البناء والتسلسل الشاق اللذيذ الذي يرى المرء ثمرته في نفسه التي ترقى رقياً قيماً فيسعد بجهده وحُق له أن يسعد، ويشبع قسماً من حاجات النفس الأساسية، وهي تحقيق الذات والقيمة في هذه الدنيا، وهي هدف شريف مشروع، راقٍ وعالٍ.. فمن كالعلماء؟ النجوم اللامعة، إلا أن هذا عند آخرين درجة ثانية وليس الدرجة الأولى.

حتى هذه تركوها!

تركوها لأن الله طلب منهم أن يكونوا جنوداً في ثغر آخر، فحتى ثمرة تحقيق ذاتك لن تراها في هذه الدنيا، فأنت بائع نفسك بما فيها من آمال وأهداف، أنت وقف لله يضعه أينما شاء ويقبضه وقتما شاء!

ولذلك بكى سيف الله المسلول عندما أمسك المصحف قائلاً: **شغلني عنك الجهاد في سبيل الله.**

إنهم جنود الزمان، يدورون حيث يدور الإسلام، إن طلبهم جنوداً كانوا جنوداً، وإن طلبهم علماء كانوا علماء، إن طلبهم استشهاديين كانوا، وإن طلبهم مفاوضين كانوا، لا طموحات شخصية ولا اجتماعية، كل هذا مؤجل إلى حين.. حين لقاء الله.



الجهاد في فلسطين

واجب على المسلمين



د. عمر عبد العزيز قريشي

عميد كلية الدعوة الأسبق بجامعة الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم..

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الملك الحق المبين، وأشهد أن سيدنا وأستاذنا وحبيبنا محمداً عبدُ الله ورسوله، وصفيُّه مِن خَلقه وحبيبه، وخيرته من عباده وخليله، خير مَن بلغ الرسالة وأدّى الأمانة ونصح لهذه الأمة؛ فمحى الله به الظُّلمة، وكشف به الغمة، وجاهد في سبيل ربه حتى أتاه اليقين، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه وأحبابه ومَن اهتدى بهديه وسار على نَهجه إلى يوم الدين، أما بعد:

فالحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والحمد لله على كل حال، فأما «الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات» فتُقال في النعم والأفراح والمسرّات، وأما «الحمد لله على كل حال» فهي في المصائب والابتلاءات. ولما كان طوفان الأقصى يجمع بين الأمْرين:

- بين انتصار المقاومة ودحر العدو الذي (لا يُقهر!) وهزيمة (أقوى جيش!) يمثل الجيش الرابع في العالم، وأنه ساءت وجوههم فاندحروا خاسرين؛ فقلنا «الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات».

وأما هذا الدمار غير المسبوق في غزة، خاصة بتدمير البنية التحتية وقتْل الشيوخ والنساء والأطفال بأعداد لا تُعد بالعشرات ولا المئات بل الآلاف وعشرات الآلاف، قلنا ونقول: «الحمد لله على كل حال».



إنه لجهاد نصرٌ أو استشهاد

وهذه طبيعة الجهاد في الإسلام، كما دائماً نسمع في ختام بيان أبي عبيدة القسامي: «إنه لجهاد، نصرٌ أو استشهاد». نعم، إنها حقيقة النصر في الإسلام: إما الفوز بالشهادة أو فوز بالانتصار.

قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ۖ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ﴾ [التوبة: ٥٢].

فالمقياس الإيماني يختلف عن مقاييس البشر، تأتي الطعنة للمسلم وهو يجاهد في سبيل الله فيقول: «فزتُ ورب الكعبة.. فزت ورب الكعبة». والمشرك يراه مُدرَجاً في دمائه ويسقط قتيلاً ويقول: «أي فوز هذا الذي يتكلم عنه؟! أي فوز هذا؟!».

هذا هو الفوز ورب الكعبة، هذا الذي قال الله عز وجل عنه -في شأن طائفة صُنعت لهم الأخاديد وحُرّقوا بالنيران- فوصف الله عز وجل ذلك بالفوز الكبير فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ﴾ [البروج: ١١].

والصبر عندنا نصرٌ، وبالصبر يكون النصر؛ كما قال الله عز وجل في عوامل النصر: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال: ٤٥]. وعلّمنا ربنا عز وجل عاقبة الصبر فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]. فحقيقة الانتصار: ما بين فوز على الأعداء، أو شهادة في سبيل الله عز وجل.

وأعدّوا

ودعانا الإسلام إلى الإعداد قبل الجهاد، إلى الإعداد البدني والنفسي والإيماني والتربوي والعلمي والعسكري والسياسي والإعلامي، وسائر المجالات للمسلمين خارج نطاق الجهاد، فإن هذا الواجب هو دورهم، وهو الذي يدعم إخوانهم في هذه المعارك، كما أنه يحسّن من نتائج المعارك القادمة، التي هي انتصارات وفتوحات بإذن الله، وهي وعد من الله عز وجل لا يتخلف.



وإن الله عز وجل قد بيّن لنا كثيراً من معاني النصر في الكتاب والسُّنة وأن التضحية والفداء والاستشهاد في سبيل الله قد يكون هو النصر في حق الفرد، وبه يكون قد أبلغ في المجاهدة وقدّم عذره. فالشهيد منصور

مأجور عند ربه مهما كانت نتيجة المعركة، والذي بذل ما عليه هو المنصور المأجور عند ربه.



بل أحياء

وأما ما يصيب الأطفال والنساء والأبرياء من الموت والجروح والأحزان، فذلك من حكمة الله عز وجل وهو أمر فيه الرحمات، ظاهره البلاء والشدة والشر، ويكمُن في باطنه الخير كل الخير، كما في قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦].

آهٍ لو كُشف عنا الحجاب! فرأينا حال هؤلاء الشهداء من الشيوخ والأطفال والنساء وما هم فيه من الفرح!

وأنهم يريدون أن يخبرونا عما حدث لهم، وعن النعيم الذي هم فيه، فتولى الله عز وجل الإجابة عنهم:

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ * ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ * ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ * فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ * إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٦٩-١٧٥]

ومَن يتولّهم منكم فإنه منهم



إنما المصيبة في مَن تخاذل عن الجهاد، وراحوا يدعمون الصهاينة ويساعدونهم بالكلمة والإمداد والسلاح وكل ما يقدرون عليه!

حين فعلت أمريكا هذا وقامت بهذا الدور الذي قامت به.. نحن ننكر عليهم هذا، لكن الشيء من معدنه لا يُستغرب!

لكن أن يقوم حكام المسلمين.. حكام العرب.. بتلك الخيانة العظيمة! فكلهم يناصر الصهاينة ويؤيد اليهود؟ أو يسكت عما يفعلونه؟ فهذه والله هي الطامة! وهذه الحرب هي الفاضحة وهي الكاشفة! وقد أفصحت عن هؤلاء المحتلين لنا ولبلادنا.

وهم بولائهم لليهود والنصارى.. من هم؟ هم كما قال ربنا عز وجل: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ * فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَـٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَـٰدِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١-٥٢].

نعم، ولاء حكامنا لليهود يجعلهم يهوداً، فمن لم يكن يهودياً نسباً كان انتماءً وولاءً، ولكن نحن المسلمين لنا الحكم بالظاهر والله يتولى السرائر.

الجهاد في فلسطين واجب على المسلمين



وأنا أقول: إن الاحتلال الصهيوني يستخدم أسلوب الكذب وأسلوب الانتقام، ويبرر فشله بالكذب في الرواية والانتقام من المدنيين، وإن ما فعلتْه المقاومة في تلك المعركة أثبت للعالم أن ما كان يبدو مستحيلاً أصبح ممكناً، وأن الكيان الصهيوني ليس كياناً لا يُمكن التخلص منه.

لقد انتصرت قوة الإيمان والثبات والعزيمة والبأس والصمود أمام العدو، لقد أعطتنا درساً عملياً لتطبيق أهم الركائز الإيمانية.

نعم، هذه المعركة تحتم علينا أموراً. تحتم علينا أن نواليها وأن نناصرها، وأن نؤيد المقاومة بكل ما نستطيع من قوة لدفع العدوان الجاثم عليها وعلى المسجد الأقصى وعلى كافة شعبنا في فلسطين، وإن هذه المقاومة إنما هي جهاد مشروع مقدس، والجهاد ذروة سنام الإسلام، وإن المقاومة الباسلة هي منا ونحن منهم، نوالي مَن والاهم ونعادي مَن عاداهم، وإن كل مَن والَى اليهود أو النصارى وظاهرَهم على الفلسطينيين والمسلمين فهو منهم، وأنه يجب علينا دفع العدوان.

والجهاد الذي في فلسطين جهاد دفع متعيّن على المسلمين، فإن عدوان الصهاينة على غزة والأقصى والقدس وفلسطين، إنما هو عدوان على الدِين والنَّفس والعِرض والمال، يجب دفعه وصده، وهو متعيّن شرعاً على كل مَن كان قادراً من المسلمين، إلى حين إنهاء هذا العدوان إلى غير رجعة، وإن التخلي عن نصرة غزة في حكم الفرار يوم الزحف.

وإن العدوان على غزة وفلسطين يستوجب على كل مَن هم بالداخل الفلسطيني دفع العدو وقتاله، وإنهم إذا عجزوا عن رده وصده فإنه يتعين الجهاد حسب المستطاع على دول الطوق التي تلي فلسطين.

ومَن تولى عن القتال داخل فلسطين وعن الجهاد من دول الطوق وتركه فاراً من واجبه المتعلق به، فهو في حكم الفارّ من الزحف عند تعيّنه شرعاً، وإنه يتحمل وزره بقدر ما يقع من أخطار وأضرار بسبب توليه وتخليه وفراره، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ * وَمَن يُوَلِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفٗا لِّقِتَالٍ أَوۡ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٖ فَقَدۡ بَآءَ بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [الأنفال: ١٥-١٦].

إغلاق المعابر خيانة لله ورسوله



ونعلن أن إغلاق المعابر والحدود خيانة لله ورسوله، يتعين شرعاً على دول الطوق أن تفتح المعابر فوراً وعاجلاً للإغاثة اللازمة، وتطويق الكارثة الإنسانية الضخمة، والحيلولة دون الإبادة الجماعية لشعب غزة كله، وأنه لا يجوز بأي وجه أو شكل أو سبب غلق المعابر، خاصة (معبر رفح) الذي يُعد شريان الحياة الضرورية.

وإن الاستمرار في الغلق خيانة لله ورسوله ﷺ، وأنه مَن يموت من أهل غزة دون إسعافه يكون مَن تسبب في ذلك بالغلق متسبباً في موته وهلاكه، وأن عليه ضمان الخسائر في الأرواح والأموال، وأنه من يتضرر في نفسه أو عائلته أو ماله بسبب ذلك الغلق يكون مَن تسبب في ذلك بالغلق مأموراً بضمان ما تسبب في إتلافه حاملاً ذنبه إلى يوم القيامة.

وعموماً.. ما يتعرض له الغزيون من قتل أو إضرار بسبب الإغلاق يكون جريمة بالتسبب، سواء أكان المتسبب جهة عسكرية أو أمنية أو سياسية، أو أي جهة تكون متسببة في ذلك، كما يُعد من أعظم الذنوب عند الله تبارك وتعالى في الآخرة، ومن مقتضيات الملاحقة القانونية والقضائية في الدنيا فضلاً عن كونه عوناً للعدو المحتل في قتل شعبنا وتخريب العمران وتدنيس المقدسات.

قاطعوا العدو المحارب



وأمرٌ مهم ينبغي فعله وعدم نسيانه، ألا وهو: المقاطعة الشاملة، حيث تجب مقاطعة العدو المحارب مقاطعة كاملة.. سياسياً وسياحياً وأكاديمياً ورياضياً واقتصادياً.

والمقاطعة الاقتصادية تكون بمقاطعة منتجاته وبضائعه مباشرةً أو بطريق غير مباشر، كذلك مقاطعة كل الشركات والمصانع، ومَن يدعمهم من الحكومات والهيئات والشخصيات. واعتبار التعامل مع العدو ومَن يتعاملون معه ويدعمونه، اعتبار ذلك حراماً مغلظاً وفساداً عظيماً. وتعد هذه المقاطعات من أشكال النفير العام والجهاد الاقتصادي والرياضي والأكاديمي ونحوه.

ونعلن أن اتفاقيات السلام والتطبيع مع الكيان الصهيوني جميعها باطلة شرعاً، فكل هذه الاتفاقيات المسماة باتفاقيات السلام أو التطبيع، التي عُقدت مع الكيان المحتل الحربي قبل هذا العدوان، باطلة شرعاً، ولا اعتبار لها؛ بل هي في حكم العدَم، وقد جاء في الصحيحين من حديث رسول الله ﷺ: «أمة المسلمين واحدة، يسعى بها أدناهم فمن أخفر مسلماً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يُقبل منه صرف ولا عدل».



هذا وأرض فلسطين وقْف، لا يجوز التنازل عن أي شبر منها.. أرض فلسطين وقف إسلامي إلى يوم القيامة، لا يجوز بإجماع الأمة التنازل عن أي شبر منها، بالبيع أو الهبة أو أي عطاء أو تنازل لأي شخص مادي أو معنوي، داخل فلسطين أو خارجها؛ فكل شيء من هذا يُعد باطلاً أو مغتصباً للأرض الفلسطينية.

هذه إذن قضية في غاية الأهمية، وينبغي أن تبقى حيّة في نفوسنا، وأن نقوم بدورنا: **جهاداً بالنفس والمال والكلمة.**

وحسبنا الله ونعم الوكيل، وإن غداً لناظره قريب، ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ * وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٤-٦].

وساعتها: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء:٢٢٧].

وصلّ اللهم وسلم وبارِك على سيدنا محمد، وآله وصحبه أجمعين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

جهاد المسلمين رحمة للعالمين

د. هالة سمير

أمينة لجنة المرأة بالهيئة العالمية لأنصار النبي ﷺ

في هذا الزمان الذي اجتمعت فيه معظم الأمم على نصرة الباطل وعداوة الحق، نرى من الظلم البيّن الواقع على إخواننا المستضعفين ألواناً وأصنافاً كثيرة، وكان آخر ذلك ما جرى من المقادير على إخواننا في فلسطين وغزة مما دميَت له القلوب وسالت له العيون.

والإنسان يتوقف أمام هذه الصور والنماذج المؤلمة ويبقى حائراً أمام السؤال: أين العدالة؟ أين الرحمة؟ أين الحق في هذه الدنيا؟



إنها دار بلاء، وإن الخالق البارئ المصور سبحانه خلق الموت والحياة وجعل الظلمات والنور، وألهم النفوس فجورها وتقواها ليبلونا أينا أحسن عملاً، والذي يقف للحق وينصره ويدافع عنه هو الذي سينصره الله، ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠].

فكيف إذن لا يكون مطلب الإنسان الأول في سبيل نصرة الحق هو مدافعة الباطل وأهله وشيعته، والوقوف من أجل الحق بكل أسبابه وسبله دفاعاً وقتالاً واستماتةً؟ لا ريب أن العاقل المنصف يقر بذلك ويعترف به تمام الاعتراف متى فكّر وتأمّل أحوال الدنيا فعرف ملامح الخير والشر فيها تمام المعرفة.

مثيرو الشبهات حول الجهاد الإسلامي



كثيراً ما كانت تُثار الشبهات حول الجهاد في الإسلام، وأن ذلك من أمارات العنف في هذا الدين، وتثار التساؤلات الاستنكارية: أين السلام والتسامح والرحمة؟

وكثيراً ما كان هذا سبباً للحرج لكثير من المنتسبين للإسلام وداعياً إلى التصنع وادعاء الباطل في سبيل الانتصار للحق -بزعمهم- حتى وجدنا البعض ينكر جهاد الطلب ويبرر ما يتعلق به من نصوص وتاريخ، ولا يُثبت إلا جهاد الدفع! فيجعل كل الجهاد دفاعاً عن اعتداء المعتدين، دون خروج لطلب الكفار في بلادهم وإن لم يبدأوا. وليس موقفهم هذا إلا وقوعاً تحت تأثير موجة الطعن على كل قوة مضادة للقوة الغربية الشيطانية في هذا الزمان. وقد كان كثير من هؤلاء يتعجب أن يكون في دين الله الرحيم تشريع كالجهاد بما فيه من قَتل وأَسر، ويقفون من ذلك موقف المكذبين أو المستنكرين.

فمن كان حيّ القلب لكنه مشوّش بالشكوك فإنه لا يُنكر ما عرف أنه ثابت من قطعيات الشرع ولكن يبقى في نفسه شيء من أمر الجهاد، يتحرّج منه، ويتجنب خوض الحديث فيه مع غيره. وأما من اتبع هواه وأضله الله على علم فإنه ينكره إنكاراً تاماً ولا يعبأ بإجماع الأمة المستقر على مرّ الدهور مع النصوص القطعية الصريحة في ذلك.

طوفان الأقصى يبيد الشبهات



لكننا اليوم بعد طوفان الأقصى الذي انطلق من غزة، نرى حالاً مختلفاً وأموراً وأحوالاً تثير في النفوس معاني جديدة، وتحيي القلوب وتجلو عنها الصدأ، إن كان فيها خير.

لقد انقلبت الشبهة حجة لهذا الدين، وآية على صحته، ودليلاً على ربانيته. ولولا أن الله حفظ شرعه من تبديل المبدّلين وعبث المبطلين فجرى كل ذي هوًى فيه بما تسوّل له نفسه الخبيثة إذن لبطلت الديانة وزال نور الوحي عن وجه البسيطة، ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلۡحَقُّ أَهۡوَآءَهُمۡ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم بِذِكۡرِهِمۡ فَهُمۡ عَن ذِكۡرِهِم مُّعۡرِضُونَ﴾ [المؤمنون: ٧١]. فالحمد لله أن قيّض لدينه من يحفظه، وعصمه من عبث كل عابث.

والحقيقة أن سُنة الله عز وجل في الانتصار لدينه أن كل شبهة يضعها أعداؤه ويدسها خصومه إذا أمعن فيها المنصفُ النظر واتبع الحق أينما ذهب به، فإنها تنقلب حجة لهذا الدين، وآية على ربانيته، ونبراساً يشير



إليه كل طالب للحقيقة. وكذلك كان حال هذه الشبهة الحادثة عن الجهاد، فقد تبيّن للمسلمين جميعاً -بل لكل عقلاء العالم- مقدار الظلم والفساد الذي تحمله قُوى الشر الغاشمة من حكام الدول المتصهينة وأشياعهم، بلا رادع يردعهم، ولا محاسب يحاسبهم. بل كل ما هنالك صور بلا أرواح، وجعجعة بلا طحن، وكلام كثير ولا يصنع أحد قليلاً ولا كثيراً، والمجرمون منهمكون في فسادهم من قتل الرجال والنساء والأطفال وحرقهم وتعذيبهم ليل نهار، فأين نصير الحق؟

أين جند الله الذين قال لهم: ﴿وَمَا لَكُمۡ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهۡلُهَا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا * ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٧٥-٧٦]. قال القرطبي في تفسيره: «قوله تعالى: والمستضعفين: عطف على اسم الله عز وجل، أي: وفي سبيل المستضعفين، فإن خلاص المستضعفين من سبيل الله»».

إن للباطل قوة غاشمة، وبطشاً شديداً، وعبثاً بأرواح العباد وحيواتهم. والعجيب ممن كان ينكر أمر جهاد الطلب ويستبشعه أنه يرى فعل القوى الكبرى في العالم على مر التاريخ الحديث كيف كان حرصهم على توسعهم العسكري، لفرض مصالحهم وسياساتهم، وأنهم لم يعبأوا قط بكرامة الإنسان ولا

حريته وإن جعجعوا بما يجعجعون به، وهو لا يُنكر على أسياده المستعمرين كثيراً من فعلهم في تحركهم لمصالحهم. فكيف إذن بجند الله المخلصين لدينه، المحكومين بشرعه، الواقفين على حدوده؟

نُبل شعيرة الجهاد وسماحتها



إن المسلمين في قتالهم -ما داموا متبعين لدينهم- هم أكثر الأمم رحمة وتسامحاً وسلاماً في قتالهم وحربهم ومدافعتهم لأعدائهم، كما علّمهم نبيهم ﷺ بوحي ربه سبحانه إليه، وكذلك كانت سيرته ﷺ في جميع حروبه وغزواته: «كَانَ رَسولُ اللهِ ﷺ إذَا أَمَّرَ أَمِيرًا علَى جَيْشٍ، أَوْ سَرِيَّةٍ، أَوْصَاهُ في خَاصَّتِهِ بتَقْوَى اللهِ، وَمَن معهُ مِنَ المُسْلِمِينَ خَيْرًا، ثُمَّ قالَ: اغْزُوا باسْمِ اللهِ في سَبيلِ اللهِ، قَاتِلُوا مَن كَفَرَ باللَّهِ، اغْزُوا وَلَا تَغُلُّوا، وَلَا تَغْدِرُوا، وَلَا تَمْثُلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا»[١].

وأحوال المسلمين المؤمنين من بعده ﷺ معروفة ثابتة في تاريخهم، صفحات ناصعة مشرقة، يرى منها العالم قديماً وحديثاً ما يعجب له كل العجب، لبُعدها عن عوائده من ظلم الناس وإفساده في القديم والحديث. وللمتأمل أن ينظر في شعيرة الجهاد الإسلامية ويتأمل أحوالها ثم يلتفت إلى الصناعة الهمجية العسكرية الفاجرة من دول الغرب وغيرهم في التاريخ المعاصر. هاهنا نصر للحق وإعلاء لكلمة الله ونشر للتوحيد ومحاربة للفجار والمتكبرين، مع الرحمة للمستضعفين والسماحة والعفو والرفق، وهنالك قتل ونهب وتخريب وسفك لدماء العُزّل المدنيين وذبح للأطفال وإذلال وقهر للنساء وهتك للأعراض.

١ أخرجه مسلم، ١٧٣١.

إن كان هذا هو الباطل الذي يحكم في رقاب العباد، فكيف لا يتمنى البشر أن تأتي قوة الخير فتحارب من أجله وتُعلي كلمة العدل بقوة السلاح أمام السلاح؟ إن الجهاد الإسلامي ليس شبهة أو عاراً أو نقيصة، بل هو أمنية عالمية، يتمناها كل أحرار العالم، لو فهموا وعرفوا حقيقته.

ولا تقتصر فضيلة الجهاد على التصدي لعدوان الكفار في ديار المسلمين وخارجها، بل إن مجرد نشر الحق والعدل وإعلاء كلمة الله هو مطلب إنساني رفيع شريف، لا يفهمه كثير من المتأثرين بالمبادئ الليبرالية الغربية الخبيثة المنافقة، التي تدّعي رفع مكانة الإنسان وتكريمه، وهي تضعه شر موضع، وتنزله أسفل سافلين، في رتبة أقل من رتبة الهررة والكلاب. إن الذي يؤمن أن هذا الدين نور وعدل وحق مبين لا يستكثر أبداً أن يخرج به أصحابه ناشرين له في بقاع الأرض، مُحيين به القلوب الميتة، ومضيئين البصائر العمياء، يقاتلون من أبى الخضوع لسلطان الحق المبين، من المتجبرين والمتكبرين، الذين يَحولون دون شعوبهم والتعرض لتلك النفحات المباركة.



إن المسلمين لم يجبروا أحداً على دخول الإسلام عند فتح بلاد المسلمين، بل ظلوا أقلية زماناً طويلاً بين الشعوب التي كانت تقطن البلاد قبل الفتح، ثم أسلمت تلك الشعوب طواعيةً وتأثراً بما عرفوه وتعلموه من هذا الدين.

ليس المقصد من هذا أنا نبرئ الإسلام من تهمة كاذبة، ولكن المقصد أن نُشير بأن مجرد تعريض الناس لهذه الشريعة من بعيد يُنير قلوبهم ويُرشدهم إلى اتباع

صراط الله تعالى. فمن الظلم المبين أن يُحال بين العباد وبين دين ربهم الحنيف الذي فيه نجاتهم وفلاحهم في الدنيا والآخرة. ألا يكفي هذا لينطلق المؤمنون بدينهم وأمانتهم ينشرونه ويُذيعونه بين الناس؟ أليس خيانةً من الطبيب أن يملك الدواء ويحجبه عن آلاف المرضى من حوله ممن يحتاجونه غاية الاحتياج وإلا هلكوا شر هلاك؟ ألا يلزمه أن يجري به بينهم وإن جهلوا قيمته أول الأمر؟ أليس أيضًا خيانةً منا أن نحجب نور الله عن عباده؟ فكيف إذن لا يكون جهاد المسلمين رحمة للعالمين!

وكيف إذا ضممنا إلى ذلك ما تخضع تحته أغلب الشعوب في العالم من الظلم والقهر والاستبداد الذي يتلبس بغير صورته. إن استبداد الشيطان شر من استبداد السلطان. وإن استبداد السلطان هو شر استبداد إن كان استبداداً بالعقول والقلوب بصرفها عن الحقيقة وإجبارها على نظام معين للحياة لا يُقبل الخروج عنه إلا في الصور والقشور. هذا هو الاستبداد الذي تقع الشعوب الغربية تحته، وهم يظنون أنهم أهل حرية وكرامة إنسانية. إنه لا كرامة للإنسان بغير إبصار الحق ومعرفة الحق واتباع الحق والعمل من أجل الحق. فلا بد إذن لجند الحق أن يسيروا به في بلاد الله معلنين له ومجاهرين به حتى يصل إلى القلوب التوّاقة إلى ضيائه.

الجهاد إعلانٌ للحق.. ونشرٌ للنور



وقد كان هذا المعنى، معنى ارتباط الجهاد بإعلان الحق ونشر النور في بقاع الأرض بيّنًا في النصوص الشرعية عند الحديث عن الجهاد، مما يدل على شدة وضوحه مقصداً من مقاصد هذه الشعيرة الإسلامية العظيمة. قال الله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾ [الأنفال: ٣٩].

وقال وعدًا منه سبحانه بنشر دين الحق: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ * هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [الصف: ٨-٩]، ولا يكون هذا إلا بجهاد المؤمنين في سبيل الله وإعلاء كلمته. قال الطبري في تفسيره: «يقول: يريدون ليبطلوا الحق الذي بعث الله به محمداً ﷺ بأفواههم، يعني بقولهم إنه ساحر، وما جاء به سحر «وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ» يقول: الله معلن الحقّ، ومظهر دينه، وناصر محمدًا عليه الصلاة والسلام على من عاداه، فذلك إتمام نوره، وعنى بالنور في هذا الموضع الإسلام».



وقال عز وجل: ﴿وَقَـٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَـٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٣٦]. فهذه الآيات وغيرها من النصوص المتضافرة إشارات بيّنات إلى أن الجهاد مسؤولية كبرى يحملها المسلمون ليُعلوا النور والحق والجمال في أرجاء العالم.

ثم نجد معنى المدافعة ومزاحمة الباطل ومقاومته ظاهرا أيضاً في النصوص. كقوله تعالى في الآية الأولى في إعلان مشروعية الجهاد عُقيب هجرة النبي ﷺ إلى المدينة: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَـٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٣٩-٤٠].

قال الطبري في تفسيره: «قال ابن زيد في قوله «وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ» قال: لولا القتال والجهاد». ثم قال: «إن الله -تعالى ذكره- أخبر أنه لولا دفاعه الناس بعضهم ببعض لهُدم ما ذكر، من دفعه -تعالى ذكره- بعضهم ببعض، وكفِّه المشركين بالمسلمين عن ذلك. ومنه كفه ببعضهم التظالم، كالسلطان الذي كفّ به رعيته عن التظالم بينهم. ومنه كفُّه لمن أجاز شهادته بينهم ببعضهم عن الذهاب بحق من له قبله حق، ونحو ذلك. وكلّ ذلك دفع منه الناس بعضهم عن بعض، لولا ذلك لتظالموا فهدم القاهرون صوامع المقهورين وبيَعهم وما سمّى جل ثناؤه».



فالجهاد والقتال مما جعله الله درءًا للفساد والإفساد الذي قد يقع (ويقع اليوم) من أهل البغي والعدوان.

فالجهاد رحمة للعالمين مسلمهم وكافرهم، يمنع ظلم الظالم، ويحرر الشعوب من ظلم جلاديها. وقال تعالى: ﴿فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأۡسٗا وَأَشَدُّ تَنكِيلٗا﴾ [النساء: ٨٤] ومر بنا قوله سبحانه: ﴿وَمَا لَكُمۡ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهۡلُهَا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا * ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٧٥-٧٦].

قال الطبري في تفسيره للآية التالية (وهو كلام منير بنور العلم): «يعني تعالى ذكرُه: الذين صدقوا الله ورسوله، وأيقنوا بموعود الله لأهل الإيمان به «يقاتلون في سبيل الله»، يقول: في طاعة الله ومنهاج دينه وشريعته التي شرعها لعباده، «والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت»، يقول: والذين جحدوا وحدانية الله وكذبوا

رسوله وما جاءهم به من عند ربهم «يقاتلون في سبيل الطاغوت»، يعني: في طاعة الشيطان وطريقه ومنهاجه الذي شرعه لأوليائه من أهل الكفر بالله. يقول الله، مقوّيًا عزم المؤمنين به من أصحاب رسول الله ﷺ، ومحرِّضهم على أعدائه وأعداء دينه من أهل الشرك به: «فقاتلوا» أيها المؤمنون، «أولياء الشيطان»، يعني بذلك: الذين يتولَّونه ويطيعون أمره، في خلاف طاعة الله، والتكذيب به، وينصرونه، «إن كيد الشيطان كان ضعيفًا»، يعني بكيده: ما كاد به المؤمنين، من تحزيبه أولياءه من الكفار بالله على رسوله وأوليائه أهل الإيمان به. يقول: فلا تهابوا أولياء الشيطان، فإنما هم حزبه وأنصاره، وحزب الشيطان أهل وَهَن وضعف. وإنما وصفهم جل ثناؤه بالضعف لأنهم لا يقاتلون رجاء ثواب، ولا يتركون القتال خوف عقاب، وإنما يقاتلون حميّة أو حسدًا للمؤمنين على ما آتاهم الله من فضله. والمؤمنون يقاتل مَن قاتل منهم رجاء العظيم من ثواب الله، ويترك القتال إن تركه على خوف من وعيد الله في تركه، فهو يقاتل على بصيرة بما له عند الله إن قتل، وبما لَه من الغنيمة والظفر إن سلم. والكافر يقاتل على حذر من القتل، وإياس من معاد، فهو ذو ضعف وخوف».

فهذه أحوال المؤمنين في قتالهم، يبعثون النور في أرجاء الأرض، ويقمعون بجهادهم كل ظلام، وهذا كلام ربهم عنهم وحضه لهم على ذلك، فأي خسارة خسرها العالم بغياب هذه الشعيرة المباركة عن بقاع الأرض!

هذا وليس المقصود من حديثنا تبيين واقع الجهاد وإمكانه في هذا الوقت، ليس هذا محور الحديث، أياً كان جواب ذلك. ولكن المقصود معرفة قدر هذا المفهوم الإسلامي في نفسه بالنظر إلى مرآة الواقع البئيس. ولا ينبغي أن يحجز هذا الواقع الإنسان العاجز عن نصرة الحق بالسلاح أن ينصره بماله وكلامه وتأثيره ودعوته وعمله وغير ذلك الكثير مما هو ممكن بحول الله وقوته.

﴿وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [الصف: ٨].

أكاديمية أنصار النبي ﷺ
SUPPORTERS OF THE PROPHET ACADEMY



فقه الحج

هذه دورة عن فقه الحج قام بإلقائها فضيلة الدكتور ياسر النجار، تناول فيها أهمية الحج وإنه ركن من أركان الإسلام، وذكر الأدلة الشرعية، وأقوال العلماء بالتفصيل والتأصيل، ثم تكلم الشيخ عن تعريف الحج وأركانه وشروطه وعلى من يجب، وأنواع الحج وذكر ذلك في سبعة عشر محاضرة.

من أهداف الدورة:

- تغطية جزء من فقه العبادات مما لا يسع المسلم جهله.
- معرفة حكم الحج وهل يجب على الفور.
- معرفة خصال الاستطاعة المعتبرة شرعًا.
- معرفة الشروط الخاصة بالنساء في الحج.
- معرفة شروط صحة الحج.

يمكنك الاشتراك في الدورة من هنا

اضغط هنا للاشتراك في الدورة

17 محاضرة — 10 ساعات



دورة علمية تتناول حدث الهجرة كاملاً من بداية إرهاصات الهجرة إلى وصول النبي ﷺ المدينة، وأسبابها وأحداثها ونتائجها، وتبين ما ثبت وما لم يثبت من الوقائع التاريخية حول هذا الحدث العظيم، وتتناول حدث الهجرة النبوية بالتفصيل، وما الذي حدث مع النبي وأصحابه، والهجرة الأولى إلى الحبشة، ذكر الوفد الذين قدموا من الأنصار لبيعة رسول الله، وسرد حدث الهجرة على طريقة القراءة وإسقاطها على واقع المسلمين، حتى يستفيد من سردها كل مسلم ومسلمة.

9 محاضرات — 3 ساعات

اضغط هنا للاشتراك في الدورة

أكاديمية أنصار النبي ﷺ
SUPPORTERS OF THE PROPHET ACADEMY

فِقهُ الصِّيامِ



مع فضيلة الشيخ الدكتور
جعفر الطلحاوي
أستاذ الشريعة الإسلامية بالأزهر الشريف

هي دورة علمية يقدمها فضيلة الشيخ الدكتور/ جعفر الطلحاوي في فقه الصيام وما يلحق به في عدة حلقات، تُقدم شرحاً تفصيلياً لفقه الصيام، وذكر القول الراجح من أقوال العلماء، كما تجيب على أكثر الأسئلة شيوعا وتكراراً في باب فقه الصيام، وذكر الراجح من أقوال العلماء في المسألة، دون الدخول في تفاصيل أقوال المذاهب، والمسائل الخلافية بينهم، وما يلحق به كـ (الاعتكاف - وزكاة - الفطر)، وهي دورة علمية بين يدي رمضان نصل بها إلى عموم المسلمين تعليماً وتفقها.

20 محاضرة | 8 ساعات

اضغط هنا للاشتراك في الدورة





دورة شرح الأرجوزة الميئية في ذكر حال أشرف البرية ﷺ، التي ألفها العلامة ابن أبي العز الحنفي الدمشقي في مئة بيت، ذكر فيها سيرة وحال النبي ﷺ من مولده إلى وفاته، في أبيات على بحر الرجز ولذا سميت الأرجوزة، وقام بشرحها فضيلة الدكتور محمد سعيد بكر في كتاب تحت عنوان (القيم النبوية في الأرجوزة الميئية) في أربعة عشر لقاء في أكاديمية أنصار النبي ﷺ.

اضغط هنا للاشتراك في الدورة

15 محاضرة | 5 ساعات



اضغط هنا للاشتراك في الدورة

دورة قواعد الإدارة النبوية يقدمها فضيلة الدكتور محمد سعيد بكر، يتناول فيها كيف كانت إدارة النبي ﷺ في التخطيط والتنظيم، والمتابعة، والمراقبة، والتوجيه، وكيف تعامل مع إدارة الأزمات، وإسقاط ذلك على واقع الإدارة الحديثة وآلية تفعيل هذه القواعد في وقتنا الحاضر، وذلك في عشر محاضرات.

10 محاضرات

3 ساعات

أكاديمية أنصار النبي ﷺ
SUPPORTERS OF THE PROPHET ACADEMY

فقه الجهاد

30 محاضرة | 10 ساعات

اضغط هنا للاشتراك في الدورة



دورة علمية تأصيلية في فقه الجهاد وأحكامه في الشريعة الإسلامية، قدمها فضيلة الدكتور عبد الحي يوسف، تناول فيها تعريف الجهاد وأنواعه ومراتبه ومراحل تشريعه، ثم استفاض الشيخ في التفصيل في مسائل الباب وبيان أحكامها وأدلتها وإنزال ذلك على واقع الجهاد في فلسطين.

شرح العقيدة المقدسية



دورة شرح العقيدة المقدسية لفضيلة الشيخ الدكتور الحسن الكتاني، شرح فيها كتاب العقيدة المقدسية لفضيلة الشيخ محمد يسري إبراهيم، وتوضح الدورة عقيدة المسلمين في بيت المقدس والمسجد الأقصى، ومكانة هذه المقدسات في الإسلام، وما يجب على المسلمين تجاهها، مع الرد على كافة الشبهات المثارة حول هذه المسألة.

19 محاضرة | 8 ساعات

اضغط هنا للاشتراك في الدورة

مساحة إعلانية

مساحة إعلانية



الأرجوزة الميئية في ذكر حال أشرف البرية

التعليق على الأرجوزة الميئية في ذكر حال
أشرف البرية لابن أبي العز الحنفي

تعليق الشيخ: مختار بن العربي
مؤمن الجزائري الشنقيطي

عضو مجلس الأمناء
للهيئة العالمية لأنصار النبي ﷺ

الأرجوزة الميئية في ذكر حال أشرف البرية



كتاب رياض الصالحين

للإمام النووي (صوتيا)

زبدة أحاديث السنة النبوية كما جمعها
الإمام الكبير محيي الدين شرف النووي

بصوت الدكتور: بسام صهيوني

عضو مجلس الأمناء
للهيئة العالمية لأنصار النبي ﷺ

رابط الكتاب المسموع

يمكنك تحميله كتطبيق على الهاتف من هنا

أئمة الهدى

﴿قَدۡ أَبۡلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمۡ﴾

..من تراث العلماء والدعاة والشهداء الراحلين..



فلتكُن معركةً شاملةً

مع العدو الصهيوني (٢/١)



حوار مع القائد الشهيد صالح العاروري

تقبّله الله*

- إذا وصلنا إلى المواجهة الشاملة سوف تُهزم إسرائيل هزيمة غير مسبوقة في تاريخها.
- ليس هناك ما يهددنا الصهاينة به فنحن مؤمنون بأن الشهادة ولقاء الله هو الفوز العظيم.
- يقول الصهاينة: «المشكلة في صالح العاروري». بل في تطرفهم وفاشيتهم وعنصريتهم.
- الحكومة الحالية ستكسر الكيان الصهيوني وتدمر علاقته الخارجية والداخلية وتهزمه.
- إذا لم نواجههم الآن وهم ٢٥٠ ألف مستوطن في الضفة سنواجههم بعد سنتين وهم ٢ مليون.

---

* اغتال الكيان الصهيوني القائد الشهيد صالح العاروري في ٢ يناير ٢٠٢٤ في بيروت، وهو قائد عسكري وسياسي بحركة حماس، أسهم في تأسيس (كتائب القسام) بالضفة الغربية، اعتُقل وقضى نحو ١٨ عامًا في سجون الاحتلال الإسرائيلي، ثم أُبعد عن فلسطين. وظل يجاهد حتى قضى نحبه. مصدر الحوار: قناة الميادين، حوار خاص مع الشيخ صالح العاروري، بتاريخ: ٢٥-٨-٢٠٢٣م. تحرير: مجلة أنصار النبي ﷺ.



هل سمعت ماذا يقول الإعلام الإسرائيلي؟

القائد الشهيد صالح العاروري: سمعتها من القناة مباشرة.

الكابينت يقول: إن المقصود لإعطاء تفويض لنتنياهو وغالانت هو [اغتيال] صالح العاروري شخصياً، كيف ترد؟

القائد الشهيد صالح العاروري: بسم الله الرحمن الرحيم: تحية لك وللإخوة المشاهدين جميعًا، وللقناة الداعمة دائماً المقاومة. أما ما يتعلق بهذا الموضوع فأنا لا أحب أن نقف كثيرًا عند الجوانب الشخصية، أولاً: نحن لا نختلف عن كل أبناء شعبنا، وبمثل ما يقاوم كل أبناء شعبنا ويدفعون الثمن ويستشهدون، أيضًا نحن جزء من هذه المقاومة، ويمكن أيضًا أن نكون جزءاً من هذا الثمن، ونحن أيضًا -في حركة حماس وكل الحركات الفلسطينية، كل المقاومة الفلسطينية- قدمنا شهداء من كل المستويات ومن قيادتها الأولى، وفي حركة حماس لعل تقريبًا القيادة المؤسسة كلها الأولى استشهدت، فهذا أمر ليس غريبًا علينا أن يستشهد قادة الحركة ومجاهدوها وكوادرها.

ونحن حين ندخل هذا المسار نكون مستعدين له، ونعلم أن هذا جزء من الثمن الذي ندفعه، ولكن لقاء قضية عظيمة تستحق أن نقدم من أجلها كل التضحيات، فعلى الصعيد الشخصي فهذا لا يترك أي أثر عليّ، ولا يغير في قناعاتي وفي موقفي وفي مساري قيد أنملة، والآجال والأعمار بيد الله سبحانه وتعالى، لا يقدمها أحد ولا يؤخرها، وأنا كنت بالأمس في مقابلة وقلت إني ما توقعت أن أبلغ هذا العمر أصلاً، أي أننا في (الوقت بدل الضائع)، ليس هناك شيء يهددوننا به، ثم إننا والحمد لله أناس مؤمنون، ونعتبر أن الشهادة ولقاء الله هو الفوز العظيم الذي نتمنى أن تختم لنا به الحياة.

لكن على صعيد آخر هناك مَن اتخذوا قرارات اغتيال بحقه مرارًا وتكرارًا وحاولوا أن ينفذوا اغتيالات ضدهم، مثل أبو خالد ضيف، والذي منذ بداية المقاومة المسلحة وهو المطلوب الأول، وضربوه مرارًا وقتلوا عائلته، وهو ما زال يقاتل، وما زال على رأس عمله، ونسأل الله ربنا أن يكتب لنا تحقيق أهدافنا وأهداف شعبنا.

ذكرتَ قادة المقاومة في حركة حماس، الشيخ أحمد ياسين، عبد العزيز الرنتيسي، إسماعيل أبو شنب، كثير من قادة حماس الذين اغتيلوا على يد الاحتلال الإسرائيلي بسبب نضالهم ونشاطهم. لكن الآن المقاومة اختلفت، لحركة حماس، ولحلفاء حركة حماس في حلف المقاومة، وإسرائيل اختلفت كذلك، فما كانت تفعله إسرائيل في ذلك الوقت ربما الآن يكون له حسابات مختلفة، أليس كذلك؟



القائد الشهيد صالح العاروري: بلى، هذا كلام دقيق، وطبعًا اختلف الوقت واختلفت المعادلة، ونحن في معادلة جديدة وتتغير كل يوم لمصلحة المقاومة، ولمصلحة حلفاء المقاومة، وامتدادات المقاومة ضد هذا الاحتلال، ولعله الآن أبرز ما في الصورة ما يجري في الضفة الغربية، أعني كل إجراءاتهم، كل قوتهم كل إرهابهم كل تطرفهم وحشدهم لأكثر من نصف الجيش البري الصهيوني في الضفة الغربية؛ لمواجهة مقاومة الشعب الفلسطيني في جزء من الضفة الغربية، فهذا الحشد لأكثر من نحو ٣٠ كتيبة عسكرية من قواتهم البرية في شمال الضفة الغربية من أجل القضاء على المقاومة وهي تزداد قوة وصلابة، وتزداد تأثيرًا، وتمدد المقاومة إلى داخل الضفة الغربية وهذا هو كابوسهم، وهذا الذي يسبب لهم هذه الهستيريا وهذا الخوف، فماذا لو تمددت المقاومة إلى باقي الضفة الغربية؟!

كيف سيكون حال هذه الدولة وحال مشاريع الاستيطان ورؤية هذه الحكومة المتطرفة والإجرامية تجاه الضفة الغربية؟ ليس فقط سيفشلون في تطبيقها بل سيُجبرون على التراجع خطوات بعيدة جداً في مواجهة إرادة شعبنا، فهم في حالة اضطراب وتخبط، لأنهم يعرفون أن كل إجراءاتهم ليست ذات قيمة أمام تصميم شعبنا، وأمام عزيمته على أن ينجز حريته، وأن يقتلع هذه المشاريع التصفوية التي تستهدف وجوده.. لا يوجد لديهم أي فرصة أو خيار، لكنهم دائمًا يقومون بإجراءات متطرفة.

وأنا سأضرب لك مثلًا: في الانتفاضة الأولى كان (رابين) وزير الدفاع وأخذ سياسة تكسير العظام، وكانت سياسات قمعية جداً، كان في السجون عشرات الآلاف من المعتقلين، وشهداء كل يوم، وتدمير وقتل وتقطيع أوصال، لكنه اضطر في النهاية أن يذهب إلى أبي عمار ومنظمة التحرير ويوقّع معه اتفاقاً، نحن غير موافقين على اتفاقية أوسلو، لكنه تراجُع من قِبل هذه الحكومة التي كانت لا تعترف بالشعب الفلسطيني.



في الانتفاضة الثانية كان (شارون)، وشارون أكثر شخص مجرم وعنجهي وإرهابي في تاريخ هذا الكيان، وأخذ سياسة دموية غير مسبوقة وتدميرية، وكان من ضحايا هذه السياسة القيادات التي ذكرتَ. فأبو عمار استشهد والشيخ أحمد ياسين وكل قيادات حماس وأبو علي مصطفى وآلاف الشهداء، لكن كان عند شعبنا الإرادة والتصميم وقاتَل حتى اضطر شارون أن يقتلع مستوطنيه ويخرج من غزة، ومن شمال الضفة الغربية، ولحقت به الهزيمة.


نتنياهو و بن غفير

الآن جاءت حكومة بنفس الطريقة، كل قائد في إسرائيل يأتي أكثر تطرفًا وإجرامًا وإرهابًا يخرج بهزيمة غير مسبوقة أكثر من الذين سبقوه، يعني رابين خرج بأوسلو، وشارون خرج بالانسحاب من طرف واحد، واقتلع الاستيطان لأول مرة في تاريخ الكيان من داخل فلسطين. الآن نحن في حكومة (سموتريتش) و(بن غفير).. الحكومة لهم وليست لنتنياهو، نحن الآن في حكومة هؤلاء الذين يقولون نريد أن نهجر الشعب الفلسطيني من الضفة الغربية، ونأتي بمليون مستوطن، ونستولي على المسجد الأقصى ويكون تحت سيطرتنا ومسئوليتنا!

(بن غفير) من داخل المسجد قال: «يجب أن نفرض سيطرتنا على هذا المكان».

من داخل المسجد الأقصى؟! هؤلاء سيخرجون بهزيمة تُخرج هذا الكيان من الضفة الغربية.. سيخرجون.

طبعا يتخذون إجراءات ويقتلون ويدمرون، ويقولون: نريد مزيدًا من الدم، ونريد أن نغتال فلانًا وفلانًا، هم يعلقون الحالة على كل الشماعات إلى أن يعودوا إلى الحقيقة، وهو أن الاحتلال هو المشكلة، هم لا يريدون الاعتراف بأن الاحتلال هو المشكلة، ولذلك هم يقولون المشكلة في صالح العاروري، المشكلة في فلان، المشكلة في الاحتلال المشكلة في التطرف المشكلة في الفاشية، المشكلة في العنصرية التي يحملونها.

قال أحدهم أول أمس -وقد كان رئيس مجلس الأمن القومي في إسرائيل- وأظنه (مائير بن شابات)، قال: «لن يقبل أن تقتل أم أمام ابنتها». وأسأله سؤالًا: هل ينطبق هذا علينا أيضاً كفلسطينيين؟ أم فقط الأم اليهودية التي لا يجوز أن تُقتل أمام ابنتها؟ نحن يجوز أن تُقتل الأم أمام أولادها، والأولاد أمام أمهم!

شيخ صالح، قلت إنك لا تريد أن تتحدث كثيراً في موضوع الاغتيالات، باعتبار أنه موضوع شخصي، وفي نهاية المطاف كل مقاوم مشروع شهيد، لكن في نهاية الأمر هناك معادلة بالنسبة للاغتيالات للقادة الفلسطينيين، هل اغتيال الشيخ صالح العاروري -لا قدر الله- أو اغتيال أحد قادة المقاومة الفلسطينية يعني الحرب؟ هل ستذهب الأمور لمواجهة عسكرية مع إسرائيل في حال نفذت إسرائيل تهديدها بالاغتيال خاصة للصف الأول من حركة حماس؟

القائد الشهيد صالح العاروري: انظر.. لابد أن نؤكد أولًا بشكل قاطع ونهائي أن دمائنا وأرواحنا ليست أغلى ولا أعز من أي شهيد، أولًا وأخيرًا، ولا يجوز لأم شهيد أن تشعر أن دماء القائد أو المسؤول أعز وأغلى من دماء ابنها، نحن سواسية، والشهيد الذي سبقنا بيوم أفضل منا، لكن كمعادلات سياسية وتوازنات وردع وكذا، أنا أعتقد ولا أريد أن أتكلم بوضوح أن هذه الحكومة ومجلسها المصغر يفكرون في مجموعة خطوات سوف تفضي إلى حرب شاملة في المنطقة.. إلى حرب إقليمية.

هم يريدونها؟

القائد الشهيد صالح العاروري: لا، هناك من يريدها وهناك من يفكر في إجراءات ستوصل إليها، (سموتريتش) وهو أكثرهم تشدداً أيديولوجياً واستراتيجياً في الحكومة، وهو بنفسه في حكومة سابقة كان وزيراً للمواصلات،



نتنياهو و سموتريتش

ليست حكومة (لبيد)، حكومة (نتنياهو) التي قبلها، هو تكلم عن نفس ما يتعلق بالضفة الغربية؛ فاليمين الصهيوني المتدين يرى أن قلب (دولة إسرائيل) الحقيقي هو الضفة الغربية وليس (تل أبيب)، فكيف سيكون هذا القلب قلب دولة يهودية إذا ثلاثة أو أربعة ملايين فلسطيني موجودون في الضفة؟

فهذا هو السؤال الذي يواجهه، أنت تريد تهويد الضفة الغربية فماذا ستفعل بالملايين الموجودة؟ الآن هو في خطة الحسم يطرح أن أمامهم خيارات: لا مواطنة إسرائيلية؟ ممكن. أن يكونوا سكانًا؟ ممكن. أن ينتخبوا في الأردن؟ ممكن. والذي لا يعجبه نعطيه تعويضًا ويغادر.



في المرة السابقة عندما كان وزيرًا للمواصلات صرح عما يتكلمون به في دوائرهم المغلقة، أننا في منطقة تنشب فيها نزاعات، وهذه النزاعات تؤدي إلى تهجير سكان، لذلك هو يريد صراعاً في المنطقة يهجر من خلاله الشعب الفلسطيني، ليس في الضفة فقط، بل حتى في ٤٨.

إذن يوجد في الكابينيت الإسرائيلي مَن يفكر في تهجير الشعب الفلسطيني، ولذلك أنتم تعرفون أنه عندما ذهب في جولة لأمريكا وفرنسا ولم يجتمع به أحد، عقد في فرنسا لقاء مع مجموعة من المتطرفين أمثاله، وعلى المنصة التي أمامه كانت خارطة (إسرائيل) التي تشمل فلسطين والأردن، على اعتبار أن هناك دولة للفلسطينيين بالأردن وتكون فلسطين لليهود، فهناك في الكابينيت من يفكر في صراع يهجر من خلاله الشعب الفلسطيني، وهناك من يفكر في خطوات حتماً ستؤدي إلى صراع واسع في المنطقة،

يعني الذي يفكّر بوضع اليد على المسجد الأقصى وتقسيمه مكانيًا، يعلم أنه سيؤدي إلى صراع وحرب إقليمية.. يعرف هذا الكلام، والذي يفكّر حتى في الاغتيالات هو يعلن أن هذا سيؤدي إلى حرب إقليمية. وقد أصبحت هذه المنطقة لديها الجاهزية والمكونات والأسباب الكافية، والإرادة والمصلحة أن تكون هناك حرب إقليمية، والأطراف الفاعلة جدًا في هذا الموضوع تحدث عنها.

هل أنتم مستعدون لهذه المعركة؟



القائد الشهيد صالح العاروري: أنا أعتقد أن الإنسان لابد أن تكون استعداداته أفضل. لكني أقول الخاتمة في هذا الموضوع: إذا وصلنا إلى المواجهة الشاملة سوف تهزم إسرائيل هزيمة غير مسبوقة في تاريخها.

واثقون من هذا؟

القائد الشهيد صالح العاروري: واثقون.. وستُفرض عليها وقائع جديدة وعلى تموضعها، وعلى نظرة العالم إليها وتبنيها كمشروع من قبل الغرب، وثقتهم بأنفسهم وقدرتهم على الاستمرار أيضًا في ظل هذا الانقسام الحاد جدًا داخل هذا المجتمع، وأيضًا الذين يعلقون عليهم آمالًا في المنطقة وفي الإقليم أنهم الضامن والحماة.. سيتغير كل شيء.

ما طموح حركة حماس وحركات المقاومة الفلسطينية بالنسبة للضفة الغربية؟ إلى أين ستصلون بتصعيد العمل المقاوم؟



القائد الشهيد صالح العاروري: نحن في صراعات فوق الطاولة، وليس تحت الطاولة، ونحن في معركة التحرير في الضفة الغربية، ومشروع المقاومة فوق الطاولة وليس تحتها، نحن دخلنا في مرحلة الحسم لهذا الصراع، هناك حكومة لديها رؤية ولديها أدوات، وضعت كل البنى اللازمة لإنجاز مشروعها، وهو حسم الصراع من خلال تهويد الضفة الغربية بملايين المستوطنين بمن فيهم الموجودين حاليًا، وتهويد القدس والسيطرة على المسجد الأقصى، ومن ثم العمل على ترحيل الشعب الفلسطيني سواء بإثارة نزاع، أو صراع في المنطقة، أو من خلال الضغط عليه، أو من خلال صفقات مشبوهة في المنطقة، ليست فقط مشبوهة بل صفقات إجرامية.

البعض يعزي نفسه ويعلل بالآمال الواهمة أن هذه الحكومة ستسقط وتأتي حكومة يمكن التفاهم معها، لكن المشكلة التي يدركها المختصون أن هذه الحكومة تقف على أرضية صلبة، وليس لها خيارات إلا أن تتماسك، وستجتاز كل المراحل، وتكمل وقتها إلى نهايته، وحينها سيكون قد فات الأوان على معالجة أي موضوع في الضفة الغربية.

لذلك فمحاولة الهروب للأمام والقول إنه سيتغير الواقع، والأمريكان أو الأوربيون أو المجتمع الصهيوني، أو أن هذه الحكومة ممكن أن تتغير.. هذا الكلام الآن لا رصيد له، ونحن وُضِعنا أمام اختبار نهائي وقصير المدى، سنتان أو ثلاث سنوات كحد أقصى وتنتهي القضية، لذلك لم يعد لدينا خيارات أن نتعامل مع الأمور على المدى البعيد أو المتوسط، ولا نؤجل القضايا، إذا لم نواجه الاستيطان الآن وهم ٢٥٠ ألف في

الضفة الغربية سنواجههم بعد سنتين وهم ٢ مليون مستوطن، وسنواجههم وقد استولوا على القدس والمسجد الأقصى، وسنواجههم وقد أصبح الاحتلال الإسرائيلي في كل بيت؛ لذلك يجب أن نواجههم الآن.

إذا أنت تتحدث عن مواجهة قريبة؟

القائد الشهيد صالح العاروري: يجب أن نواجههم من الآن، وهذه المواجهة فورية على أبناء الشعب الفلسطيني في الضفة الغربية والقدس أولًا، ثم ستتمدد هذه المواجهة وتستدعي بعضها إلى أن نصل للمواجهة الشامل التي نحسم فيها المعركة، ولذلك نحن في حركة حماس نقول بوضوح وأيضًا معنا معظم الفصائل الوطنية وقناعات شعبنا الفلسطيني: يجب أن نخوض معركتنا ضد الاستيطان اليوم قبل الغد.. لا بد.. ولذلك كل عمليات المقاومة -على الأقل في (حماس)- ضد المستوطنين.

ما ملامح المرحلة المقبلة في الضفة الغربية؟



القائد الشهيد صالح العاروري: الضفة الغربية تحت الاحتلال، ومع الأسف تعاون جزء من الأجهزة الأمنية مع الاحتلال لا يسمح بتطوير بِنى تنظيمية حتى نصير مثل غزة، نحن نعرف المقاومة في الضفة الغربية، حتى البنى التنظيمية العسكرية المعقدة لا تبلغ أهدافها وتتكشف قبل أن تبدأ العمل، لذلك أفضل النماذج وأكثرها جدوى عندنا في الضفة الغربية، هي المواجهة المباشرة والفورية مع المستوطنين ومع الجيش.

يعني ما حدث مثلاً في الفترة الأخيرة، يعني عملية الخليل، عملية الخليل مجموعة من أخوين شابين حملوا بندقية وذهبوا لأحد شوارع المستوطنات، وأطلقوا النار على سيارة للمستوطنين، وأُلقي القبض عليهم، وفي الضفة الغربية نتيجة تمكن الاحتلال وقدرته التكنولوجية، وانتشار كاميرات المراقبة، والتنصت، والتعاون الأمني، قلما تنجح خلية في أن تنجو لفترات طويلة، ولذلك التجهيز وتنفيذ العمليات الفوري هو الأكثر جدوى، لكن أين هو التطور الذي سيُحدث الفارق؟

- **أولاً: في توسيع قاعدة العمل المقاوم.. هذا مهم جداً.**
- **وثانياً: في تطوير الأهداف.**
- **وثالثاً: في تطوير الوسائل.**



توسيع دائرة العمل المقاوم -كما قلنا كان في جنين- يتركز وأحدث لهم كل هذا الإرباك والضغط، مد العمل المقاوم لكل الضفة الغربية، في الخليل، في بيت لحم، في القدس، في رام الله، في الشمال، الكل يجب أن يشارك في المقاومة، ووقتها حجم الضغط الموجود على الاحتلال والاستيطان سيكون فاعلًا في إفشال هذا المشروع.

وأنا دائمًا أنادي وأقول: أنه إذا كان مئات المشاركين الآن في العمل المقاوم يتسبب للاحتلال بكل هذا الضغط وهذا الإرباك، ماذا لو أصبحوا آلافًا، ماذا لو أصبحوا عشرات ومئات الآلاف، لماذا لا يكونون مئات الآلاف؟

أنتم تعملون على هذا؟



القائد الشهيد صالح العاروري:

نعم، يجب على كل شاب فلسطيني في الضفة الغربية أن يكون له مشاركة في المقاومة بأي شيء تصل يدك إليه، شارك في المقاومة.. لا يمر أسبوع إلا وتُقدم عملًا مقاومًا ضد الاحتلال، وبدلًا من أن جيش الاحتلال وشاباكه يرصدون هذا الشهر أن هناك ٥٠٠٠ عمل مقاوم، فليكن مائتي ألف عمل مقاوم، ووقتها لن يستطيع الاحتلال أن يصمد لن يستطيع.

(أمّ المعارك) ربما ينتظرها الكثيرون لحسم الصراع.. أطلق الأمين العام لحزب الله سماحة الشيخ حسن نصر الله مسألة الدخول إلى (الجليل) في أي عدوان إسرائيلي قادم، هل ستكونون الطليعة التي تدخل عبر الحدود من الخارج؟ كذلك يقودنا إلى دور المقاومة عند الشعب الفلسطيني في الخارج في الشتات هل تعملون على أن تكونوا جزءاً من هذه الحرب، وهذه المعركة وأن تدخلوا فعلاً مع القوات المقاومة اللبنانية إلى الجليل؟

القائد الشهيد صالح العاروري: جيد.. وبما أنك ذكرت سماحة حسن نصر الله، وهو سبق أن تحدث أن أي عدوان على الأقصى قد يتسبب وسيتسبب في حرب إقليمية، وهو الآن يتحدث بوضوح عن دخول وتحرير الجليل، وقبل فترة تحدث الإسرائيليون عن الحرب الشاملة، وسماحة السيد قال: نحن الذين نتحدث

عن الحرب الشاملة، فإذا كان كل مكونات المعادلة يتحدثون عن المعركة الشاملة، وأنا لا يعنيني أن يتحدث عن المعركة الشاملة أناس ليس لهم علاقة بالأمر، هذا لا يزيد ولا ينقص، فإذا كان الكيان يتحدث عنها ونحن نتحدث عنها وإخواننا في حزب الله يتحدثون عنها، وآخرون ممن لهم دور في الموضوع يتجهزون لها؛ فالحرب الشاملة أصبحت أمراً لا مفر منه، وجميعنا يرى أنها ضرورة ونحن نريدها.

نحن كمحور مقاومة.. كشعوب.. كشعب فلسطيني.. كأمة، نريد هذه المعركة الشاملة، ونحن لا نتحدث عنها في الإعلام بصراحة، نحن نتحدث عنها في الغرف المغلقة، نحن نلتقي مع كل مكونات هذه المعركة الشاملة ونتحدث جميعاً عنها، ونتحدث عن سيناريوهاتها وعن إمكاناتها، ولدينا قناعة أنه يمكن بل بالتأكيد سنلحق بهم هزيمة.



والحروب تتغير، لم تعد الحرب مثل حرب عام ٦٧، لما قام الطيران الإسرائيلي ودمر أسلحة الطيران العربية وبدأ يتصيد في الجيوش كما يشاء.. لم يعد الأمر كذلك، فحرب أوكرانيا غيرت المعادلات، أصبحت هناك أسلحة ذكية.. أسلحة دقيقة.. حروب (سايبر)، هناك تغيُّر في المعارك والأدوات.

تكتيكات في المعارك؟

القائد الشهيد صالح العاروري: هناك تغيُّر حتى في الأسلحة والحرب الكلاسيكية التي كانت تخوضها الجيوش فيما مضى، وإسرائيل بُنيت منذ أن تأسست على أن تتفوق فقط في معركة كلاسيكية، هم

أنفسهم متفاجئون من المنجزات الجديدة في أدوات المعارك التي من الممكن أن يمتلكها ليس دول فقط بل ممكن غير الدول أيضاً، ولذلك نحن عندنا قناعة أن هذا الكيان بصراحة إذا فتح صراع شامل ستُغلق أجواؤه، ويغلق البحر عليه، ولن يستطيع أن يعيش دون كهرباء وماء واتصالات وسُيمنع من التجول وتتوقف عجلة الاقتصاد.. في معركة مفتوحة لا تعرف النهاية.

وأنتم قادرون على فعل كل ذلك؟

القائد الشهيد صالح العاروري: نحن قادرون على فعل ذلك.. كل قوى المقاومة قادرة على أن تفعل ذلك.. إلى أن يتغير هذا الواقع تغيراً حقيقياً، ولذلك أنا أقول لك إنهم هم يلمسون أشياء، ويتقدمون نحو أشياء ستُوصل لهذه المعركة، والقيادة الموجودة الآن في صنع القرار منفصلة عن القيادة المهنية في الجيش والأجهزة الأمنية، منفصلة عنها حتى في تكوينها وفي تاريخها.

كان شارون قادماً من قيادة الجيش، ورابين كذلك، الآن القيادة السياسية بعضهم لم يخدم حتى في الجيش خدمة عسكرية.. حتى خدمة لم يخدم، ولذلك هو ذاهب بقناعاته وأفكاره التي يغلب عليها التطرف الأيديولوجي.. هذا المبني على أساطير دون أن يحترم القرارات والمواقف والتقديرات المهنية، وسيرتكبون هذه الأخطاء التي ستودي بهم إن شاء الله.



المسجد الأقصى غاية المقاومة



القائد الشهيد أيمن نوفل

تقبّله الله*

- اختلطت دماء فصائل المقاومة بعضها ببعض في الميدان في تجسُّد لعمق العلاقة التي تجمعهم.
- الاغتيالات لم توقف يوماً مقاومة شعبنا بل زادتها قوةً وإصراراً واشتعالاً.
- الحكومة الصهيونية الحالية الأكثر تطرفاً وإجراماً ومصيرها الانهيار المدوي.
- هذا العدو سيظل رغم امتلاكه لكل أدوات الإرهاب ضعيفاً فاشلاً أمام إرادة مقاومتنا.
- في قلب ساحات المقاومة القدس والأقصى، إذ هو قبلة وهدف فعلنا المقاوم.

---

* عضو المجلس العسكري العام لكتائب القسام وقائد العلاقات العسكرية فيها، شارك في تطوير المنظومة الصاروخيّة لحركة حماس، كما أسهم في التخطيطِ لعملية أسْر الجندي الصهيوني (جلعاد شاليط)، وعددٍ من الهجمات الأخرى. اعتُقل في سجون الاحتلال وفي سجون السلطة الفلسطينية، ثمّ اعتُقل ثلاث سنوات تقريباً في سجون حسني مبارك إلى أن فرَّ منها تزامناً مع ثورة يناير ٢٠١١م، اغتاله الصهاينة يوم ١٧ أكتوبر٢٠٢٣م. مصدر الحوار: إسراء جبر، موقع إلكتروني (الجزيرة نت)، ١٢-٠٦-٢-٢٠٢٣م.

حدِّثنا عن تأسيس غرفة العمليات المشتركة وأبرز عملياتها؟

القائد الشهيد أيمن نوفل: تأسست الغرفة المشتركة لفصائل المقاومة الفلسطينية بشكلها الحالي والنهائي عام ٢٠١٨، إبّان انطلاق مسيرات العودة في قطاع غزة، والأحداث والمواجهات المصاحبة لهذه المسيرات، حيث برزت وقتها الحاجة لإنشاء جسم تنسيقي بين الفصائل للتوافق على قواعد وآليات المواجهة وإدارة المعركة عسكرياً مع العدو.



غير أنّ هذه الانطلاقة للغرفة المشتركة ليست بداية العمل العسكري المشترك بين الفصائل، فقد بدأ العمل المشترك باكراً في كافة مراحل مقاومة ونضال شعبنا ضد الاحتلال الصهيوني، والأمثلة والنماذج لا حصر لها لما نفذته الفصائل من عمليات مشتركة، حيث اختلطت دماء شهدائها في الميدان في صورة حية تجسّد عمق العلاقة التي تجمعهم.

وقد خاضت الغرفة المشتركة أولى جولاتها بعد التشكيل الرسمي لها في عملية الوفاء للشهداء نهاية مايو أيار ٢٠١٨، بعد استشهاد ٣ من رجال المقاومة من كتائب القسام وسرايا القدس في قصف مدفعي غادِر من جيش العدو، وإثر تغوّل جيش العدو على أبناء شعبنا الثائر من المشاركين في مسيرات العودة، وقد فرضت الغرفة المشتركة في ذلك الوقت قواعد اشتباك في صراعها مع العدو، بأن القصف بالقصف والدم بالدم.

كما كان للغرفة المشتركة دور كبير في جولة درع الشعب في مايو/أيار ٢٠١٩ لصد العدو عن التغول في قطاع غزة، كما برز دورها الكبير في معركة سيف القدس عام ٢٠٢١ من بداية المعركة حتى نهايتها.



هل تجمع الغرفة المشتركة كافة الأجنحة العسكرية للفصائل الفلسطينية، وما عددها؟

القائد الشهيد أيمن نوفل: تنضوي داخل الغرفة المشتركة الغالبية العظمى من الأجنحة العسكرية لفصائل المقاومة الفلسطينية، ونحن نعدّ ذلك أحد أكبر إنجازاتها، إذ شكّلت إطاراً جامعاً للمقاومة بمختلف أطيافها ومرجعياتها السياسية والفكرية. وتمكنا من دمج جميع الحالات العسكرية بالتوافق الداخلي فيما بينها، ففي حين وصل عدد الحالات العسكرية قبل تشكيل الغرفة المشتركة إلى ما يزيد على الـ٤٠، أصبحت الآن ١٠ أجنحة عسكرية لكل جناح عسكري منها مرجعيته السياسية، وذلك في إطار سعي الغرفة لتنظيم العمل العسكري في ظل بيئة حكومية وشعبية حاضنة للمقاومة.

والفصائل المنضوية حالياً في الغرفة المشتركة هي: كتائب الشهيد عز الدين القسام، وسرايا القدس، وكتائب الشهيد أبو علي مصطفى، وكتائب المقاومة الوطنية، وألوية الناصر صلاح الدين، وكتائب المجاهدين، وكتائب شهداء الأقصى، وكتائب شهداء الأقصى- لواء الشهيد نضال العامودي- وكتائب الشهيد جهاد جبريل،

بالإضافة إلى كتائب الأنصار. كما تسعى قيادة الغرفة لاستكمال ضم وتوحيد ٣ حالات عسكرية متبقية لم تشملها المعالجات الأولى لأسباب مختلفة، بحيث تصبح الغرفة إطاراً جامعاً لكل الفصائل والحالات والمقاتلين بلا استثناء.



ماذا قدمت قيادة الغرفة المشتركة للفصائل؟

القائد الشهيد أيمن نوفل: هناك حالة من التواصل الدائم والتنسيق بين مكونات الغرفة المشتركة، في الأوقات الاعتيادية وفي أوقات الطوارئ والحروب، فعمل المقاومة هو عمل مستمر وليس في وقت المواجهة والحرب المباشرة فقط، وبالتالي فإن الغرفة تقدم لكافة الفصائل التسهيلات المناسبة للعمل في جوانب متعددة لا يمكن تفصيلها بالكامل.

لكن نذكر منها: توفير منظومات القيادة والسيطرة، وتعزيز الاتصال بين مكونات الغرفة في الأوقات الاعتيادية وفي حالة الحرب، وتقديم تقديرات الموقف العملياتي والاستخباري، والتشارك في جانب الدعم اللوجيستي والتسليح وفق آليات محددة، كذلك التقدم بخطوات عملية ومثمرة نحو توحيد المعارف العسكرية للوصول لحالة فهم مشترك وخلفية معرفية عسكرية وأمنية موحدة.

ومن هذا المنطلق، عملت قيادة الغرفة على تعزيز المعارف والخبرات العسكرية لدى القادة الميدانيين في أجنحة المقاومة، فألحقت أعداداً منهم للدراسة في أكاديمية فلسطين العسكرية التابعة لكتائب القسام، وتخرجت من الأكاديمية أفواج عدة على مدار الأعوام السابقة.

وأنشأت قيادة الغرفة موقعاً عسكرياً خاصاً بها نهاية العام الماضي، ودشّنت العديد من الدورات التدريبية المشتركة لمدربي الأجنحة العسكرية ومقاتليها، وأقامت مناورات الركن الشديد التي كانت باكورتها نهاية عام ٢٠٢٠، وباتت مناورات سنوية دورية ليس آخرها مناورات الركن الشديد ٣، في ديسمبر/كانون الأول ٢٠٢٢، وتهدف تلك المناورات إلى رفع درجة الكفاءة القتالية لمقاتلي المقاومة والبقاء على جهوزية عالية.

ومن مهام قيادة الغرفة كذلك -ذات الأهمية الكبيرة- نظم العلاقة مع الجهات الحكومية في غزة بكل تفصيلاتها وتعقيداتها في ظل وجود آلاف المقاتلين من كافة الفصائل وعشرات المواقع العسكرية، وما يتطلبه ذلك من تنسيقات وتسهيلات ومعاملات وحل إشكاليات وتنسيق جهود وغير ذلك.

؟ هل قرار خوض المواجهة هو قرار جماعي للغرفة المشتركة؟ وما آلياته؟



القائد الشهيد أيمن نوفل: بالطبع، المقاومة تتقدم عاماً بعد عام وتُطور من آليات عملها، وتستفيد من تجاربها سواء في جانب تعزيز الإنجازات أو تدارك ومعالجة الأخطاء، وبالتالي فإنّ المقاومة اليوم وصلت إلى مرحلة لا يمكن فيها الإقدام على الحرب والمواجهة إلا بقرار موحد وجماعي ومدروس، يراعي مراكمة القوة وتسديد ضربات مُوجعة للعدو، واختيار توقيت المعركة ومكانها وشكلها وأدواتها، بما يخدم أهداف شعبنا ويُلحق أقصى أذى ممكن بالعدو ويفشل مخططاته.

ولا شك أن بعض المعارك تفرض على شعبنا للرد على العدوان الهمجي من الاحتلال، وفي جميع الأحوال تتصدى الغرفة المشتركة لقرار المواجهة وتنعقد قبل وأثناء المعركة أيا كان سببها، وتباشر في نظم إيقاع المواجهة بالتشاور والتنسيق على أعلى المستويات، من حيث حجم تفعيل القوة، والتوقيتات ومَديات الرماية وأحجامها، وطبيعة المشاركة من الفصائل المختلفة، وفق اعتبارات تحددها قيادة الغرفة بالتنسيق والتشاور والتوافق، وكذلك تبادل المعلومات وتقديرات الموقف أولاً بأول، إلى كافة تفصيلات العمل العسكري التي لا يتسع المجال لسردها. وهنا لا بد من التأكيد على أنّ أجنحة الغرفة المشتركة لها مرجعياتها السياسية، التي تتشاور معها في اتخاذ قرار خوض المواجهة، وهو قرار وطني جمعي موحّد.

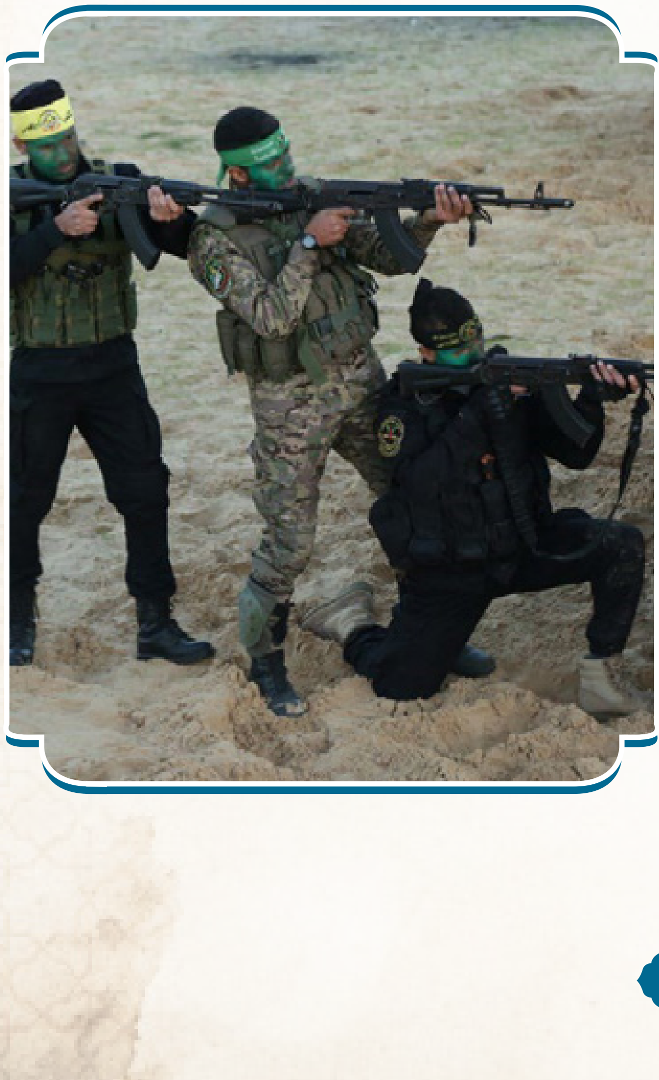


هل استطاع الاحتلال أن يستفرد بسرايا القدس في المعركة الأخيرة؟ وما دور الغرفة المشتركة آنذاك في تلك المواجهة؟

القائد الشهيد أيمن نوفل: إن العدوان على شعبنا هو عدوان واحد وعنوانه واحد وهو الاحتلال، وربما أراد الاستفراد بسرايا القدس في المعركة الأخيرة من خلال تركيز الاستهداف بالاغتيال على قيادة السرايا، وعلى رأسهم القائد خليل البهتيني أحد قادة الغرفة المشتركة، وكذلك القائد جهاد الغنام والقائد طارق عز الدين، ولاحقاً القائد حسن غالي والقائد أحمد أبو دقة والقائد إياد الحسني.

لكن الغرفة المشتركة كسرت هدف العدو بالاستفراد وإغلاق ملف العملية من ساعاتها الأولى، وتشاورنا فورا في قيادة الغرفة مع قيادة سرايا القدس التي استلمت الراية من بعد القادة الشهداء، ومن خلال إدارة المعركة وإطالة أمد الرد والتحكم الصامت بمجريات المواجهة بشكل مدروس وتوافقي. وبالتالي فاجأنا العدو، وأوصلنا له رسائل مباشرة وغير مباشرة بأنّ المعركة ستأخذ منحنى خطيراً، فأصبح العدو في مأزق ميداني وسياسي، فلا هو قادر على توسيع العدوان بشكل صارخ يعلم معه أن المقاومة ستُضاعف تفعيل قوتها، ولا هو قادر على تحمل الاستنزاف لفترة أطول، وبالتالي سقط تدريجياً الهدف الذي خطط له.

هذا إلى جانب إسهام فصائل الغرفة في الرد الصاروخي الفعّال على الجريمة الصهيونية جنباً إلى جنب مع سرايا القدس، وهناك العديد من الأدوار التي لا يمكن تفصيلها في هذه المرحلة أفشلت مخطط العدو في الاستفراد وحسم المعركة.



وهنا نودّ التأكيد أنه لا ينبغي السماح للعدو بالاستفراد بأي ساحة أو جبهة من جبهات المواجهة، في غزة أو الضفة أو القدس والداخل المحتل، وينبغي على شعبنا وقواه الحية أن تأخذ زمام المبادرة لإفشال العدو في الاستفراد بأي منطقة أو مكوّن، والنهوض لبعثرة أوراقه وقلب الطاولة عليه، وشعبنا قادر على ذلك بعون الله وقد أثبتت الوقائع والأحداث ذلك بوضوح.

كيف ستتعاملون مع وضع حكومة الاحتلال سياسة الاغتيالات على الطاولة؟

القائد الشهيد أيمن نوفل: أولاً، الاغتيالات لم توقف يوماً في مسيرة شعبنا ومقاومته، وهي سياسة قديمة حديثة لم تزد يوماً مقاومتنا إلا قوةً وإصراراً واشتعالاً، والتاريخ والحاضر يثبت ذلك ويؤكده.



والحكومة الصهيونية الحالية الأكثر عنجهية وتطرفاً وإجراماً كانت أمام اختبار صعب في غزة وفي كل ساحات الوطن، وستكون أمام اختبارات أكثر صعوبة ستعرضها للانهيار المدوي بإذن الله، إن هي أصرّت على عنجهيتها وأوغلت في دماء شعبنا.

والمقاومة تعرف طريقها جيداً نحو تذكير هذا العدو على الدوام بأنه سيظل -رغم امتلاكه لكل أدوات القتل والإرهاب- ضعيفاً مهزوزاً فاشلاً أمام إرادة مقاومتنا وإصرارها، وإذا اعتقدت هذه الحكومة أنها نجحت في اغتيال بعض قادتنا وإخواننا بالغدر والعدوان، ففي انتظارها ما يسوء وجهها ويكسر عنجهيتها من أبطال شعبنا ومقاوميه في كل ساحات الوطن وجبهات المقاومة إن شاء الله.

تم تداول مصطلح (وحدة الجبهات والساحات) مؤخراً، هل الغرفة المشتركة جزء من تلك الاستراتيجية؟

القائد الشهيد أيمن نوفل: بالطبع، غزة ومقاومتها هي رأس الحربة في هذا التوجه، وأكبر دليل على ذلك أن الغرفة المشتركة كانت حاضرة بقوة في معركة سيف القدس المباركة عام ٢٠٢١، والتي أكدت بوصلة شعبنا ومقاومته ضد كيان العدو. نحن نعتقد أن معركتنا لتحرير فلسطين وكنس الاحتلال تحتاج إلى حشد الطاقات وتوحيد الجهود، ففي القلب من هذا المحور وهذه الساحات القدس والأقصى، إذ هو القبلة والهدف والمحرّك الأساسي لفعلنا المقاوم، ومن هنا نشأ محور القدس للتأكيد أنّ القدس هي المعركة.

وتتسع الدوائر من حول القدس من فلسطين المحتلة عام ٤٨، مروراً بالضفة الغربية وغزة وأطراف محور المقاومة، وصولاً إلى جماهير الأمة العربية والإسلامية وأحرار العالم، ولكل دور مهم وواجب. وغزة بمقاومتها وغرفتها المشتركة، هي الذراع الطولى والسيف المشرع والدرع المتين لهذه الساحات بقرارها الوطني المبادر والقوي. وبالتالي، فإن الغرفة تدرك أهمية تعزيز وتفعيل العمل من كافة الساحات خاصة في القدس والضفة والداخل المحتل، كساحات لصيقة بالاحتلال قادرة على إشعال كل المنطقة لردع الاحتلال وتكبيده الخسائر والثمن الباهظ.



والغرفة المشتركة بفصائلها المقاومة على أتم الجهوزية للقيام بدورها وواجبها المقدس في هذا الصدد، ولن تتأخر عن تلبية الواجب بعون الله، دفاعا عن المقدسات والأرض وعن شعبنا العظيم. وإننا نقدم الغرفة المشتركة كنموذج عملي فاعل لوحدة محور المقاومة، ونحن جاهزون لتطوير هذا النموذج الملهم ليشكل إطاراً شاملاً لكل قوى المقاومة في كل ساحات وجبهات المواجهة مع العدو.

هل وصلت الغرفة المشتركة لمستوى حقيقي من العمل الموحد بين الفصائل أم ما زال أمامها الكثير؟

القائد الشهيد أيمن نوفل: بطبيعة الحال، فإن شكل معركتنا مع العدو والمخاطر والمهددات التي تواجهنا، تحول دون التوحد والانصهار الكامل لفصائل المقاومة، ولكن بفضل الله وبجهود كبيرة ومتواصلة استطعنا الوصول إلى مستوى جيد ومتقدم من العمل المشترك والمنسق.

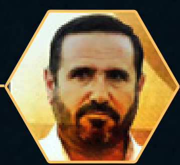


هناك اليوم لجان فاعلة ودائمة في مختلف المجالات تجمع فصائل الغرفة المشتركة، فقد تشكلت لجنة خاصة مشتركة لتقدير الموقف تضم ممثلين عن أعضاء الغرفة من الأجنحة العسكرية، ومثلها لجنة العمليات والتدريب، وكذلك اللجنة الإعلامية، وغيرها من مجالات العمل، ونسعى بشكل مستمر لتطوير آليات العمل وتعزيز الغرفة المشتركة بإذن الله.



عقلية المقاومة

ستبتكر إبداعات تَفُوق تصور العدو (٢/٢)



القائد المهندس الشهيد إسماعيل أبو شنب

رحمه الله

- قُوى الشر الصليبية بتحالف صهيوني أمريكي تنقض على العالم العربي والإسلامي.
- من عوامل النصر التركيز على المقاومة داخل فلسطين كي لا تتشتت المقاومة.
- أمريكا تورّط إسرائيل في الحرب حمايةً لمصالحها.
- البُعد العربي الجماهيري عليه أن يستمر في الضغط على الحكومات بالأفعال.
- أطماع إسرائيل أبعد من فلسطين فإذا انهارت فسينهار جدار المقاومة العربية.

---

* إسماعيل أبو شنب، مهندس وسياسي فلسطيني، وقائد في حماس، ماجستير الهندسة بجامعة كولورادو الأمريكية، ضمن طاقم التدريس في جامعة النجاح الوطنية ورئيس بالوكالة لقسم الهندسة المدنية بالجامعة. نقيب المهندسين في غزة، اغتاله الصهاينة في ٢١ أغسطس ٢٠٠٣م. مصدر الحوار: صحيفة التجديد، ٠٩- ٠٨- ٢٠٠٢م. أجرى الحوار: عوض الرجوب. وقد نشرنا الجزء الأول من الحوار بالعدد السابق من مجلة أنصار النبي ﷺ (عدد ٢٠).

ما الجهات العربية التي طالبتكم مباشرة بوقف العمليات؟

القائد الشهيد إسماعيل أبو شنب: كان هناك تواصل غير مباشر مع إخواننا في الخارج ومن خلال السلطة الفلسطينية ومن قِبل وزراء خارجية مصر والسعودية والأردن، وطرحت هذه الدول وقف العمليات الاستشهادية، وكلفوا السلطة بطرح مبادرات بهذا الشأن على الحركة، ونحن قلنا لهم إن لنا شروطاً هي:

وقف العدوان على الشعب الفلسطيني، ووقف قصف المدنيين وهدم بيوتهم، والإفراج عن المعتقلين، ورفع الحصار.



هل توضح لنا موضوع الهدنة التي تطرحونها؟

القائد الشهيد إسماعيل أبو شنب: للشعب الفلسطيني الذي شُرد من أرضه الحق في استعادة كامل أرضه، وعندما لا تستطيع القوى الفلسطينية في ظل موازين القوى الظالمة التي ليست بيد الفلسطينيين أن تحرر وتعيد الشعب الفلسطيني إلى أرضه، سيبقى هذا الشعب متمسكاً بكل حقوقه، وتكون الهدنة وسيلة لهذا الجيل ليحقق ويوقف نزيف الدم، ولذلك فإن الإسلام أباح الهدنة ليوقف نزيف الدم في اللحظة التي تكون فيها القوى غير متكافئة.

نقول إن (حماس) عرضت الهدنة على الكيان الصهيوني منذ عام ١٩٩٧م، عندما خرج الشيخ أحمد ياسين من السجن ونادى وطالب الاحتلال بالانسحاب حتى حدود ٦٧، وتأمين حق العودة للشعب الفلسطيني، وضمان قيام دولة فلسطينية على حدود ٦٧، عندئذ نحن مستعدون لأن نعطي هدنة لهذا الكيان الغاصب.

هل تعني الهدنة الاعتراف بإسرائيل؟



القائد الشهيد إسماعيل أبو شنب: عندما نتحدث عن هدنة نتحدث عن أمر واقع، وبالتالي نتعامل مع أمر واقع، والحقيقة التي لا يمكن إغفالها أن الشعب الفلسطيني الذي يعاني منه أكثر من ٥ ملايين فلسطيني في الشتات لا يمكن أن يعترف بحق الكيان الغاصب في أرضه، وبالتالي عندما يتمكن من استعادة أرضه فإن الأمر يختلف حينها. والاعتراف غير وارد في مبادرة الهدنة، وإنما التعامل مع المعطيات على أرض الواقع دون اعتراف حتى يستعيد الشعب الفلسطيني كافة حقوقه.

لو رجعنا قليلاً إلى الوضع الميداني، هل نتوقعون اقتحام قطاع غزة؟

القائد الشهيد إسماعيل أبو شنب: التهديد باقتحام غزة قائم، والاحتلال عندما واجه ملحمة جنين وبطولة جنين، ووجد أن الشعب الفلسطيني في غزة مصمم على التصدي ويستعد بكل ما أوتي من قوة للمواجهة.. تراجعت التهديدات ولكنها بقيت قائمة.

وهذا عدو ماكر لا يؤمَن جانبه، وفي اللحظة التي يرى أن خسائره في أي لحظة ستكون قليلة فإنه سيقدم على مثل هذه الحماقات، ومن هنا نقول إن على شعبنا أن يبقى متيقظاً لمثل هذه التهديدات، وألّا يركن إلى أية ادعاءات تقول إن الجيش لا ينوي الدخول لغزة، نقول إن ذلك نوع من التخدير لا يمكن الركون إليه.

كيف تصف علاقتكم بالسلطة؟

القائد الشهيد إسماعيل أبو شنب: الحقيقة أن العلاقة مرت بأكثر من مرحلة خلال هذه الانتفاضة، الأولى كانت مرحلة تقارب، ووقف الجميع في خندق المواجهة مع العدو، وعندما حوصر الرئيس عرفات في رام الله بدأت المحاولات الدولية لوضع شرخ بين السلطة والمقاومة بأن تغريها بطلب الهدنة والهدوء مقابل رفع الحصار عن الرئيس عرفات، هذا أحدث بدايةً تناقضاً داخلياً، والشعب الفلسطيني بوعيه يدرك أن هذا التناقض يجب ألّا يرقى لحد النزاع الداخلي، ونحن في كل مرحلة من مراحل الكفاح والمقاومة نحاول أن نجد صيغ تفاهم وتنفيس الاحتقان الداخلي من أجل أن يبقى صراعنا موجهاً في وجهة واحدة ضد الكيان الصهيوني.

هل لكم معتقلون لدى السلطة؟

القائد الشهيد إسماعيل أبو شنب: لا يوجد معتقلون.

سجن أريحا كان خطأ.

وما رأيكم في اعتقال قتلة الوزير الإسرائيلي رحبعام زئيفي في سجن فلسطيني بحراسة أمريكية وبريطانية؟


رحبعام زئيفي

القائد الشهيد إسماعيل أبو شنب: كانت هذه من الأخطاء خلال التجربة الفلسطينية، ويتعلم منها الشعب الفلسطيني الدروس حتى يتلافاها في محطات أخرى،

وتم فعلاً تلافي ذلك في محطات أخرى بفضل وعي الشعب الفلسطيني وقواه السياسية بضرورة التفاهم الفلسطيني الداخلي، وعدم تحويل الصراع من صراع مع الكيان الصهيوني إلى صراع فلسطيني فلسطيني.

وما تعليق (حماس) على ما أُطلق عليه «إصلاحات» في السلطة الفلسطينية؟

القائد الشهيد إسماعيل أبو شنب: التغييرات لم تأتِ لتعبّر عن حاجة الشعب الفلسطيني إلى الإصلاح، بل لتتوافق مع الطلبات الإسرائيلية المقدمة من قبل الأمريكان، لأن هذا الإصلاح إسرائيلي في ثوب أمريكي بتنفيذ فلسطيني لأهداف أمنية وليست سياسية.

ولا يمكن أن يحدث إصلاح فلسطين من خلال الإملاءات والشروط الأمريكية، بل يجب أن ينبع من الشارع الفلسطيني نفسه وحاجته للإصلاح، ويجب أن يكون الإصلاح جذرياً وقائماً على الاختيار الحر، ودستور واضح، وعمل مؤسسي يحترم رأي الجميع، وتكون فيه القيادة جماعية دون انفراد أو تسلط من جهة على القرار الفلسطيني.

وكيف تنظر (حماس) إلى المناداة الأمريكية بتغيير عرفات؟

القائد الشهيد إسماعيل أبو شنب: الحقيقة هذه مؤامرة جديدة على الشعب الفلسطيني، وضغط من نوع آخر، والقصد من هذا الضغط هو شل القيادة عن دورها في المقاومة، وإيجاد انقسام فلسطيني داخلي بين القُوى، وإيجاد صراعات على السلطة داخل المجتمع الفلسطيني، وهذه مطبات ومصائد للشعب الفلسطيني علينا أن نحذر منها جميعاً، ونعلم أن أمريكا تضع هذا الشرط لأجل



ياسر عرفات

الإصلاح بل لتقول إننا طلبنا الإصلاح وإزالة السلطة وعرفات فلم يقُم الشعب الفلسطيني بذلك، وبالتالي عدم إعطاء الشعب الفلسطيني دولة فلسطينية، وذلك أيضاً شرط تعجيزي وليس رغبة أمريكية.

إزالة عرفات أو إزالة غيره إنما لها هدف خبيث هو الفرقة والانقسام في الشارع الفلسطيني، وإعفاء نفسها من التزاماتها بالضغط على الكيان الصهيوني بالانسحاب. وأيضاً أقول هناك بُعد آخر هو أن أمريكا وهي تحاول أن ترتب أوراق المنطقة لصالحها تحاول أن تضع هذا السقف، وتمرر من تحته كل ما تريد تمريره بلعبة سياسية ماكرة، نحن متنبهون لها ولن تمر إن شاء الله، والشعب الفلسطيني سيحبط كل هذه المشاريع ولن يكون إلا من يختاره الشعب الفلسطيني.

ذكرتْ وسائل الإعلام أن عناصر من الشرطة الأردنية ستدرّب الشرطة الفلسطينية في الضفة، وعناصر من الشرطة المصرية ستدرب الشرطة الفلسطينية في غزة، كيف تنظرون إلى هذه التطورات؟

القائد الشهيد إسماعيل أبو شنب: هذه خطة أمريكية جديدة لترتيب المنطقة وتوريط مصر والأردن في مواجهة المقاومة، ونحن نقول لإخواننا المصريين والأردنيين أن المقاومة مستمرة، وأن الشعب المصري الذي حمى القضية الفلسطينية عقوداً طويلة من الزمان لن يكون حارساً للكيان الصهيوني، ولا شرطياً له، وعلى الإخوة في مصر والأردن فَهم هذه المعادلة وعدم الوقوع في الفخ.

نحن تربطنا بمصر والأردن علاقات جيدة وتنسيق عالٍ، نحن كشعب فلسطيني مع الشعب العربي كله وعلى رأسه الشعب المصري والشعب الأردني. ونقول لإخواننا في مصر والأردن: إن أي انخراط في ترتيبات أمنية سيكون دماراً على القضية الفلسطينية والمقاومة؛ الأمر الذي لا تقبل

به مصر والأردن ولا شعبهما، ونحن سنرفض أية محاولة للتصدي للانتفاضة وستستمر الانتفاضة حتى زوال الاحتلال. وعندما يزول الاحتلال نرحب بأي استشارات أردنية ومصرية، أما في ظل الاحتلال فإن المقاومة لن تتوقف ومطلوب دعم هذه المقاومة عربياً.

عُقد مؤخراً اجتماع بين ممثلي (حماس) في غزة ووزير الداخلية الفلسطيني الجديد عبد الرزاق اليحي، ماذا جرى في هذا الاجتماع؟



عبد الرزاق اليحي

القائد الشهيد إسماعيل أبو شنب: كان لقاء أولياً تعارفياً من قبيل العلاقات العامة، ولم تكن هناك أية قضايا مطروحة للنقاش، وسمعنا منه كيف يفكر، وما هي خططه في الإصلاح، ولم يكن اللقاء أكثر من ذلك.

كيف وجدتموه؟

القائد الشهيد إسماعيل أبو شنب: نحن لا نحاسب الأقوال لأنها سهلة وميسورة، وإنما نحاسب الأفعال ونحن سنحكم على الرجل عندما نرى الإصلاحات الحقيقية على أرض الواقع، ودعونا له بالتوفيق في إصلاحاته التي تعزز الوحدة الوطنية وتقوّي الصف الفلسطيني وتطهّر الفساد.

ولكن نُسب إليه شجبه للعمليات الاستشهادية التي تقومون بها؟

القائد الشهيد إسماعيل أبو شنب: نحن نعرف الظروف الراهنة الدولية التي تقع فيها السلطة، وأي مفاوض يمكن أن يلتقي الإسرائيليين لا يستطيع إلا أن يقدّم بين يدي لقاءاته مع الأمريكان والإسرائيليين

مثل هذه الجُمل، ولكن في حقيقة الأمر نحن نستطيع أن نتعرف على ذلك من خلال الواقع، فإذا واجه الانتفاضة والمقاومة يكون قد حكَم على مشروعه بالفشل.

أعلن الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات عزمه إجراء انتخابات بلدية وتشريعية ورئاسية، ما موقفكم من هذا الإعلان؟

القائد الشهيد إسماعيل أبو شنب: الحقيقية أننا قلنا بأن الحل الإصلاحي يبدأ من الانتخابات لبرلمان فلسطيني يمثل الفلسطينيين في الداخل والشتات، ويكون هذا البرلمان هو المرجعية العليا للشعب الفلسطيني، ويقوم عليه برنامج تحرر وطني مشترك تشارك فيه كل القوى، وتُنتخب قياداته ومرجعياته السياسية طبقاً لذلك، بغير هذه البداية كل الحلول ستكون ترقيعية.



وإذا جرت انتخابات نزيهة فهل ستخوضها حماس؟

القائد الشهيد إسماعيل أبو شنب: من السابق لأوانه الحكم على أنه ستكون هناك انتخابات؛ لأن المؤشرات تقول إن الواقع لا يسمح بالانتخابات، ولذا فإننا لا نشغل أنفسنا في ملهاة الانتخابات ودبابات العدو وجنود الاحتلال تربض على أرضنا وتحاصر مدننا وقرانا! نحن نقول إن الأولوية في هذه المرحلة لمقاومة الاحتلال، وفي اللحظة التي يتم فيها تقرير الشعب الفلسطيني بالانتخابات سنقرر في الوقت المناسب إن شاء الله.

يعاني المجتمع الفلسطيني كثيراً من ظاهرة العملاء، ماذا فعلت (حماس) للحد من هذه الظاهرة؟

القائد الشهيد إسماعيل أبو شنب: هذه الظاهرة تنخر في الشعب الفلسطيني منذ وطأت أقدام الاحتلال الأرض الفلسطينية، وتعامل معها الشعب الفلسطيني بأكثر من طريقة، ونحن نقول إن ظاهرة العملاء بحاجة إلى جناحين للمعالجة:



- جناح فلسطيني داخلي يحاول أن يحل المشاكل التي تؤدي إلى مثل هذه الظاهرة.
- وجناح آخر هو ملاحقة العملاء وتطهير المجتمع منهم.

وبالتالي نستطيع أن نطوّق المشكلة ونحلها، ولما تكاسلت وتراخت السلطة عن هذا الدور استشرى دور العملاء في داخل المجتمع الفلسطيني حتى أصبحنا في ظل هذه الانتفاضة نعاني كثيراً من العملاء. ومن هنا فإن الشعب الفلسطيني الآن متيقظ ولديه العلاج لهذه الظاهرة باستئصال شأفة العملاء من ناحية، ومنع أسباب الظاهرة من ناحية أخرى، وعلاج مَن تورطوا فيها بالإصلاح.

هذه نقاط مهمة نأمل أن يمارسها المجتمع الفلسطيني جماعياً ومن خلال الأُطر الرسمية، وليس من خلال الفصائل، لأنه لو تُرك لها الأمر فإن هذا سيؤدي إلى فوضى داخلية.

هل تحاربكم إسرائيل نيابة عن الولايات المتحدة؟



القائد الشهيد إسماعيل أبو شنب: الحقيقة أن هذه الحرب لا تقوم بها إسرائيل نيابة عن أمريكا، بل أمريكا تورط إسرائيل فيها حماية لمصالحها. كما أن الصهيونية أيضاً لها مصالح أكبر من المصالح الأمريكية، وهذا أمر نفهمه نحن أبناء الشعب الفلسطيني، ونفهم أن الصهيونية تريد أن تركب على حصان ودبابات وطائرات أمريكا للوصول إلى أهداف الصهيونية بإقامة دولة صهيونية من النيل إلى الفرات. ودولة الاحتلال تحاول بذلك أن تقنع الإدارة الأمريكية بأن ذلك يخدم المصالح الأمريكية، فلماذا لا تقف أمريكا معهم؟!

هذا الحلف الشيطاني التآمري القائم على المصالح المتبادلة لا يعني أن نخرج من إطار المقاومة داخل فلسطين إلى خارجها، بل نقول إن من عوامل النصر بإذن الله التركيز على المقاومة داخل فلسطين لأن المقاومة تتشتت لو خرجت خارج فلسطين.

كيف تنظرون إلى دور الشعوب العربية تجاه فلسطين؟

القائد الشهيد إسماعيل أبو شنب: نحن ممتنون لكافة مَن دعموا الشعب الفلسطيني مادياً ومعنوياً، ونحن لم نلحظ أي قصور من أي جمهور عربي، ولقد كان الجمهور المغربي على رأس الجماهير العربية التي وقفت معنا في هذه الانتفاضة رغم بُعد المسافات، إلا أن العلاقات العربية والإسلامية والروابط الأخوية التي تربط بين شعبينا تظل عنصراً أساسياً، وقد عبر الاخوة المغاربة في كثير من مسيراتهم الشعبية عن الصدق والإخلاص والمشاعر الحقيقية تجاه القضية الفلسطينية.

ولكن هذا البُعد العربي الجماهيري عليه أن يستمر في الضغط على الحكومات حتى يكون دورها إيجابي، وأن تتحول من التعبير عن الذات إلى فعل يدعم المقاومة ويحميها، ويعزز صمود الشعب الفلسطيني سواء كانت بالتبرعات المادية أو المواقف السياسية أو المواقف الإعلامية التي تحافظ على استمرار المقاومة.

شهدنا مؤخراً اتصالات بين أجهزة المخابرات العربية والكيان الصهيوني، كيف تنظرون إلى هذه الاتصالات؟



القائد الشهيد إسماعيل أبو شنب: نحن مع كل تنسيق عربي ليكون في صالح الانتفاضة، ولكن للأسف فإن أمريكا لا تنوي للشعب الفلسطيني خيراً، ومن هنا فإني أنبّه كل الأجهزة المخابراتية العربية التي تشارك في هذه الاجتماعات لأن تحذر أن تقع في الفخ الذي تنصبه أمريكا، وهو أن تلعب دور شرطي حراسة لإسرائيل في المنطقة، وتحارب الانتفاضة بأيدي عربية. نحن نحذر من أن تحارَب الانتفاضة من خلال أيدي عربية.

توجّه وسائل الإعلام الإسرائيلية بين الحين والآخر اتهامات لحماس بالاتصال بتنظيم القاعدة وابن لادن، فما تعليقكم؟

القائد الشهيد إسماعيل أبو شنب: دعني أقول إن حركة (حماس) منذ بدايتها أكّدت على أنها حركة فلسطينية ذات طابع فلسطيني وإسلامي، وهي معنيّة بتحرير الأرض الفلسطينية، ومن هنا كانت ترحب بكل دعم وتأييد عربي ودولي وإسلامي لها في هذا الاتجاه. وأسامة بن لادن أخذ صفة المجاهدين من خلال جهاده في أفغانستان وقيادته للحرب ضد الغزو السوفيتي لأفغانستان، ولا تربط حركة (حماس) به أية

روابط؛ لا على المستوى الشخصي ولا على مستوى تنظيم القاعدة، فلا يوجد بين تنظيم القاعدة وحماس أية علاقات، ونحن لم نتدخل في الشأن الأفغاني إطلاقاً بعد تحرير أفغانستان، كما لا نقبل أن يتدخل أحد في شؤوننا؛ فهذه السياسة نسير عليها بانضباط إن شاء الله تعالى.

أما عن الخلاف حول وجهة نظر ابن لادن من الغزو الأمريكي وعلاقته بأمريكا، فهذه قضية لا نتدخل فيها، وقلنا إن الهجوم على الأبراج في نيويورك كان إرهاباً، وقتلاً للأبرياء وأدنّا هذه العمليات سواء كانت صادرة عن بن لادن أو أية جهة أخرى. نحن لم ندقق من هي الجهة التي تقف وراء تدمير الأبراج الأميركية، بل أدنّا هذه العملية من خلال التصريحات التي أعلنتها الحركة منذ البداية، وقلنا إن الإسلام لا يقبل قتل المدنيين الأبرياء.



ادعت قوات الاحتلال أنها اعتقلت عنصراً من (حماس) كان على علاقة مع (حزب الله)، فماذا تقول حماس؟

القائد الشهيد إسماعيل أبو شنب: هذه ألاعيب مخابراتية، وحماس مستقلة فلسطينياً، ولكنها منفتحة على العالم وترحب بأي دعم لهذه القضية العادلة، و(حزب الله) أحد القوى الداعمة للقضية الفلسطينية وتربطنا به علاقات قوية من خلال دعمه للقضية الفلسطينية، ولكن لا يوجد بين عملنا على ميدان المقاومة أي ارتباط عملياتي تنظيم خارج فلسطين.

تحشد الولايات المتحدة قواتها لضرب العراق، كيف تنظر (حماس) لهذه التطورات؟



القائد الشهيد إسماعيل أبو شنب: هذه الصورة حقيقةً تحدٍ كبير ليس فقط للعراق بل للأمة العربية والإسلامية، ولقد أعلن (بوش) أن حربه ضد الإرهاب حرب ضد الإسلام وأنها «حملة صليبية»، فيجب أن نفهم المعادلة من هذا الجانب.

وقوى الشر الصليبية تجمع بتحالف صهيوني أمريكي اليوم للانقضاض على العالم العربي والإسلامي من خلال قضية العراق والقضية الفلسطينية. ونحن نقول بأن الأطماع الأمريكية في المنطقة هي أطماع استعمارية ذات بُعد صليبي. وهي حملة صليبية جديدة تريد أن تسيطر على العالم العربي والإسلامي وتنهب ثرواته وتمنع تقدمه وتدعه متخلفاً إلى قرون قادمة. كما تهدف إلى إعاقة تقدمه ونهضته وتحرره.

ومن هنا فإن التهديدات الأمريكية للعراق هي تهديدات لكل الأنظمة العربية والإسلامية في المنطقة لبسط سيطرة استعمارية جديدة على الأرض. والطرف الآخر لهذه الحرب هو الوجود الصهيوني في أرض فلسطين، وهي بتهديدها للعراق ودعمها للكيان الصهيوني أوضحت تماماً عن نواياها الشريرة ضد العالم العربي والإسلامي.

كيف تنظرون إلى المستقبل القريب والبعيد فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية والشرق الأوسط؟

القائد الشهيد إسماعيل أبو شنب: المستقبل القريب صعب ومؤلم، ونحن في بداية الطريق لأن الحملة شرسة، ولكن في اللحظة التي يتحلى فيها شعبنا العربي والإسلامي عامةً بالصبر ورباطة الجأش ودفع استحقاق

المواجهة؛ فإننا في تلك المرحلة سنشهد تغيراً وتحولاً لصالح المشروع العربي والإسلامي التحرري النهضوي، لأن الاستعمار الذي يخاف على مصالحه ويهتم لخسائره يرى أن ذلك يكلّفه ثمناً فادحاً وكثيراً، وبالتالي سيعيد حساباته ويرحل ويتلاشى، وسيكون النصر حليف الفئة المؤمنة الثابتة الصابرة التي تعرف كيف تواجه عدوها وتتمسك بقيمها وأخلاقها ومبادئها لتعيد دورها الحضاري من جديد.

وأنا متفائل بالمستقبل البعيد في ظل هذه الصحوة العربية والإسلامية والانتفاضة المباركة في أرض فلسطين، وفي ظل هذا الوعي الجماهيري العربي والإسلامي بأبعاد المؤامرة على مشروعنا العربي والإسلامي، وعلى نهضتنا العربية والإسلامية، ولكن بين هذه اللحظة واللحظة المنيرة والمشرقة هناك مرحلة مخاض صعب وصعوبات جمة يجب أن نتحلى خلالها بالصبر والشجاعة لنعبرها بثقة واقتدار وأقل الخسائر إن شاء الله.

هل من إضافة أو استدراك أو تعليق على ما سبق؟

القائد الشهيد إسماعيل أبو شنب: نؤكد أن حركة المقاومة الإسلامية (حماس) وهي تتصدى للمشروع الصهيوني في فلسطين، هي جزء من مشروع عربي إسلامي للتصدي للأطماع الغربية الاستعمارية في عالمنا العربي والإسلامي؛ وبالتالي على أمتنا العربية أن تدرك أن حجم المؤامرة أكبر من قدرة الشعب الفلسطيني، وعليها أن تلتف حول مشروع عربي موحد وتضع استراتيجية عربية موحدة لردّ هذا العدو، وعدم النظرة الجزئية إلى الوضع وكأنه فقط على أرض فلسطين.

إن الأطماع أبعد من فلسطين، وإذا انهارت المقاومة في فلسطين فإن جدار المقاومة العربية سينهار.. اليوم فلسطين وغداً مصر ثم تتجه غرباً وشرقاً حتى تحقق الصهيونية -لا سمح الله- أحلامها بقيام دولتها الكبرى.

إن فلسطين ليست للفلسطينيين بل للعرب والمسلمين.



هذا واجبك تجاه فلسطين



الشهيد الشيخ الدكتور يوسف جمعة سلامة

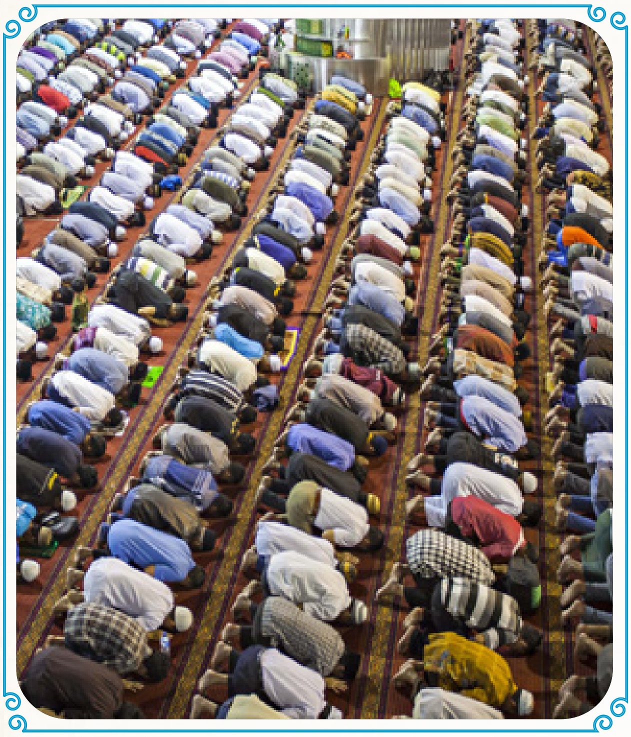
تقبّله الله*

تُعد فلسطين دُرة بلاد الشام، كما تعد مدينة القدس درة المدن التي اكتسبت مكانة هامة عبر الأزمنة والعصور، فهي تضم بين جنباتها المسجد الأقصى المبارك قبلة المسلمين الأولى ومسرى نبيهم وأرض المحشر والمنشر، التي جمع الله فيها جميع الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- ليلة الإسراء، حيث صلى بهم رسولنا محمد ﷺ إماماً.

---

* الشيخ الدكتور الشهيد يوسف جمعة سلامة، نائب رئيس الهيئة الإسلامية العليا في القدس ووزير الأوقاف والشؤون الدينية الأسبق، استشهد بقصف الاحتلال الإسرائيلي على منزله بقطاع غزة في ٣١ ديسمبر ٢٠٢٣، وأصيبت في القصف زوجته وبناته. مصدر المقال: كتابه (إسلامية فلسطين)، ط: مكتبة وهبة/القاهرة، ط١، ٢٠٠٩م، ص(١٦٧-١٧٥).

لذلك يجب على كل أبناء الأمة الإسلامية أن يقوموا بواجبهم تجاه فلسطين عامة، وعاصمتها القدس، وجوهرتها المسجد الأقصى بصفة خاصة، لأنه أولى القبلتين، وثاني المسجدين، وثالث الحرمين الشريفين، فالدفاع عن قضية فلسطين واجب المسلمين جميعاً، حيث ورد ذلك في الكتاب والسُّنة، ويأثم من يقصر في ذلك، وتستطيع الأمة الإسلامية أن تقدم لفلسطين وعاصمتها القدس، ومسجدها الأقصى وأهلها الكثير، ويتأتى ذلك عن طريق الحلين الآتيين:

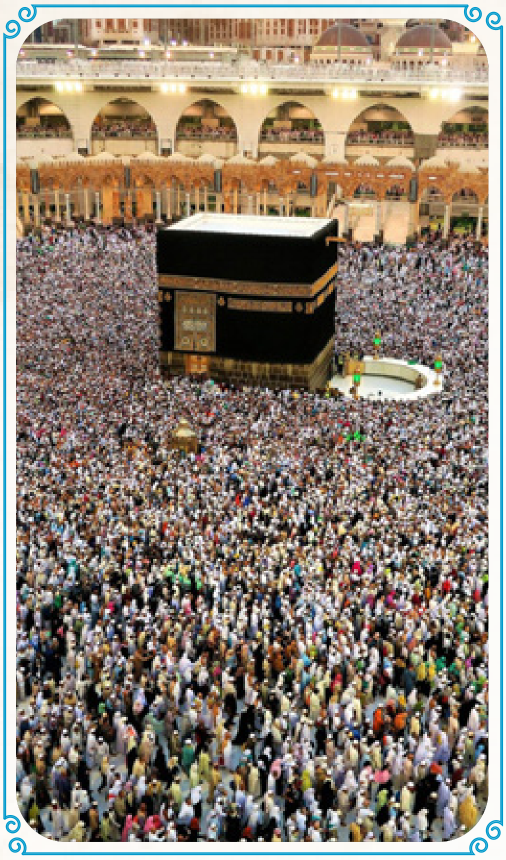


أولاً: حلول استراتيجية (طويلة الأمد)

وذلك بأن يعود المسلمون إلى دينهم عوداً حميداً صحيحاً لأن هذه العودة هي سُنة الله تعالى في التغيير إلى الأصلح والأقوم في حياة الأمة، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ﴾ [الرعد: ١١]. ومن لوازم العودة إلى الإسلام الاعتصام بالقرآن حبل الله المتين، قال الله تعالى: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران: ١٠٣]. ومن مقتضيات الاعتصام بحبل الله أن يتوحد المسلمون، ليكونوا أمة واحدة كما أراد لهم ربنا سبحانه وتعالى إذ يقول في كتابه الكريم: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ﴾ [المؤمنون: ٢٥].

والأمة الإسلامية أكرمها الله بإمكانات وطاقات متعددة ومختلفة لو أحسنت استغلالها لكانت الرائدة كما كانت دائماً، من هذه الإمكانات والطاقات:

١. القوة البشرية



وهي القوة العددية، حيث إن الأمة الإسلامية تملك من البشر ما يزيد على المليار والربع من المسلمين المؤمنين بعقيدة التوحيد، منتشرين في قارات العالم الست، إن العبرة بالكيف لا بالكم، لكن الكم مهم أيضاً، لذلك نرى محاربة الغرب للمسلمين في نسلهم وفي عددهم، وفي ذلك يقول الله تعالى من باب الإنعام والفضل على المسلمين في سورة الأعراف: ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ كُنتُمۡ قَلِيلٗا فَكَثَّرَكُمۡۖ﴾ [الأعراف: ٨٦].

٢. القوة المادية والاقتصادية

إن الأمة الإسلامية تملك من خيرات الله الشيء الكثير، تملك الأرض الخصبة في السهول والوديان، وتملك الجبال والهضاب، وتملك البحار والبحيرات والأنهار العظام، وتملك العيون والآبار، وتملك مخزوناً كبيراً من المياه الجوفية، حيث إن الحروب المقبلة ستكون على المياه، وتملك معظم المعادن التي يحتاجها العالم المعاصر، وتملك مخزون العالم من النفط، إنها تملك الأموال والسوق والعقول وتملك الشيء الكثير. لكن أين موقع هذه النعم وهذه الأموال؟!

٣. القوة الروحية

إن الأمة الإسلامية أمة ذات عقيدة واضحة ندعو إليها ونحيا من أجلها ونلقى الله عليها، هذه العقيدة الصافية جاءت شاملة كاملة ﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ﴾ [النحل: ٨٩]، عقيدة

تربي الأخلاق: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، عقيدة تقوم على الوسطية: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

إن العالم اليوم بحاجة إلى العقيدة الإسلامية لتأخذ بيده من الظلام إلى النور، ومن الخوف والضياع إلى الأمن والاستقرار، ومن الفساد الخلقي والاجتماعي إلى الأمن والأمان والحياة الكريمة الطيبة. إن الأمة الإسلامية يجب عليها أن تحسن استخدام هذه القوى والنعم في طاعة الله ورسوله لأنه لا مكان للضعفاء ولا للمتفرقين ولا للمتنازعين.

والحمد لله فإن المسلمين اليوم يملكون كل أسباب القوة من أموال طائلة، وأعداد بشرية هائلة، وخيرات وافرة، ومع ذلك كله فهم لم يحرروا فلسطين ونتساءل لماذا؟!

إن الجواب يأتي صريحاً من القرآن في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٦] فعدم قيامهم بتحرير فلسطين حتى الآن، يعني أنهم في حالة من الضعف الإيماني، وذهاب القوة، والفشل، وسبب الفشل هو: التنازع، والاختلاف والفرقة. هذا هو واقع المسلمين عامة والعرب منهم خاصة، فلديهم قُوى لو اجتمعت لما استطاع أحد كسرها، ولكنها بسبب تفرقها وتنازعها تلاشت هذه القوى فسهل على العدو هزيمتها، كما يحكى في ذلك قصة الرجل الحكيم الذي كان له اثنا عشر ولداً، فلما حضرته الوفاة، استدعى أولاده جميعاً، فاجتمعوا عنده، فطلب

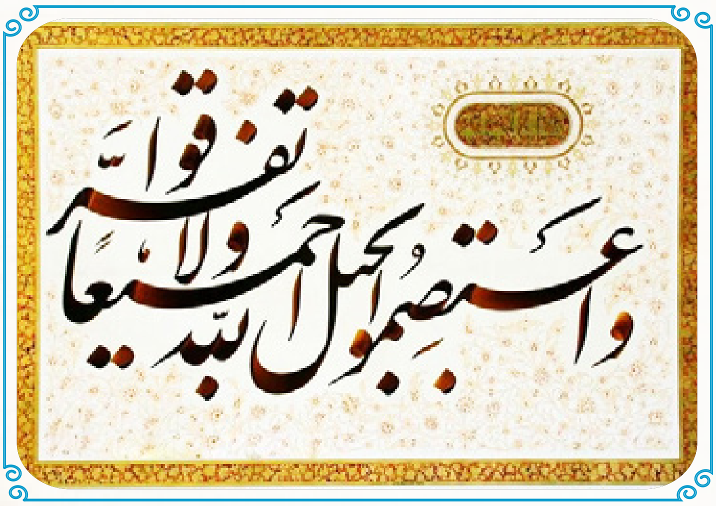


حزمة من العصي، فأُحضرت، فطلب من كل واحد منهم أن يكسرها مجتمعة فعجز، فأعطى كلاً منهم عصاً فكسرها بسهولة، فقال لهم: «يا بَني، كونوا جميعاً ولا تتفرقوا فيسهل كسركم».

وفي هذا المعنى يقول الشاعر:

تأبَى الرماحُ إذا اجتمعنَ تكسراً •• وإذا افتَرقنَ تكسْرتْ آحادا

فلماذا هذا التشتت بين أمة التوحيد والوحدة؟ ولماذا لا يعود المسلمون إلى دينهم ليستعيدوا وحدتهم التي فيها سر قوتهم وعزتهم وكرامتهم وتحرير مقدساتهم، وفي مقدمتها المسجد الأقصى المبارك وفلسطين؟



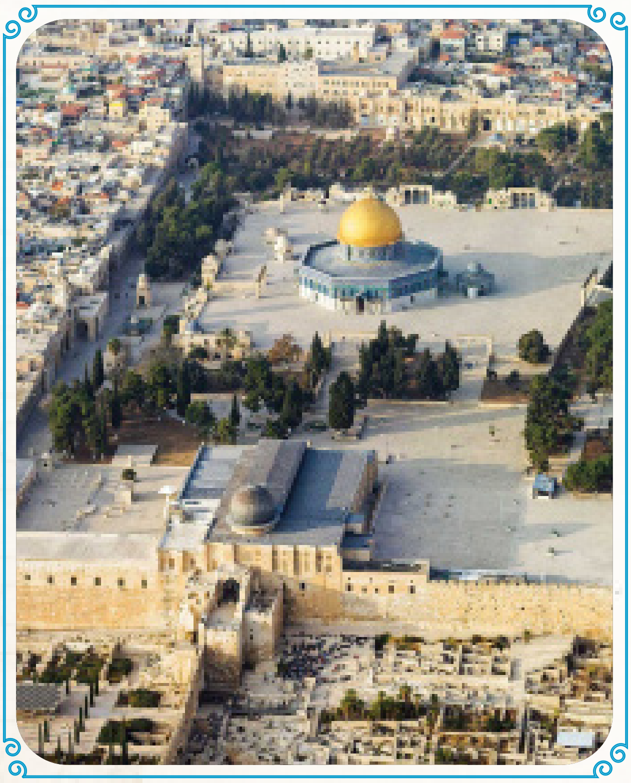
ثانياً: حلول فورية

١. **التعريف بفلسطين والقدس والمسجد الأقصى المبارك**، وإظهار مكانة كل منهم بالنسبة للإسلام والمسلمين، وذلك حتى تبقى القضية حية ومعروفة لدى الجميع، فالقدس جزء من العقيدة فهي آية من القرآن الكريم، والاستيلاء عليها يعني الاستيلاء على تاريخ الأمة وحاضرها، من أجل ذلك يجب أن تتولى المؤسسات العربية والإسلامية إصدار النشرات الموضحة للمقدسات عامةً، ولمعالم المسجد الأقصى المبارك بصفة خاصة، لتبقى القدس خالدة في ذاكرة الأجيال.

وليتعرف المسلم في كل مكان على مسرى نبيه عليه الصلاة والسلام وقبلته الأولى، ولا يختلط الأمر عليه في مساحة أو بناء، حيث إن كثيراً من العرب والمسلمين يخلطون في الأمور، فمنهم من يقول بأن المسجد الأقصى المبارك هو مسجد قبة الصخرة، أو المسجد المسقوف الذي يصلي فيه الرجال، لذلك لا بد من تعريف المسلمين بالمسجد الأقصى المبارك الذي هو أولى القبلتين وثاني المسجدين وثالث الحرمين الشريفين، والذي أخذت فلسطين مكانتها وبركتها من وجوده.

إن مساحة المسجد الأقصى المبارك تبلغ (١٤٤) مائة وأربعة وأربعين دونماً، وتشتمل على جميع الأبنية والساحات والأسوار. وأهم الأبنية فيه:

١. المسجد الأقصى المسقوف (الذي يصلي فيه المسلمون حالياً) ويقع في الجهة الجنوبية من الأقصى، ومساحته تقرب من خمسة دونمات ونصف.



٢. **المسجد القديم**، ويقع أسفل المسجد الحالي، ومساحته تقرب من دونم ونصف.

٣. **المصلى المرواني** (التسوية الواقعة في الجهة الجنوبية الشرقية من الأقصى) وتقرب مساحته من أربعة دونمات ونصف.

٤. **قبة الصخرة المشرفة**، ومساحتها تقرب من دونم وثلاثة أرباع الدونم.

بالإضافة إلى المصاطب والمحاريب والمصليات والقباب والأسبلة والساحات والأسوار، كلها في عرف الشرع (المسجد الأقصى المبارك).

كما يجب تدريس مادة عن فلسطين ومقدساتها كمتطلب جامعي كي يتعرف أبناء العروبة والإسلام على جزء غالٍ من بلادهم وعقيدتهم، وكذلك الإسهام في ترميم المقدسات في فلسطين.

٢. التبرع لصالح القضية الفلسطينية، كل حسب استطاعته؛ فعن ميمونة مولاة النبي ﷺ قالت: يا رسول الله، أفتنا في بيت المقدس، قال: «أرض المحشر والمنشر، اِئتوه فصلوا فيه، فإن صلاة فيه كألف صلاة في غيره» قلت: أرأيت إن لم أستطع أن أتحمل إليه؟ قال: «فتهدي له زيتاً يُسرَج فيه، فمن فعل ذلك فهو كمن أتاه»[١].

فهذه دعوة نبوية لأبناء الأمة بأن يشدوا الرحال إلى المسجد الأقصى المبارك، فمن لم يستطع منهم كالعرب والمسلمين خارج فلسطين، والذين لا يستطيعون الوصول نتيجة الاحتلال الإسرائيلي الغاشم، فهؤلاء عليهم واجب كبير، وهو مساعدة إخوانهم وأشقائهم المرابطين في فلسطين عامة ومدينة القدس بصفة خاصة من سدنة وحراس، وتجار، وطلاب، وجامعات، ومستشفيات، ومواطنين، والذين يشكلون رأس الحربة في الذود عن المقدسات الإسلامية في فلسطين بالنيابة عن الأمتين العربية والإسلامية.

وذلك بإقامة المشاريع الإسكانية، وترميم البيوت في البلدة القديمة، لاستيعاب الزيادة السكانية للفلسطينيين في مدينة القدس، وكذلك تشجيع الاستثمار في المدينة المقدسة، حتى يستطيعوا التصدي

---

١ أخرجه ابن ماجه في سُننه، في كتاب الإقامة (٤٥١/١)، رقم الحديث ١٤٠٧، وأخرجه أحمد بن حنبل في مسنده (٤٦٣/٦).

لمؤامرات تسريب الأراضي للمحتلين، والمحافظة على هُوياتهم المقدسية، والثبات في البيوت في البلدة القديمة، والتي تعمل سلطات الاحتلال على تفريغها من أهلها، وإسكان المستوطنين بدلاً منهم.

٠٣ **الاهتمام بالإعلام المسموع والمرئي والمقروء،** لإبراز القضية الفلسطينية والحق الشرعي للمسلمين في فلسطين، من خلال التاريخ الصادق وإظهار الحقوق التاريخية والسياسية والعقدية والحضارية للعرب والمسلمين في فلسطين، وذلك بتخصيص مساحة كافية على الفضائيات العربية والإسلامية للحديث بجميع اللغات عن أهمية القدس خاصة وفلسطين عامة ومكانتها، وضرورة التعامل مع الشبكة العنكبوتية (الإنترنت) للتصدي للهجمة الصهيونية، فالإعلام له دور كبير في إظهار الحقوق، والرد على الشبهات والأباطيل وذلك بصوت واحد قوي، فموقفنا كمسلمين من القضية يجب أن يكون موقفاً واحداً.



٠٤ **مقاطعة المنتجات التي يعود مردودها لسلطات الاحتلال الإسرائيلي، حيث تُسهم في قتل أهل فلسطين سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة.**

٠٥ **إن علماء المسلمين مطالبون بدور كبير في دعم قضية فلسطين والقدس والأقصى،** ويتجلى هذا الدور في أصعدة عديدة، من أهمها التأكيد على أن فلسطين ليست ملكاً للفلسطينيين بل ملكاً

للأجيال المسلمة إلى قيام الساعة، والذي يملك شيئاً يجب أن يحافظ عليه، لذلك فإن العلماء يقع على كاهلهم دعوة الأمة لمساعدة الفلسطينيين المرابطين على أرض الإسراء والمعراج كي يبقوا محافظين على الأرض الفلسطينية لأنها وقف إسلامي، لا يجوز التنازل عن شبر منها، وكذلك يجب على العلماء حث الأمة على تحرير هذه الأرض المباركة.

٦. الدعاء لفلسطين وأهلها، فالإنسان آثم إذا ترك ذلك، لأن المسلم أخ للمسلم، والمسلمون كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى، والله يستجيب الدعاء إذا أيقن صاحبه بذلك، يقول الله في كتابه العزيز: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦]، وعن ابن عباس الله قال: قال لي رسول الله ﷺ: «إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله»[٢].

فيجب أن يكون هذا الموضوع شغلنا الشاغل، ويدعو الإمام في كل صلاة جمعة ويردد وراءه المصلون.



٧. مناشدة الرأي العام العالمي وخاصة المسيحي بوجوب الوقوف مع الشعب الفلسطيني، والتصدي للهجمة الصهيونية الشرسة ضد المواطنين

---

٢ أخرجه الترمذي في سُننه، في كتاب صفة الجنة (٤/٦٦٧)، رقم الحديث ٢٥١٦.

والمقدسات، والإصرار على عودة مدينة القدس محررة من براثن الاحتلال، حيث توجد أقدس مقدسات المسيحيين في العالم على الأراضي الفلسطينية مثل كنيسة القيامة، وكنيسة المهد... إلخ.



أثناء جلسة محاكمة إسرائيل في محكمة العدل الدولية

٨. **التركيز على فضح الاعتداءات الإسرائيلية على فلسطين في جميع المؤسسات الدولية**، والعمل على المحافظة على الآثار العربية والإسلامية في المدينة المقدسة، حيث تسببت إجراءات الاحتلال في تدمير كل شيء من تيتيم للأطفال، وتَرَمل للنساء، وتدمير للمصانع والمؤسسات، وتجريف للمزروعات، وكذلك ما تتعرض له الأراضي الفلسطينية عامة والمقدسات بصفة خاصة من محاولات لهدمها، وتدنيسها، وتقسيمها، وإقامة الجدار العازل، ومصادرة الأراضي، وطرد أهلها، لذلك يجب التصدي لهذه الاعتداءات بالعمل على إعادة المؤسسات التي هجرت قسراً من القدس إلى مكانها السابق حفاظاً على الهوية العربية الإسلامية للمدينة المقدسة.

٩. **فضح المشروع الصهيوني وتعريته،** وذلك بفضح اليهود وطبيعتهم، وهذا واجب علماء الأمة وقادة الرأي فيها، أن يعرّفوا الشعوب بعدوها مستندين على القرآن الكريم والسنة المطهرة وما فيهما من وصف مفصل لليهود، ثم على كتب التاريخ وكتابات المعاصرين عنهم -المسلمين وغير المسلمين- المكتوبة باللغة العربية أو غيرها من اللغات؛ مثل كتاب (أحلام الصهيونية وأضاليلها) للمفكر الفرنسي المسلم رجاء جارودي.

ومن الواقع المعاصر، فبين أيدينا تجارب كثيرة في الحرب والسلم، وسلسلة من الهدنات والاتفاقات كلها تبين أن اليهود لا يعرفون غير منطق القوة وأنهم لا أَيمان لهم ولا عهد ولا ذمة، وأن أبرز صفاتهم هي العنصرية؛ فهم يرون أنفسهم شعب الله المختار، وما سواهم أميون ليس عليهم منهم شيء، والعنف والطبيعة العدوانية متأصلة فيهم؛ فقلوبهم قاسية كما وصفهم القرآن الكريم، وتطلعاتهم التوسعية لـ(إسرائيل الكبرى) من النيل إلى الفرات لا تخفى، بل هم يريدون السيطرة على العالم كله.

ثم كذلك من صفاتهم التحرر من الأخلاق، وعدم ثباتها واستخدام المعايير المزدوجة: معيار مع النفس ومعيار مع الأغيار (الأميين).. قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٦]، وهم يرون أن الغاية تبرر الوسيلة ويحترمون العهود والمواثيق متى كانت في صالحهم ويتجاهلونها إذا لم ترُق لهم، وهم أحرص الناس على حياة وأكثر الناس شحاً وحباً للمال.

كل هذه المعاني وما شاكلها تحتاجها الشعوب المسلمة لتعرف عدوها وتقدره قدره، وتعدّ العدة المناسبة لدفعه.

١٠. **العمل على الصعيد العالمي**، وذلك بتفعيل دور المؤسسات العربية والإسلامية العالمية؛ كجامعة الدول العربية ومنظمة المؤتمر الإسلامي ولجنة القدس، والعمل على استخدامها كوسائل ضاغطة لتغيير الرأي العالمي ونصرة

القضية الفلسطينية؛ لأن هناك بُعداً إنسانياً عالمياً لقضية فلسطين، هذا البُعد ينبغي أن يعمل على محاولة تأثيم الضمير الإنساني العالمي لسكوته عن الظلم الواقع على الشعب الفلسطيني، وغضه الطرف عن الصلَف اليهودي، ومخاطبة كل المنظمات الإنسانية العالمية؛ مثل منظمة حقوق الإنسان ومنظمات رعاية الأمومة والطفولة ومنظمة العدل ومجلس الأمن والجمعية العامة ونحوها.

وكذلك توضيح أن الإرهاب هو ما يقوم به الكيان الصهيوني، وليس ما يقوم به الفلسطينيون من مقاومة مشروعة للاحتلال، بالإضافة إلى تحميل أمريكا مسؤولية ما يحدث للشعب الفلسطيني، وفضح تحالفها مع العدو ضد حقوق أمتنا، واستخدامها المعايير المزدوجة التي تتبناها دوماً لصالح اليهود.

كما يشمل هذا البُعد مطالبة المنظمات الدولية بأن تسلك مبدئية المواقف بعيداً عن اختلال الموازين التي تؤدي إلى فقدان مصداقيتها.

إن فلسطين عامة والقدس خاصة في التصور الإسلامي سامية المكانة، عالية المنزلة، عزيزة الحمى.. الأمر الذي يستوجب على المسلمين جميعاً الغيرة عليها من أن يدنسها اليهود، والذود عنها من اعتداء الآثمين، وبذل الغالي والنفيس في سبيل تحريرها وردّ المعتدين عنها.



جماجمنا وأشلاؤنا فداءً للأقصى



الشهيد محمود رجب البرعي

تقبّله الله*

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج: ٣٩].

وقال رب العزة أيضًا: ﴿قَـٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ * وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ١٤-١٥].

استُشهد الشهيد محمود رجب البرعي عام ٢٠٠١م، بعد تنفيذه هجوماً استشهادياً على تجمع لقوات الاحتلال الصهيوني على حدود قطاع غزة الشرقية، وكان عمره ٢٤ عاماً. المصدر: كتاب (وصايا مسافرة لكوكبة مضيئة من شهداء حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين)، إعداد: طارق أبو علي، ط: دار الشاطئ/غزة، ط١، ٢٠١٢م، (ص٢٣٥-٢٣٧).

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، الحمد لله الذي خصّ هذه الأمة بأن جعل منها الشهداء، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين وإمام المجاهدين وناصر المستضعفين ومذل المستكبرين، محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم. أما بعد:

فيأتي قدر الله في الزمن الذي يتخلى الجميع عن القدس والأقصى، فيلتف حولها سور من الجماجم والأشلاء، يحفظها ويرعاها ويمسح عنها الحزن، ويضمد جراحها، ويرسم البسمة على شفاه الأطفال والثكالى، وتبصق دماً في وجوه المتخاذلين والمفاوضين الخونة على شرفها مع بني القردة والخنازير من بني صهيون؛ فإنهم لا يحترمون إلا الأقوياء، فعندما نتمسك بإسلامنا وبسيوفنا وبفلسطيننا يكون النصر حليفنا، ويجيء وعد الإسراء يقوده جيش الإساءة.



- **فيا جماهير شعبنا المرابط:**

لا تنتظروا أحداً يقرر مصيركم، فالكل يعبث بنا ويتآمر علينا وعلى قضيتنا، فبادروا إلى صُنع المجد والكرامة والحرية بأنفسكم، بدمائكم وأشلائكم وتضحياتكم. وعلى قدر ما تضحون يقترب الوعد، فمستقبل فلسطين معلق بسيوفنا، بقرآننا وبإسلامنا وبسلاحنا وبعقيدتنا وبجهادنا وبانفجارنا وبدمنا وباستشهادنا. ويبقى الكلام للدم وحده ولا لشيء غيره.

- **فيا إخوة الطريق.. طريق الإسلام المقاتل المجاهد والمقاوم:**

أما سمعتم ربكم حينما قال: ﴿وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ وَأَخۡرِجُوهُم مِّنۡ حَيۡثُ أَخۡرَجُوكُمۡۚ﴾ صدق الله العظيم [البقرة: ١٩١].

ويا أمتنا الإسلامية أما استجبتم لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ صدق الله العظيم [التوبة: ٣٨].

فما لكم لا تنفرون؟ أم هو الوهن؟ (حُب الدنيا وكراهية الموت)، فإن كان الأمر كذلك، فاسمعوا قول الله تعالى: ﴿قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ صدق الله العظيم [التوبة: ٢٤].

فهل نرضى لأنفسنا أن نكون من الفاسقين؟! أجيبوني بالله عليكم؟!

لا وألف لا، فها هي قوافل الشهداء تمضي لتؤكد عشقها للجهاد والاستشهاد في سبيل الله، ولتلفظ كل المتقاعسين الخوالف، الذين أذلوا الأمة بسلامهم المزعوم، وها نحن نتقدم لا لنموت بل لننتقل من حالة الموت الذي فرضته زمرة (أوسلو) وأصدقاؤهم الصهاينة، إلى الحياة الأكثر جمالاً وبهجة، لنهب الأمة مزيدًا من الحياة، وتقدمنا للشهادة إيماناً عميقاً منا لا جزعاً من الحياة، أو الفقر أو اليأس! كما يحلو لبعض اليائسين القانطين أن يرددوا.



أما نحن فنتقدم لنرسم ملامح المرحلة القادمة، من أجل آهات المستضعفين ودمائهم على جنبات الطريق، وقبل كل هذا نتقدم ابتغاء لمرضاة الله عز وجل وحباً في لقائه، بل واستعجالاً للقائه، ولقاء رسولنا ونبينا وحبيبنا محمد ﷺ مع النبيين والصديقين والشهداء وحسُن أولئك رفيقاً، وهكذا سنفاجئكم دوماً، سيفاجئكم استشهاديونا من أبناء القسم من أبناء (سرايا القدس) و(كتائب القسام)، وسيباغتونكم دوماً، وسنثبت لكم وللعالم دوماً أننا قادرون على أن نبقي قضيتنا المقدسة شعلة مضيئة في سماء العالم.

يا أهلي ويا أحبابي يا عائلتي المجاهدة الصابرة المرابطة:

أعلم وأعرف كما تعلمون وتعرفون وستلاقون.. أن الفراق صعب، فأنا إن شاء الله سأكون ثاني عريس يزف منكم إلى الحور العين، أنا ابنكم (محمود) وأخي (أنور)، ومن قبل (معين)، فلا تحزنوا ولا تبكوا بل افرحوا، ووزعوا الشربات والحلوى.


والدة الشهيد محمود رجب البرعي

أمي الحبيبة العزيزة الغالية:

إن أردتُ أن أكتب لك وعنك، فلا يستطيع القلم التعبير، وسأظلمك، ولكني أعلم، كما ربيتني أن نكون صابرين في المحنة، وعند الشدائد، ولذلك أطلب منك، فأنت الكريمة وأنا البخيل الذي لم يراع شعورك كأم، فأنا يا حبيبتي ما كان قلبي قاسياً، زغردي يا (أمي) زغردي، واحمدي الله على أن جعل أبناءك من الشهداء إن شاء الله، وادعي لنا في كل وقت، وفي كل حين، بأن يجعلنا الله في جنات النعيم وأن يقبلنا من الشهداء، وأن يجمعنا وإياكم مع نبينا وحبيبنا محمد، ادعي لنا في كل صلاة، وخصوصاً وأنت ساجدة وخصوصاً في صلاة الفجر، فسامحيني.. سامحيني، فنحن المقصرون في حقك دائماً.

أبي الحبيب والعزيز:

إن أردتُ أن أقول عنك ولك، فلا يستطيع اللسان النطق، ولكن أعلم أنك كافحت وعملت المستحيل، حتى تجعل منا الرجال. الرجال الذين لا يهابون عدوهم، ويدافعون عن مقدساتهم، ولا ينتظرون الجزاء إلا من الله عز وجل.

أبتاه.. كما علمتنا أنت و (أمي) وكل المجاهدين الأطهار والشهداء فتحي الشقاقي، محمود الخواجا، يحيى عياش، عماد عقل، ومن قبل عز الدين القسام، وحسن البنا وسيد قطب، رضوان الله عليهم أجمعين، أنتم جميعاً مَن جعلنا منذ الصغر نعشق الجهاد والاستشهاد، ومنذ ثورة السكاكين ومنذ الانتفاضة الأولى ١٩٨٧/١٢/٩م. فلا أعلم يا أبتاه كم هو القدر جميل، بأن جعل تاريخ ولادتي في ١٢/٩ حينما كنت أحتفل بذلك اليوم بالجهاد والمقاومة للعدو، كنت أشعر بالعزة والكرامة، فيما كان أطفال العالم يحتفلون بإطفاء الشموع كنت أنا أشعل الإطارات وأقارع العدو، كم كانت تلك الأيام سعيدة!



ولكن جاءت النكبة التي حرمتني من تلك الأيام، وهي نكبة «أوسلو» وزجوا بنا في السجون محاولةً منهم سرقة الحلم.. حلم الانتصار الذي أصبح حقيقة باذن الله تعالى. حيث انتصر الكف على المخرز في جنوب لبنان، وقامت انتفاضة الأقصى وحققت فكرة الشهيد المجاهد فتحي الشقاقي رحمة الله عليه أن فلسطين القضية المركزية في العالم بأسره.

أبتاه.. سيقولون لو أنه كذا أو كذا، لو تزوج.. لو أنجب.. ولو.. ولو.. ولكن بعد كل هذا؟ كل منا ذاهب ويبقى وجه الله، فسامحني.

- **إخوتي الأعزاء:**

وصيتي إليكم (أبي) و (أمي)، فهما أمانة في أعناقكم، وسامحوني.. سامحوني.. وأرضعوا أولادكم الجهاد والاستشهاد، لا الوهن وحب الدنيا وكراهية الموت. إخواني الغوالي وصيتي إليكم، قبل كل شيء أزواجكم، ثم (أمي) و(أبي)، وسامحوني إن قصرت في حقكم.. سامحوني.

- **أقاربي جميعاً:**

وصيتي إليكم أن أصلحوا ذات البين قدر المستطاع، أستحلفكم بالله أن يأخذ كل واحد منكم اللوم على نفسه، ولا تجعلوا الشيطان ينفخ في أنوفكم ويفرح لفرقتكم. وأقول لكم جميعاً: من يعترض على استشهادي، هل أنت سعيد وأنت عندك كل شيء من أموال وأولاد وزينة؟!

- وأخيراً:

النفس تبكي على الدنيا وقد علمتْ •• أن السلامة فيها ترك ما فيها
لا دار للمرء بعد الموت يسكنها •• إلا التي كان قبل الموت بانيها
فإن بناها بخير طاب مسكنها •• وإن بناها بشر خاب بانيها
أين الملوك التي كانت مسلطنة •• حتى سقاها بكأس الموت ساقيها

أموالنا لذوي الميراث نجمعها •• ودارنا لخراب الدهر نبنيها

كم من مدائن في الآفاق قد بُنيت •• أمست خراباً وأفنى الموت أهليها

لا تركنن إلى الدنيا وما فيها •• فالموت لا شك يفنينا ويفنيها

واعمل لدار غد رضوان خازنها •• والجار أحمد والرحمن ناشيها

قصورها ذهب والمسك طينتها •• والزعفران حشيش نابت فيها



ويقول تعالى للمجاهدين: ﴿فَلْيُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْآخِرَةِ وَمَن يُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ صدق الله العظيم [النساء: ٧٤]

وخير الكلام كلام الله إذ يقول لكم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ* وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ * وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ صدق الله العظيم [البقرة: ١٥٣-١١٥٦].

سامحوني.. سامحوني. والسلام عليكم ورحمة الله و بركاته.

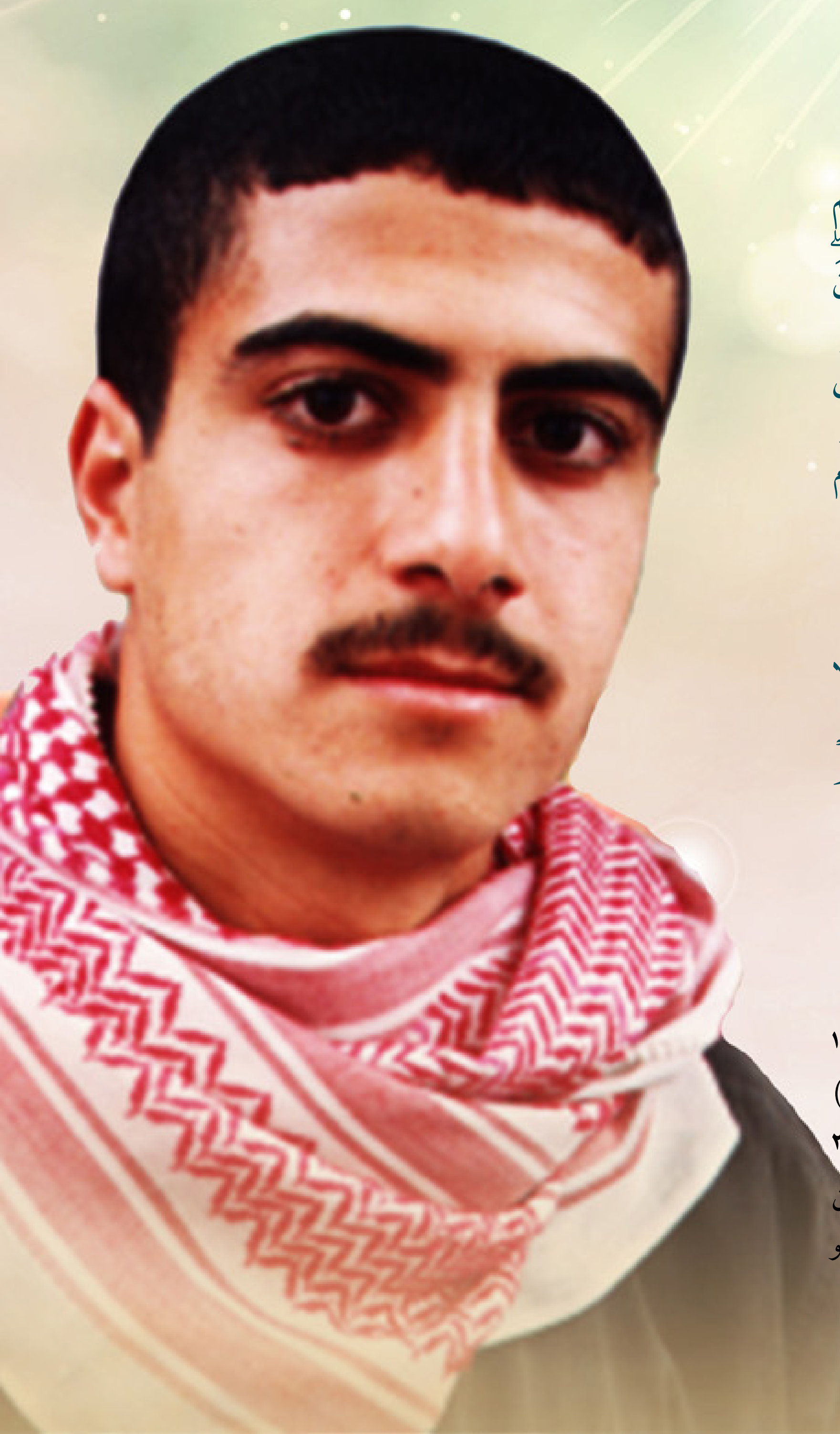
أخوكم الشهيد باذن الله محمود رجب البرعي

سأجعل من دمي بركاناً يحرق الكيان الصهيوني



الشهيد حازم زكريا الوادية*

تقبّله الله*



بسم الله الرحمن الرحيم..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١].

ويقول عز وجل: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافٗا وَثِقَالٗا وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [التوبة: ٤١].

---

* استُشهد حازم زكريا الوادية في ٦-٥-٢٠٠٢م، عن عمر يناهز ١٩ عاماً، وذلك أثناء تنفيذه هجوماً مسلحاً على موقع (كيسوفيم) الصهيوني العسكري، رفقة الشهيد محروس مصباح البحطيطي (٢٠ عاماً). مصدر الوصية: كتاب (وصايا مسافرة لكوكبة مضيئة من شهداء حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين)، إعداد: طارق أبو علي، ط: دار الشاطئ/غزة، ط١، ٢٠١٢م، (ص٣٦٢-٣٦٤).

وصدق رسول الله ﷺ حيث قال: «لَغدوةٌ في سبيل الله أو رَوحةٌ، خير من الدنيا وما فيها»[١].

ويقول ﷺ: «لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللهِ سِتُّ خِصَالٍ: يُغْفَرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دَفْعَةٍ، وَيَرَى مَقْعَدَه مِنَ الْجَنَّةِ، وَيُجَارُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَيَأْمَنُ مِن الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ، وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجَ الْوَقَارِ، الْيَاقُوتَةُ مِنْهَا خَيْرٌ مِن الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَيُزَوْجُ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنَ الحور العين، وَيُشَفَّعُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أقاربه»[٢].

أسأل الله عز وجل أن يتقبلنا وإياكم شهداء.



أما بعد: الحمد لله رب العالمين، والصلاة على رسول الله ومَن والاه إلى يوم الدين، هذه كلماتي إلى كل الأحبّة، إلى كل مَن حمل الإسلام همّاً حقيقياً وصادقاً في قلبه وعقله، إلى كل المجاهدين الصادقين:

السلام عليكم.. السلام على فلسطين.. السلام على الشهداء.. السلام على مَن سار على دربي.. درب الاستشهاديين المجاهدين..

أنا الشهيد الحي إن شاء الله: حازم زكريا خلف الوادية. ابن الإسلام العظيم، ومنظم في (سرايا القدس) الجناح العسكري لـ(حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين) أقدّم نفسي رخيصةً في سبيل الله ابتغاء رضاه ورحمته وطمعاً في جناته وخوفاً من عذابه..

---

١ صحيح مسلم.

٢ جامع الترمذي.

أقدّم نفسي لأجعل كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا هي السفلى.. أقدّم نفسي لأخفف عنكم ألمكم وعذابكم؛ لأننا نحن الشهداء الأحياء بإذن الله دمنا من دمكم وألمنا من ألمكم.


الشهيد محمود طوالبة

أقدّم هذه العملية لأنتقم بإذن الله للأرامل والثكالى واليتامى والمساجين والمعذبين، انتقاماً لكل دمعة سالتْ من عيون أمهات وأطفال فلسطين، انتقاماً لزهرات فلسطين (إيمان وضياء...) وغيرهما اللاتي أدمَين قلبي.. انتقاماً للشهيد القائد (محمود طوالبة)، انتقاماً لشهداء مخيم جنين وبلاطة ونابلس، ولكل شهداء فلسطين.

سأجعل فيها بإذن الله من جسدي قنابل تفجر المحتل، ومن دمي بركاناً يحرق الكيان الغاصب، وأشفي بها بإذن الله صدوركم، يقول الله تعالى: ﴿قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ وَيُخۡزِهِمۡ وَيَنصُرۡكُمۡ عَلَيۡهِمۡ وَيَشۡفِ صُدُورَ قَوۡمٖ مُّؤۡمِنِينَ﴾ [التوبة: ١٤]، اللهم خُذ من دمي حتى ترضى، اللهم اجعل جسدي يتفتت في سبيلك، واجعل كل جزء منه يأخذ ذنباً من ذنوبي.

إلى أمي الغالية

إلى أعز من رأتْ عيناي، إلى من علمتْني حب رسول الله ﷺ وحب الجهاد والاستشهاد في سبيل الله، والله يا (أمي) إن العين لتدمع والقلب ليحزن على فراقك والبعد عنك، ولكنك كنت تقولين: «إن لقاء الله عز وجل خير من الدنيا وما فيها».

إن تَقَبَّلَني الله شهيدًا -وأسأل الله تعالى أن يتقبلني عنده شهيداً- أعدك أن تكوني أنت وأبي أول من أشفع لهما، ويجب أن تكونا فرحين بذلك؛ لأنه أصبح لديكما إن شاء الله شفاعتان، شفاعتي وشفاعة سيدنا محمد ﷺ، وأرجو منك ألا تبكي عند سماع نبأ استشهادي، وإن وُفقتُ في عمليتي فاحمدي الله كل الحمد، وإن لم أوفق فاعلمي أنه لا يُصيبنا إلا ما كتب الله لنا.



واعلمي أني صعدت شهيداً بإذن الله، واعلمي أن كلا الأمرين خير إن شاء الله؛ لأن الله عز وجل رؤوف بعباده ولا يعطيهم إلا ما هو خير وصلاح وفلاح في الدنيا والآخرة إن شاء الله.

وأقول لكِ: عندما يأتيكِ الناس استقبليهم مهنئين وليس معزين، وأشعريهم بأن هذا هو يوم عُرسي الموعود، واذكري قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩]. وقوله عز وجل: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقۡتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتُۢۚ بَلۡ أَحۡيَآءٞ وَلَٰكِن لَّا تَشۡعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٥٤].

فاعلمي أنني إن شاء الله حي في جنات الخلد، واعلمي أني بإذن الله سأكون بجوار الله عز وجل، وبجوار حبيبه المصطفى ﷺ، وبجوار أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، والصحابة أجمعين رضوان الله عليهم، وبجوار الأستاذ الشهيد فتحي الشقاقي ومحمود الخواجا ومحمود طوالبة ويحيى عياش وعماد عقل وعز الدين المصري ومحمد نصر، وجميع شهداء فلسطين.

وأسأل الله أن يتقبلني وإياهم شهداء، وأرجو منك أن تسامحيني على كل خطأ فعلته معكِ، وأرجو منكِ أن تدعي الله عز وجل أن يتقبلني عنده شهيداً.

•• إلى أستاذي وقائدي وقدوتي في حياتي وعلمي وعملي ودربي والدي العزيز

لكَ مني كل التحية والاحترام والتقدير، والله الذي لا إله إلا هو لو بقيت أكتب طوال الليل والنهار عنك وعن أمي لن أستطيع أن أعطيكما حقكما، وأن أعبر عن حبي لكما، يا من كنت تدفعنا أنا وإخوتي إلى الجهاد والاستشهاد، وكنت دائماً تعتبرنا مشاريع شهادة، وها أنا ألبّي لك ذلك.



وأرجو منك في عُرسي أن تستقبل المهنئين وأنت رافع رأسك لأنه أصبح لك شهيد بإذن الله بل عريس إن شاء الله، وأسأل الله أن يُلهمك أنت وأمي الصبر والسلوان، وأرجو منك أن تسامحني على ما أغضبك لبعض اللحظات مني.

•• إخوتي الأعزاء

أستحلفكم بالله أن تبقوا دائماً في طاعة الله، وأن تحافظوا على أبويكم، وأن تتقوا الله فيهم وأن لا تجعلوا فراغاً من بعدي، وأشعروهم أنني معهم ومعكم أينما كنتم، وأرجو منكم أن تسامحوني وخصوصا (محمد) و(آدم).


الشهيد فتحي الشقاقي

•• إلى من أحببت أن أكتب له كل التحية

أكتب له بدمي النازف على تراب فلسطين، أكتب له بأشلائي المبعثرة في ربوع الوطن، إلى قائدنا وأستاذنا ومعلمنا الشهيد الدكتور فتحي الشقاقي، الذي أشعل نار الثورة في فلسطين، وأسأل الله أن تكون دماؤنا ودماء شهداء فلسطين في حسناته؛ لأن رسول الله ﷺ يقول: «الدَّالّ عَلَى الخَيْرِ كَفَاعِلِهِ».

فهو الذي رسم لنا طريق الجهاد والاستشهاد على فلسطين، بعد أن تخلى عنه يهود العرب من الحكام الخونة العملاء، أسأل الله تعالى أن يتقبله شهيدًا عنده.

•• إلى أصدقائي ورفاق دربي

بدايةً.. لكم كل التحية والتقدير والعرفان دون استثناء، وليعلم كل من عرفني أنني وأنا أقرأ وصيتي أتذكركم جميعًا، وأرجو منكم أن تحافظوا على دربي، وأن تتقوا الله في أنفسكم، وأن تحسنوا التعامل فيما بينكم، وأن تكونوا متحابين في الله، وأن لا تغضبوا إلا الله وأن لا تتخلوا عن درب الجهاد والاستشهاد، وأن تسعوا جاهدين للحاق بي في الجنة إن شاء الله؛ لأن هذا الدرب هو الدرب الوحيد الذي به عز الإسلام وفلسطين والأمة لقول رسول الله ﷺ: «ما ترك قومٌ الجهاد إلا ذلوا»[٤]. وأرجو منكم أن تسامحوني.

•• وأوجه ندائي الحار إلى المخلصين في السلطة وحركة (فتح) خصوصًا

---

٤ أخرجه الطبراني.

أن يحافظوا على دماء الشهداء التي سالت على أرض فلسطين، وألا تجعلوها تجارة في أيدي العملاء والخونة؛ ممن نصّبوا أنفسهم قادة ومسئولين على شعبنا المظلوم، وأريد أن أسأل هؤلاء القادة الذين يعتقلون المجاهدين ويطاردونهم ويقتلونهم، الذين يضعون أيديهم في أيدي إخوان القردة الخنازير الذين هم قتلة الأنبياء، أريد أن أسألهم: ماذا سوف يقولون لله عز وجل عندما يسألهم: ماذا فعلوا للإسلام وفلسطين؟ ماذا سيكون ردهم؟

ولكني أحذرهم بأن دماء مجاهدينا التي ما زالت تسيل على أيديهم ستكون لعنة عليهم، ونقسم بالله العظيم ألا نرحم خائناً أو عميلاً، لأنهم هم أعظم فتنة وعداء لنا من اليهود.

إلى يهود العرب من الحكام والمسئولين



الخونة العملاء المنهزمين.. إلى سماسرة الدماء، إلى تجار الأوطان إلى من نصّبوا أنفسهم جلادين على شعوبهم، أقولها لهم كلمة:

مساعدة ومناصرة منكم فلا، وأما من الله فحسبنا الله ونعم الوكيل.

وأخيراً وليس بآخر

وصيتي لكم في عُرسي أن تُقيموا العُرس في المكان الذي يريده والدي.

●● وأقول كلمة لأبناء سرايا القدس

لن أسامح، لن أسامح، لن أسامح كل من يطلق الرصاص في الهواء منكم؛ لأن هذا الرصاص هدفه ليس الهواء بل صدور اليهود والخونة والعملاء، وكذلك لكل من يصنع القهوة في عرسي، بل أريد أن يوزع العصير والتمر والحلوى ما استطعتم، وأن تكرموا ضيوفي لأنني أريده عرسًا حقيقياً وليس مأتماً، وأن يكون قبري حسب قواعد الشريعة الإسلامية.

●● وأقول كلمة إلى أبناء التنظيمات الإسلامية..

أن تبتعدوا عن الحزبية اللعينة، التي ما أن تدب في قوم حتى تقضي عليهم؛ لأن الحزبية هي فتنة المسلمين في فلسطين وخصوصًا بين حركتي (حماس) و(الجهاد الإسلامي)، وأسألهم لماذا الحزبية والتعصب ونحن أبناء دين واحد، ووطن واحد، وحي واحد، وشارع واحد؛ بل وبيت واحد؟ وأن يتقوا الله في أنفسهم، وأن لا يجعلوا الشيطان يسيطر عليهم.

وفي الختام.. لا أقول وداعًا، ولكن إلى اللقاء، في الجنة الملتقى إن شاء الله.

اللهم خذ من دمي حتى ترضى، اللهم فتت جسدي في سبيلك، واجعل كل جزء منه يأخذ ذنبًا من ذنوبي، اللهم ألحقني بالمرسلين والصديقين والشهداء، وحسُن أولئك رفيقاً، اللهم ألهم أهلي الصبر والسلوان، واجمعني معهم في الجنة. ولا إله إلا الله محمد رسول الله، عليها نحيا وعليها نموت وعليها نلقى الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. حسبنا الله ونعم الوكيل، حسبنا الله ونعم الوكيل، حسبنا الله ونعم الوكيل.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أخوكم الشهيد بإذن الله حازم زكريا الوادية

نجهّز للصهاينة جيشاً من الاستشهاديين



الشهيد محمود أحمد أبو عمرة

تقبله الله*



بسم الله الرحمن الرحيم..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١].

الحمد لله الواحد القهار، العزيز الغفار، مقدر الأقدار، ومصرف الأمور، مكور الليل على النهار، تبصرة لأولي القلوب والأبصار، الذي أيقظ من خلقه من اصطفاه فأدخله في جملة الأخيار، ووفق من اجتباه من عباده فجعله من المقربين الأبرار،

* استُشهد الشهيد محمود أحمد عبد المعطي أبو عمرة عام ٢٠٠٣م، عن عمر يناهز ٢٢ عاماً، أثناء قيامه بهجوم على موقع كيسوفيم الصهيوني. المصدر: كتاب (وصايا مسافرة لكوكبة مضيئة من شهداء حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين)، إعداد: طارق أبو علي، ط: دار الشاطئ/غزة، ط١، ٢٠٢١م، (ص٤٧٩-٤٨١).

وبصّر مَن أحبه فزهّدهم في هذه الدار، فاجتهدوا في مرضاته والتأهب لدار القرار، واجتناب ما يسخطه والحذر من عذاب النار، وأخذوا أنفسهم بالجد في طاعته وملازمة ذكره بالعشي والإبكار، وعند تغاير الأحوال وآناء الليل والنهار، فاستنارت قلوبهم بلوامع الأنوار.



أحمده أبلغ الحمد على جميع نعمه، وأسأله المزيد من فضله وكرمه، وأشهد أن لا إله إلا الله العظيم الواحد الصمد العزيز الحكيم، وأشهد أن قائد المجاهدين وأمير الغر المحجلين، أفضل المخلوقين وأكرم السابقين واللاحقين، محمد بن عبد الله، صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر النبيين.

والسلام على قوافل التابعين وتابعيهم إلى يوم الدين، الذين حملوا على عاتقهم مسؤولية نشر هذا الدين، والذين بنوا لنا منارة التوحيد والإيمان، ونهج السنة والجماعة لنهتدي به عبر ظلمات السنين، وما تركه لنا السلف الصالح من ثمرة جهود ودماء لنستطيع مواجهة مؤثرات وشباك الخليط اليهودي الصليبي الذين يريدون من ورائها إزالة وإذلال الإسلام الذي طالما فضح يهودهم وأبطل مؤامرات صليبهم. فو الله لو بذلوا كل ما يملكون لإزالة هذا الدين ما استطاعوا ﴿وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثۡبِتُوكَ أَوۡ يَقۡتُلُوكَ أَوۡ يُخۡرِجُوكَۚ وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠]

فوالله يا إخواني، أما أعدائنا فالله معيننا عليهم، لأنهم معروفون بالرغم من تغير أزيائهم ومصطلحاتهم والأسلوب الذي دخلوا به علينا، أما أعداؤنا المتخفون وهم الأشد خطراً ألا وهم المنافقون والعملاء ممن



يندسون بيننا ويقال عنهم أبناء جلدتنا وإذا بحثنا عن أصولهم تجدهم هجيناً يهودياً صليبياً حقيراً، ولكن في الوقت الذي كثرت به سهام الغدر وفخاخ الخديعة وسن أنياب المكر للنيل من الإسلام والمؤمنين، لأنهم يعرفون حق المعرفة أن نهايتهم على أيدي أسود الإسلام الغر المحجلين رواد المساجد حملة كتاب الله.

رغماً عن تلك الظروف نقول لهم: يا أحفاد القردة والخنازير آه لو تعرفون ماذا نجهز لكم، إنه جيش من الاستشهاديين، رهبان الليل فرسان النهار، رجال صدقوا الله فصدقهم، باعوا أنفسهم رخيصة فاشتراها الله منهم لا يبغون إلا رضاء الله تعالى ولقاء الرسول على حوضه الشريف. إننا في هذا الوقت نتفاجأ بأذناب الكلاب وأسفي على الكلاب لهذه التهمة التي ألصقتها بها، أنصاف الرجال في وقت تلقى أمتنا الإسلامية طعنات الثور الأمريكي من كل الجهات، جاءوا ليقروا لنا خارطة الطريق ويدفعونا إلى جهنم والعياذ بالله.. ألم يكفِهم محاربة عباد الله الأتقياء، فجاءوا بحيلة جديدة لمحاربة دين الله في الأرض بإخراج قانون العقوبات، لعنهم الله وكل من شارك في هذا القانون حتى ولو بورقة، إن هذا القانون محاربة علنية لدين الله ولكن الله بهم محيط، وإن شاء الله سيجعل مكرهم وبالاً عليهم ولعنات بإذن الله.

فيا أمة محمد، يا عباد الله في الأرض، أيها الغيورون على دين الحق من أن يُغَيَّر بأحقاد وتفاهات ما أنزل الله بها من سلطان، هبوا وتصدوا لهذا الطاغوت فلتمنعوه أن ينفذ ولو على أجسادكم، لا تخافوا في الله لومة لائم، ولا تخشوا أحدًا فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين.

سامحوني لضيق وقتي، فأنا أكتب هذه الوصية قبل وقت قصير جداً من وصولي لمكان الكلاب الضالة، فكل التحية لكل من جهزني وساعدني، وجزاهم الله خيراً ووفقهم لما يحبه ويرضاه.

إلى إخواني المجاهدين في كل التنظيمات

- وأخص بالذكر التنظيمات الإسلامية، ضعوا قناعة داخل عقولكم أنكم تعملون لله فقط، وأما التنظيمات فما هي إلا وسائل وسبب للوصول إلى مرضاة الله، فالله أحق أن نرضيه.

- وأخص بعض المجاهدين المتساهلين والمتحركين بصورة غير حريصة.. اعلم أخي المجاهد أن العميل ليس شطارة ودهاء منه ليستطيع إيقاعك في فخه، بل هو عدم مبالاة فأنت الذي تفتح الثغرة ليدخل منها، ويكشف عملك لتسرعك، وإنك لسوف تحاسب على أي تقصير قمت به في عملك. وأوصيكم إذا وقع العدو تحت براثنكم لا ترحموهم، فلم يرحموا الصغير ولا الكبير، فجروهم مزقوهم دمروهم، فو الله إن تتبعوا كتاب الله وسنة رسوله ونهج الصحابة والسلف الصالح لأنتم المنصورون بإذن الله، ولا تخافوا ولا تحزنوا فأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين. تذكروا وأنتم تضربونهم قول رسول الله، وقوة عمر، وشجاعة علي، وحكمة أبي بكر، وبلاء عثمان رضي الله عنهم وأرضاهم أجمعين، ووفقكم الله فيما يرضاه ويحبه.



ويا شباب الإسلام

يا رواد المساجد يا حفظة كتاب الله يا حاملي العلم الشرعي الذي بواسطته سنهزم عدونا وعدو الله..

لكم كل التحية، وأوصيكم بالتمسك بدين الله وسنة رسوله وبالمواظبة على الصلوات في المساجد وبالأخص صلاة الفجر والعصر، وتحابوا فيما بينكم ولا تنازعوا فتذهب ريحكم فتصبحوا نادمين. اجعلوا لا إله إلا الله، لا معبود سواه ومحمد نبي الهدى الراية التي تجمعنا مهما اختلف لونها، فإن الله عندما تذهب عنده لن يسألك ما هو تنظيمك، ولكن سيقول ماذا فعلت لدين الله.. فحذار والتقصير.

أعلم أنني قصرت كثيراً في حق العلم الشرعي وقصرت في عبادة ربي فوالله لم أعبده حق عبادته، وأقول لكم إنني أحبكم في الله. ولا أقول لكم وداعاً ولكن أقول إلى الملتقى في فردوس الرحمن المظلل بعرشه إن شاء الله.



وإلى فتيات الحاضر أمهات المستقبل

عفافكن أفضل ما فيكن، فأنت يا أختاه رحمك الله كالحلوى المغلفة إذا فُتحت اجتمع عليها الذباب والأوساخ ليوسخها، وسترُمى في أقرب سلة مهملات، أما إذا بقيت مغلقة وريحها بداخلها، هذا هو الطريق لمرضاة الرب، فدعكن من تلك الأزياء الصليبية التي لا ترضي الله ولا رسوله فاسألي نفسك لماذا ألبسها ولمن؟ ولصالح من؟ الرد: لصالح الشيطان.

تزودي بحيائك وعفافك. فوالله لو رضي الله عليك أحب إليك من أن يرضى الناس عليك، فرعاكِ الله وحفظك من تجارنا وبائعينا في كل مكان.

وبغض النظر عن اختلاف التجارة، فاتقوا الله في تجارتكم وضعوا الله بين أعينكم؛ فما فائدة الربح دون أن يرضى الله عنه ويبارك فيه؟ فالربح القليل المصطحب رضا الله وبركته أفضل ألف مرة من الربح الكثير غير المبارك فيه، وهداكم الله إلى سواء السبيل.



شبابنا في السلطة الفلسطينية

يا أجهزتنا الأمنية، وأنا أناشد الشباب الذي ما زال ينبض بداخله صوت الحق والغيرة على دين الله، فكر فيها وأنت سائر وما الذي سوف تجنيه من وراء ذلك سوى عدم مخافة الله في أعمالك أو اعتقال أطهر الناس على الأرض؟ أعلم أن فيكم من هو أحسن مني وأنتم منا وبيننا وتعيشون معنا، ولكن لا تجعلوا أصحاب الكراسي النجسة يحركونكم بأصابع، وأنتم منقادون ولا تفكرون إلى أين المصير.

لم لا تسألون أنفسكم: لماذا نفعل هذا ولصالح من؟ توبوا إلى الله إن الله تواب رحيم، يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير ورحمكم الله وهداكم إلى سبيل الحق والرشاد.

إلى أهلي وأصدقائي وأحبائي

إلى أبي.. مَن زرع في عروقي معنى الرجولة والشجاعة، وإلى أمي.. التي زرعت في قلبي حب الدين، يا أمي وأبي أنتما بالنسبة لي أغلى من نور عيني، والله إني أعلم أني قصرت في حقكما ولم أوفكما أجوركما، فسامحاني..

سامحني يا أبي يا من ضحيت بشبابك في توفير الحياة الآمنة لنا، وسامحيني يا أمي من ضحيت بأغلى ما تملكين صحتك وحياتك السعيدة لتوفري لنا الأمن والحياة المريحة، سامحاني واعلما أنني أريد أن أجعلكما بإذن الله ورضاه في مكان أحسن من المكان الذي أنتما فيه. وادعوا الله أن يجمعنا في الفردوس الأعلى.

- **وإلى أخواتي:** يا من لم أستطع وداعكن ولا تقبيلكن، يا من طالما عشنا في أحسن أوقات، فاعلموا أننا إن شاء الله مجموعون في الجنة بإذن الله.

- **وإلى أخي السجين:** يا من لم أستطع حتى أن أسمع صوتك، رحمك الله، وأخرجك من السجن بسلام، فيا سجناء أنتم أحرار الغد وحملة لواء الأمة الإسلامية فلا تيأسوا.

- **إليكم عائلتي:** اثبتوا ثبتكم الله، ولا تحزنوا بل افرحوا، كما كنت أقول لكم إن الروح تذهب لخالقها أما الجسد فهو يدفن في الدنيا، وإن الشهيد يشفع لسبعين من أهله، وإن شاء الله يحتسبني الله شهيداً، فإذا ثبتم واحتسبتم كانت لكم مرضاة الله وجنانه، فهذه الدنيا ليست إلا ممراً للآخرة وهذه الدار ليست دارنا، ودارنا في الجنة بإذن الله، وافرحوا لأنني والله سعيد بملاقاة ربي، وإن شاء يقبلني شهيداً. ولا أقول لكم وداعاً، ولكن أقول لكم إلى اللقاء.

- **وإلى أصدقائي..** يا أحبائي في الله، والذي لا يجمعنا سوى مرضاة الله، إني أحبكم في الله، وأوصيكم بتقوى الله في كل عمل، ولا تحزنوا وكونوا فرحين، وارجعوا إلى الله فهو الناصر القوي، وإن شاء الله اجتماعنا في الجنة وعلى حوض الرسول بإذن الله.

- **وأقول لأساتذتي في الجامعة:**

سامحوني لتقصيري في العلم الشرعي، جزاكم الله عنا خيرا.

●● **وأقول لكل من يعرفني:** دعوكم من البدع التي ما أنزل الله بها من سلطان، فلا تطلقوا الرصاص في الجو. الأحرى أن يطلق في صدور الخنازير، وألا يُهتف حولي، فالسنة تقول الصمت والدعاء للميت، فلن يفيدني هتافكم، ووفّروا حناجركم وأصواتكم لما هو آت. وأن يغطى وجهي ولا تمسحوا أي قطرة دم من وجهي، عسى أن ينظر إليّ ربي بالرحمة فيغفر لي ويرحمني ويتقبلني شهيداً، وافرحوا لي ولا تحزنوا، وليكن جثماني عبرة لأنه لا يوجد إنسان على وجه الأرض مخلد فيها، فهذه نهايتنا جميعاً التراب والدود، وأن أخرج من مسجد الهدى في بيتنا، وأن يصلي عليّ الشيخ (نافذ عزام) وفقه الله، وفي قبري لا تظهروه فهو محفور وجاهز. وادعوا لي وأخرجوا لي صدقة جارية وجزاكم الله خيراً.


الشيخ نافذ عزام

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أخوكم الشهيد بإذن الله: محمود أحمد أبو عمرة

الصادعون بالحق

﴿وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ﴾

من تراث العلماء والدعاة الأسرى





شبهات حول الجهاد



د. سلمان العودة

فك الله أسره*

إن مجموع الأحاديث الواردة في الجهاد وغيرها، وأصل كلمة الجهاد، يدل على أن الجهاد باقٍ إلى قيام الساعة، وبذلك نستطيع أن نأخذ من هذه القضية الكثير من المعاني والدلالات، من أهمها: أن طبيعة الكفر واحدة.

فالكفر الذي واجهه موسى عليه السلام والذي كانت لهجته: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ أَوۡ أَن يُظۡهِرَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡفَسَادَ﴾ [غافر: ٢٦]، و﴿مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ [غافر: ٢٩]. و﴿لَئِنِ ٱتَّخَذۡتَ إِلَٰهًا غَيۡرِي لَأَجۡعَلَنَّكَ مِنَ ٱلۡمَسۡجُونِينَ﴾ [الشعراء: ٢٩].

---

* سلمان العودة، كتيب (حي على الجهاد)، نُشر بالموقع الإلكتروني: (الإسلام اليوم)، ص١٧ وما بعدها. وأصله محاضرة ألقيت عام ١٩٩٠م تقريباً.

هذا الكفر هو الذي واجهه إبراهيم عليه السلام، عندما كان قومه يقولون: ﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٩٧]، وهو الكفر الذي واجهه عيسى عليه السلام، والذي واجهه محمد ﷺ.

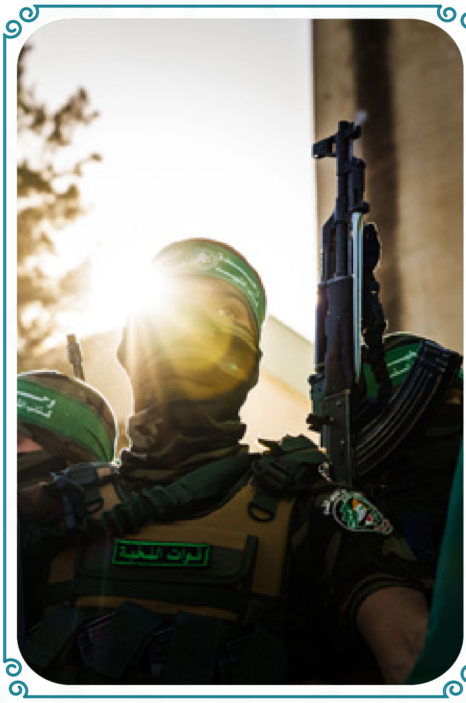
يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٤]، هذا حكم إلهي على الكافرين، ويقول عز وجل: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ [البقرة: ٢١٧]، ويقول: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾ [النساء: ٨٩]، ويقول: ﴿وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ [الممتحنة: ٢]، ويقول: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ [القلم: ٩]،



ولو ذهبنا نسرد الآيات القرآنية التي تبين طبيعة الكفر لطال بنا المقام. وبعضهم يعدُّ هذه القضية بدهية، وهي كذلك، لكن المؤسف أننا أصبحنا في عصر نحتاج فيه إلى التركيز على البدهيات حتى يفهمها الناس، ولا يقبلوا فيها أي تراجع.

شبهات في طرح قضية الجهاد

وقع في يدي عدد من الكتب التي كتبها مع الأسف بعض الفقهاء والمفكرين المعاصرين، فوجدت أنهم يطرحون قضية الجهاد طرحًا ميتًا متماوتًا مخذولاً مهزومًا، يقول لك: الأصل المسالمة مع الكفار، والأصل أننا ندعو وننشر الإسلام بالحكمة، والموعظة الحسنة، وبالسلم وبالدعوة السلمية، وما على شاكلة هذه التعبيرات؛ بل أصبح كثير لا أقول من عامة الناس؛ بل من دعاة الإسلام مع الأسف في هذا العصر يتصورون أننا في دعوتنا الناس جميعًا للإسلام ينبغي ألا نسلك إلا هذا الطريق، ولا نحتاج إلى رفع



راية الجهاد، ولا نحتاج إلى حمل السيوف للقتال، يتصور بعض المغفلين مثل هذا الأمر. والواقع أن من يقرأ القرآن الكريم قراءة واعية لا يحتاج إلى أي كلام ولا بيان ليظهر له بطلان ذلك.

- ومن الأخطاء أيضًا: ما يتصوره بعضهم من أنه يمكن أن يوجد في كل من بلدان العالم أحزاب تنادي بالإسلام، ثم تطرح برنامجها في الإصلاح الزراعي، أو في الإصلاح الإداري، أو في الإصلاح السياسي، أو في الإصلاح الاقتصادي، ثم تستقطب الناس شيئًا فشيئًا، ثم تطرح نفسها بالترخيص الرسمي لها، وتدخل البرلمانات والمجالس النيابية وغير ذلك، وتبدأ شيئًا فشيئًا تطرح الإسلام، حتى تفرض الإسلام من خلال المجالس النيابية، ومن خلال القنوات الرسمية كما يقولون، وبهذا نستطيع كما يتصورون أن نفرض الإسلام على أمريكا وبريطانيا وألمانيا وفرنسا وغيرها من بلاد العالم.

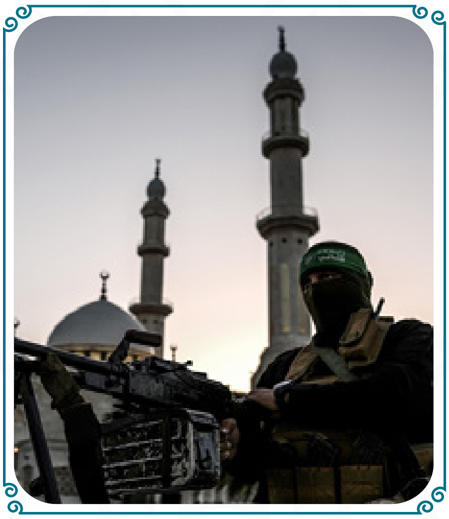
- ومن الأخطاء أيضًا: ما يقوله بعضهم من أن هؤلاء الكفار سذج، ليس عندهم عداء صريح للإسلام، وقد لاحظت هذا القول ولمسته على بعض الذين يعايشون الكفار في أوروبا وأمريكا. وهذا في الواقع سذاجة كبيرة.

فإننا لو أتينا إلى جمهور المسلمين دعك من علمائهم ودعاتهم، فإننا نرى كثيرًا منهم يجهلون وجوب عداوة الكفار والبراءة منهم، فلا يعرفون الولاء والبراء؛ بل قد تجد المسلم يعيش إلى جنب اليهودي والنصراني والمشرك والشيوعي سواء بسواء، وتحت سقف واحد، يأكلون طعامًا واحدًا، ويعملون في عمل

واحد، وبينهم من الألفة والمودة الشيء العظيم كأنهم إخوة، فحتى عوام المسلمين اليوم ضاعت منهم معاني الولاء والبراء، وفقدوا إحساس التميُّز بالدين، فلا عبرة إذن في أن يصبح عوام النصارى في أمريكا وأوروبا وغيرها لا يحملون عداوة صارخة واضحة للمسلمين، وهذا قد يوجد في بعض طبقات منهم، لكن العبرة بأمور:

- **أولاً:** أن هناك قيادات مستفيدة تُحَرِّك هؤلاء الناس، مثل القسس والرهبان الذين كانوا يحرِّضون أوروبا أيام الحروب الصليبية لغزو المسلمين، كذلك يوجد في كل زمان ومكان زعماء دينيون وسياسيون واجتماعيون إذا استدعت الحاجة، حرَّكوا عواطف الناس وألَّبوهم، وجمعوهم على العداء والكراهية والبغضاء المسلمين.

- **ثانيًا:** أن هؤلاء الدهماء والعوام من الناس وإن كان عداؤهم وبغضهم للإسلام مستخفيًا إلا أنه قابل للتحريك في أي وقت؛ لذلك قد يُنسب إلى المسلمين من لا يصلي ولا يصوم ولا حج البيت الحرام، وليس عنده خوف من الله عز وجل، لكنه عند وقوع حرب بين قبيلته من المسلمين الذين يعيش معهم وبين قبيلة أخرى من الكفار، تجده يخوض المعركة مع قومه من المسلمين، إما بالحمية، وإما بالعصبية لقومه، فقتاله من هذا الباب، وليس من باب الطاعة لله ورسوله.



ولذلك جاء رجل يسأل الرسول ﷺ عن الرجل يقاتل شجاعة، ويقاتل حمية، ويقاتل رياء، أي ذلك في سبيل الله؟ فقال رسول الله ﷺ: «مَن قاتَلَ لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله»[1].

---

١ أخرجه البخاري (١٢٣) ومسلم (١٩٠٤) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

فأحيانًا تحرك الإنسان الحمية لقومه والعصبية لدينه، وإن لم يكن متمسكًا بهذا الدين، فهكذا بالنسبة لأولئك النصارى واليهود، وإن كان بغضهم للإسلام مستترًا مستخفيًا، إلا أنه قابل للتحرك والإثارة في أي وقت من الأوقات، فمن الغفلة والسذاجة بمكان أن نتصور أن هؤلاء سيصبحون غنيمة باردة للمسلمين.



إن العداء للإسلام يبرز بوضوح في كل وقت وفي كل مناسبة، إذ ما الذي حرَّك (فرنسا) كلها من أجل ثلاث فتيات مغربيات أردن دخول المدرسة بحجاب أو بعض حجاب؟ فقد رفض مدير المدرسة دخولهن، وتطورت القضية إلى مدير التعليم، ثم إلى وزير المعارف، ثم إلى مجلس الوزراء، ثم إلى رئيس الدولة، وصارت قضية صحفية بدأت ولم تنتهِ، وفي النهاية لم تُمكَّن هؤلاء الفتيات من دخول المدرسة بالحجاب الشرعي، فإما أن يخلعن الحجاب ويكشفن عن شعورهن، وإما أن يُحرمن من دخول المدرسة، واضطرت هؤلاء الفتيات الثلاث إلى خلع الحجاب عن شعورهن عند دخولهن المدرسة.

فما الذي حرك فرنسا من أقصاها إلى أقصاها؟! تلك الدولة الصليبية التي كانوا يقولون عنها: إن فرنسا أمُّ الحرية، وفرنسا بلد العري فيه مباح، حتى في أجهزة إعلامهم، وفي أسواقهم، وفي كل مكان، هذا البلد الذي يبيح حرية التعري أصبح يغضب ويثور، وتحرك أجهزته الإعلامية والإدارية كلها من أجل ثلاث فتيات أردن دخول المدرسة بغطاء الرأس! لماذا كل هذا؟!



كذلك ما الذي جعل بريطانيا تتحرك وتثور من أجل قضية (سلمان رشدي)؟ شخص واحد، وليس قضية سياسية، ولا يمثل جهة سياسية، لكن لأنه تحدى مشاعر المسلمين، وأهانهم، وانتهك حرمات الأنبياء والمرسلين، وأساء إلى الصحابة وإلى أمهات المؤمنين، وجرح شعور كل مسلم؛ أثاروا هذه القضية على أوسع نطاق، وجعلوها سيفًا مسلطًا على رقاب المسلمين، وتحركت أجهزة كثيرة سياسية وصحفية، واستغلت هذا الحادث أبشع استغلال!

ثم ما الذي يجعل روسيا الآن تعامل الجمهوريات النصرانية معاملة مغايرة لتلك التي تعامل بها الجمهوريات الإسلامية؟ يأتي رئيس الدولة في الجمهوريات النصرانية ويقال له: نرحب بك رئيساً لدولة صديقة، ويجلس للمحاورة معهم، ثم تقف الدول الغربية كلها في صف هذه الجمهورية، وتهدد روسيا إذا هي استخدمت القوة ضدها، في حين أن حركة المسلمين تسحق بالقوة والدبابات، ولا أحد يتحرك، فالروس عاملوا النصارى معاملة غير معاملة المسلمين، والقوه الغربية كلها تحركت من أجل النصارى، ولم تتحرك من أجل المسلمين؛ بل هي تبارك هذه الخطوات.

إذن، فمن السذاجة بمكان أن نتصور أن الطبيعة التي حكاها الله عز وجل عن الكفار واليهود والنصارى والمشركين في القرآن الكريم، يمكن أن تتغير، وأنه يمكن في يوم من الأيام فرض الإسلام عليهم عن طريق واحد فقط هو السلم، والدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، والبرلمان والمجالس، ثم إذا بهم فجأة

قد تحوَّلوا إلى مسلمين! هذه سذاجة يطول منها العجب! ولست أعجب أن تنطلي على سذج ومغفلين، لكنني والله أعجب أن تنطلي على بعض المفكرين، أو من يقال لهم (فقهاء)، وينشرون مثل هذا في كتب ومجلات ودوريات ونشرات، ومثل هذا يؤلم المسلم جدًّا.

ونعود فنقرر أن طبيعة الكفر واحدة، فالذي واجهه الأنبياء هو الكفر الذي نواجهه الآن، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الفرقان: ٣١]، فإذا قام للإسلام دعوة حقيقية، ورُفعت راية الجهاد في سبيل الله، والدعوة الصادقة إلى الله عز وجل، فإن الله سبحانه وتعالى أخبر بأنه لابد وأن يكون لها أعداء من المجرمين، وهؤلاء الأعداء بطبيعة الحال لا أعتقد ولا يعتقد معي عاقل ولا مجنون أنهم سوف يقفون مكتوفي الأيدي؛ بل شأنهم كما ذكر الله عز وجل: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢]، فهم يكيدون ويمكرون ويتآمرون ويخططون، وعلى العكس فكثير من المسلمين لا يقدِّمون ولا يؤخِّرون شيئًا، ومع هذا فأعداؤهم يكيدون لهم كيدًا؛ خشية أن يستيقظوا من إغفاءتهم ونومهم.. فما بالنا لو استيقظ المسلمون فعلاً، واستردّوا بعض عافيتهم؟ إذن لوجدنا العداوة الصريحة المعلنة.



إن كل هذه العبارات التي أصبحوا يطنطنون بها الآن، ويرددونها في أجهزتهم وصحافتهم كقضية حقوق الإنسان، وحرية الإنسان، وكرامة الإنسان، وميثاق الأمم

المتحدة، وأمثال هذه العبارات الرنانة كلها حبر على ورق، والدليل على ذلك أنه لم يلتزم بهذه القضايا حتى الآن إلا المسلمون، فقضية ميثاق الأمم المتحدة الذي يمنع الجهاد ويحرِّمه، ويوقّع عليه المسلمون رغم أنه يعد الجهاد نوعًا من الاعتداء على حقوق الغير، وأن المنازعات بين الدول يجب أن تُحل بالطرق السلمية؛ لأن النزاع يهدِّد الأمن والسلام الدوليين كما يقولون، مع ذلك فالذين التزموا بالامتناع عن الجهاد والقتال بل وحتى الدفاع عن أنفسهم هم المسلمون فحسب، أما الدول الكافرة ومن يدور في فلكها، وأعداء الإسلام من اليهود وغيرهم، فإنهم يمارسون ما يريدون من قتل للأمم المسلمة، ونهب أراضيها، والاعتداء عليها، ويعلنون ذلك صراحة.



فما تفعله إسرائيل مثلاً أمر لا يحتاج إلى بيان، تذهب الطائرات الإسرائيلية في رحلة آمنة هادئة لتضرب العراق، ثم تذهب مرة أخرى لتضرب تونس، ومرة ثالثة لتضرب لبنان، ويمكنها أن تهدد أي بلد عربي بكل سهولة، ويعدونها مجرد رحلة للمتعة! وهذا لا يستنكرونه، ولا يستغربونه، ولا يرون فيه بأسًا؛ لأن الذين قاموا به ليسوا من المسلمين، ولا يعد هذا إخلالاً بمواثيق الأمم المتحدة في نظرهم ومقاييسهم.

وفرنسا لـمَّا تخوَّفت من انتصار الإسلام في الجزائر، هدد رئيس الدولة أنه في حال انتصار الإسلام في الجزائر فإن فرنسا يمكن أن تتدخل بصورة مباشرة، فأين مواثيق الأمم المتحدة، وحقوق الإنسان، والحدود الدولية، وعدم التدخل في شؤون الغير؟! أين هذا كله؟!

وفي السودان حيث يوجد حُكم يعلن بعض الجوانب الإسلامية، نجد الأعداء يخشون أن يكون لهذا الحكم جذور إسلامية، فيشنون حربًا عالمية معلنة على هذه الدولة، فأين حقوق الإنسان؟! وأين مواثيق الأمم المتحدة؟! وأين قضية عدم التدخل في شؤون الغير؟! كل ذلك ذهب أدراج الرياح ما دام ذلك متعلقًا بحقوق المسلمين.

إذن من السذاجة أن نتصور أن الإسلام ينتصر وينتشر عن طريق الدعوة السلمية فحسب، صحيح أنه لابد من الدعوة السلمية، فحتى في القتال، المسلم مطالب بأن يدعو الكفار إلى الإسلام قبل أن يقاتلهم، كما في حديث بريدة رضي الله عنه في صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال: «إذا لقيت عدوك من المشركين، فادعهم إلى ثلاث خصال، فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم»[٢]. وذكر الإسلامَ، ثم الجزيةَ، ثم القتالَ، فنحن لا نقاتل الناس لننهب أموالهم، وإنما لندعوهم حتى يكونوا مسلمين، فنعرض عليهم الإسلام، لكننا نعلم من دين الله وشرعه، كما نعلم من حقائق التاريخ، وتجارب الواقع، أن هذا الدين لا يمكن أن يستقر أمره إلا عن طريق الطائفة المنصورة التي تحمل راية الجهاد في سبيل الله سبحانه وتعالى[٣].

---

٢ أخرجه مسلم (١٧٣١).

٣ كما في صحيح مسلم (١٩٢٣) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة».



تحرير الأقصى من صُلب عقيدتنا



الشيخ سمير مصطفى

فك الله أسره*

يا معشر المسلمين.. أريد أن أنبّه على فوائد، فلم آتِ لأقص عليكم قصة، بل جئت كي نأخذ من التاريخ منارات وإشارات على الطريق، حتى نسير على الجادة، وكفانا سقوطاً في بنيات الطريق.

المسجد الأقصى عقيدة

- **أولًا:** كان النبي ﷺ يحدث الصحابة عن مقدار مضاعفة الصلاة فيه، وكانوا يعلمون أنه في قبضة الروم.

- **ثانياً:** كان النبي ﷺ يحدّث بالعقيدة التي ينبغي أن تنبث في كلام: اعلموا يقينا أن نهضتنا وشيكة وأن المبشرات قد أتت، وأننا على شفا أن نهجم على هؤلاء فيمنحنا الله عز وجل أكتافهم، لكن إن كنا

* من خطبة للشيخ سمير مصطفى، مقطع فيديو بعنوان: عقيدة المسجد الأقصى، موقع إلكتروني: يوتيوب.

من المؤمنين، قال الله تعالى: «ولا تهنوا» في غزوة أحد عندما هُزموا.. إياك أن تيأس ولا تضعف، «ولا تحزنوا وأنتم الأعلون»، لماذا؟ هُزمنا في أحد، قال: «إن كنتم مؤمنين»، إن كنت مؤمناً فلا يضرك أن تُهزم ولو على جميع الأصعدة، فإن الكَرّة لك ولا محالة. وَعاجِزُ الرَّأيِ مِضياعٌ لِفُرصَتِهِ.

ولله دَرّ القائل: «إن المسلم ينظر إلى قاتله وغالبه من علٍ».

يعني من أعلى.. لا يُهزم المسلم فإنه يعلم أن الكَرّة له لا محالة، وهبْ أنها كانت القاضية، فإنه عما قليلٍ جنات، ويُرسل الله عز وجل بعده مَن يفتح عليه.



تقولون إن السيف في كفي أقالته المعارك..

وبأن الليل هالك.

وبأني لم أعد أتقن شد القوس وتغريد النبال..

والفتوحات التي أدمنها العشاق في السبع الطوال

قد تقولون

وإفكا ما يقول: السيف ضرب من خيال

قد تقولون: محال..

أن يسير السيل دفاقا..

وأن تجري مع السيل التلال

قد تقولون..

ولكني أقول..



وأنا جد قؤول..

وأنا أنظر فاتحة العصر وأشواق الحقول

إن في الدرب الخيول

لا محال!

ولنا التكبيرة الأولى..

لنا الرايات والصوت البديل..

لا محال!

ولنا السيف الذي خبأه البرق

إلى اليوم الثقيل

لا محال!

فلا تهيئ كفني.. ما متُّ بعد!

لم يزل في أضلعي برق ورعد!

أنا .. تاريخي ألا تعرفه؟!

خالد ينبض في قلبي وسعد!



إن كنتم مؤمنين فلن نهون، إن كنتم على شاكلة هؤلاء الذين فتحوا، وودت لو ترجمت لكم عن هؤلاء لتعلموا كيف كانوا، وكيف زلل الله عز وجل لهم ملك الرومان، كيف زلل الله عز وجل لهم ملك الرومان، وأنا أذكر لك خاتمة واحدٍ منهم فقط، حتى تعلم يقينًا شخصية الذي يفتح الله على يديه.

قال أهل السير: دخل عبد الله بن عمرو بن العاص على أبيه مع ثلة من الناس، وهو في احتضاره في سياق الموت، فلما رآهم عمرو بن العاص بكى وأدار وجهه للحائط، وظل يبكي وهو يحتضر، فلما بشّروه وقالوا: «مات رسول الله ﷺ وهو عنك راضٍ.. فما يبكيك»؟

فنظر إليهم وقال: «لقد رأيتني على أطباق ثلاث، ما كان أحد أبغض إليّ من رسول الله ﷺ فإن مت على ذلك دخلت النار وهلكت، ثم آمنت بعد ذلك فلو مت على ذلك رجوت أن أنجو، ثم خلّطت فيما بين ذلك».

خلطت فيما بين ذلك؟ إيهٍ يا عمرو بن العاص! خلّطتَ بجهادٍ وعملٍ وإخلاصٍ، ونصرةِ دين وحبٍ لله ورسوله؟ لكنّه التواضع الجم!

يقول: «ثم خلطت فيما بين ذلك».. ثم وضع يده في موضع الغُل وقال: «اللهم أمرتنا فعصينا، ونهيتنا فما انتهينا، ولا تسعنا إلا رحمتك يا أرحم الراحمين، ولا تسعنا إلا رحمتك يا أرحم الراحمين، ولا تسعنا إلا رحمتك يا أرحم الراحمين».

ثم مات رضي الله عنه وقضى، هذا واحد لا أقول هو أكبرهم؛ بل لا أريد أن أسهب أكثر من هذا، هذه شخصية جدك الذي فتح الله عز وجل به، فليكن نشيدك: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ﴾ [غافر: ٥١].

وليكن حداؤك:

سيدرك ثأرَ الله أنصارُ دينه •• ولله أوس آخرون وخزرجُ

فإن رأيت أمتك الآن أيها المسلم لا تجد معها الحديد والنار الذي مع غيرها، فاعلم أن الشريعة عندنا أفضل من الحديد والنار وأنكى وأعظم، وبها ستُفتح الدول وتشق الأراضين ويحترم الناس جانبنا، فاعلم أن الشريعة أفضل من الحديد والنار، وما قاتلك هؤلاء بالحديد والنار إلا ساعة من نهار، ثم بعد ذلك قاتلوك بالغانية وبالشبهة وبالشهوة، وبالزانية والعاهرة.

فارم الصبيب بالصيب، اعمل لنفسك أملاً، اعمل لنفسك أملاً وقاموسًا للأمل، ولتعلُ همتك، فالبدار البدار، قبل أن يحلّ عليك البوار، واعلم أن الله عز وجل غفور رحيم، وتواب حكيم، إذا عدنا إليه الآن منحنا أكتافهم في ضحوة من نهار، فإذا وجدت الكفر قد اشرأبت عنقه، وصار له لسان طويل يتكلم به بحرية، وصارت دماء المسلمين فلن تراع، لأنك أنت الأعلى، وإذا رأيت المنافقين الآن يتحدثون ويتكلمون، ويفرغ لهم في الإذاعة والمجال الإعلامي المتعدد مجالاً فلن تراع، لأنك أنت الأعلى.

أسأل الله عز وجل أن يجعلني وإياكم من هؤلاء الذين يفتح بهم هذا المسجد السليب.

مفارقات بين الألم والأمل والعمل
في ذكرى النكبة



د. صلاح سلطان

فك الله أسره*

نمر اليوم بالذكرى الخامسة والستين لتقسيم فلسطين[1]، وهو ما صار يعرف بيوم النكبة ١٥-٥-١٩٤٧م، وأحب أن نحول الأزمة إلى فرصة، والنكبة إلى نصرة لتحرير الأسرى والأقصى والقدس وفلسطين من الصهاينة المحتلين، يقول الشاعر:

وَعاجِزُ الرأْيِ مِضياعٌ لِفُرصَتِهِ ●● حَتّى إِذا فاتَ أَمرٌ عاتَبَ القَدَرا



* د. صلاح سلطان، مقال: مفارقات بين الألم والأمل والعمل في ذكرى النكبة، موقع إلكتروني: moqawmh.ps ، بتاريخ: ١٧-٥-٢٠١٣م.

١ وقت كتابة المقال ٢٠١٣م.

ويجب أن نفكر دائماً بعقل الرجل المبادر لا المرأة التي تولول على مصيبتها، وبعض الرجال يولولون وكثير من النساء مبادرات، فالرجولة هنا صفة وليست جنساً، وللأسرى والأقصى والقدس وفلسطين رجال قال الله عنهم: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣].



وتأصيلا لمنهج الألم والأمل والعمل، قال تعالى واصفاً فساد بني إسرائيل: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَـٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٤]، لكن بعدها مباشرة حوَّل الله تعالى النص الواصف لحجم فساد بني إسرائيل إلى أمل وعمل حيث قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَـٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا﴾ [الإسراء: ٥].

والحق أن هذا المنهج هو ما يجب أن نتبناه.. أن نذكر الألم في النكبة بتقسيم الأرض وخيانة العالم لكل القيم والمبادئ الأخلاقية، مما ارتكز عليه الصهاينة في المذابح والقتل والسفك والطرد والسجن والأسر والتهويد والاستيطان والحصار، مما أعتبره كله عرضاً، أما المرض فهو شيء واحد هو الاحتلال، فليكن المصب الرئيسي ليس على علاج العرض بكل طاقاتنا بل بـ٢٠% فقط من جهدنا لعلاج قضايا العرض الـ٨٠% في المشروع الأكبر، وهو إنهاء الاحتلال لنصل إلى تحرير الأسرى والأقصى والقدس وفلسطين.



وقد كان من مشاريع الأمل والعمل قبل ذكرى النكبة زيارتنا لغزة هاشم، في يوم ٢٨ جمادى الآخر ١٤٣٤هـ، الموافق ٢٠١٣/٥/٨م، في رحلة تاريخية للعلامة الشيخ القرضاوي إلى غزة على رأس وفد رفيع المستوى لعلماء ودعاة في الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين من ست عشرة دولة لكسر الحصار ومؤازرة أهلنا في غزة وجمع الكلمة في فلسطين، وهناك كان اللقاء بالحكومة المنتخبة برئاسة دولة رئيس الوزراء إسماعيل هنية، وأعضاء المجلس التشريعي، ومجلس القضاء الأعلى، والقوى الشعبية، وفصائل المقاومة، وطلاب وطالبات وأساتذة الجامعات، واللقاء الجماهيرى بساحة الكتيبة الخضراء الذي اقترب من مليونية التحرير، واللقاء مع الشعراء حتى الفتيات الصغيرات اللاتي تشبعن بالجهاد، واللقاء بالأسرى المحررين، وزيارة الأراضي المسماة بالمحررات بعد أن كانت كلها مستعمرات من الكيان الصهيوني.

وكانت العريش أيضاً محطة رئيسية للوفد العالمي للتوقف مع أهلها البواسل وشعب سيناء العظيم، في حفاوة بالغة بالشيخ ومرافقيه، ومهرجان معبر كمّاً وكيفاً عن أصالة شعبنا في سيناء، في برنامج متميز ضم نخبًا وممثلين من التيارات الإسلامية في الجماعة السلفية والجماعة الإسلامية والإخوان المسلمين، وعلماء الأمة، وحضور فخامة الرئيس السابق للسودان المشير عبد الرحمن سوار الذهب، يعبر عن تضافر وتعاون كل الإسلاميين في دعم إعمار مصر وتحرير فلسطين، مما يدل على أن قطار التحرير قد انطلق وصار كالريح اللواقح لنهضة أمة الإسلام والمسلمين، اللواقح لاقتلاع بني صهيون، ومَن أراد الله به شرف الدنيا ونعيم الآخرة فلا يجوز له أن يتخلف عن هذا القطار الذي انطلق ويقف في المحطات التاريخية والذكريات المؤلمة ليكون الناس صنفين:

- **الأول:** وهو الذي اكتفي بذكريات الألم، ويتضاعف لديه الهم والحزن، وأحسن ما يقدم هو ما ذكره الله تعالى: ﴿وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّواْ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ۖ وَلَوْ كَانُواْ فِيكُم مَّا قَـٰتَلُوٓاْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٠].

- **الثاني:** وهم المبادرون المنتفضون على النفس قتلاً لليأس، وحركة دائبة نحو علاج أصل المرض وهو الاحتلال بـ٨٠% من الجهد والوقت والمال، وعلاج العرض وهو التهويد والأسر والقتل والطرد والحصار و... بـ٢٠% من الجهد؛ ليكون الأمر كما قال تعالى عن هؤلاء: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣]، وقال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَـٰتَلَ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعْدُ وَقَـٰتَلُواْ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [الحديد: ١٠].



ولمثل هؤلاء أضع عشرين من الجوانب العملية لمشروع إنهاء الاحتلال وهو المرض، ومعه علاج العرَض عملياً في التهويد والتهجير، والاستيطان والعدوان، والأسر والقتل والحصار:

١. المتابعة الدقيقة، لمعرفة جوانب الألم في قضية الأسرى والأقصى والقدس وفلسطين، كأن المصيبة في قعر بيتنا وبين أهلنا.

٢. بعث عقيدة الأمل، من خلال اليقين بقوة الملك التي لا تقهر، وقوة المنهج الذي لا يتغير، والاعتزاز بتاريخنا الحافل في مواجهة المغول والصليبيين، وواقعنا الماثل من خلال الربيع العربي، وتنامي التيار الإسلامي في العالم كله.

٣ إحياء وإعلان عقيدة الجهاد والمقاومة، ورفض المفاوضات والسلام مع الصهاينة، مع ضرورة أن يكون إحياء الجهاد من الطفولة المبكرة.

٤ دراسة وحفظ وفهم نصوص القرآن والسنة النبوية، بعمل ختمة تدبر بحثاً عن موضوع واحد هو: «خصائص بني إسرائيل في القرآن الكريم»، ثم دراسة السنة والسيرة النبوية وكيف تعامل النبي ﷺ عملياً مع تجمعات اليهود في بني قينقاع وبني النضير وبني قريظة وخيبر، وإحياء فقه التأسي في مواجهتهم.



٥ دراسة وحفظ وفَهم نصوص الجهاد في سبيل الله، في القرآن الكريم والسنة النبوية، ودراسة كتاب (معركة الوجود بين القرآن والتلمود) للدكتور عبد الستار فتح الله سعيد، و(فقه الجهاد) للعلامة القرضاوي.

٦ دراسة تاريخ اليهود ومواقفهم مع الأنبياء والرسل والشعوب والأنظمة، مع أهمية دراسة موسوعة د. المسيري عن الصهيونية، وكتاب (فلسطين- واجبات الأمة - ١١٣٥ دوراً إيجابياً لنصرة فلسطين) للدكتور راغب السرجاني، ومتابعة إصدارات المراكز العلمية المتخصصة مثل (الزيتونة)، و(مركز الإعلام العربي) وغيره، مما يجعلنا متابعين لتطورات القضية يوما بيوم.

٧ عمل مهرجانات جماهيرية وشعبية لإحياء الجهاد ونصرة الأقصى، تجمع بين الأنشودة والقصة والشعر والمقالات والمشغولات واللوحات والمسرحيات.



٨ تبني منهجية الاقتصاد في الكماليات والتوسع في الصدقات، لمساندة المقدسيين والمسجد الأقصى والمحاصرين في غزة.

٩ أن تقوم النخبة من خلال المقالات والفضائيات بردّ الشبهات التي يثيرها الصهاينة وعملاؤهم، حول أحقيتهم في أرض فلسطين وخرافاتهم في موضوع (الهيكل).

١٠ العمل على إزالة الشبهات والافتراءات والأكاذيب، التي يختلقها العملاء والخونة ضد المقاومة المشروعة في فلسطين، وسرعة الرد عليها قبل أن تتحول إلى رأي عام كاذب.

١١ تكوين لجان شعبية ونقابية تتواصل مع النخب الحاكمة، وأصحاب الأقلام المؤثرة والقنوات الفضائية؛ سعياً إلى تبني القضية الفلسطينية وفْق منهجية السياسة الشرعية وليس الحساسة الواقعية، وتشكيل جماعات ضغط سلمية ومجموعات شبابية للتصحيح لا التجريح، والنصيحة لا الفضيحة.

١٢ إحياء وتفعيل ثقافة المقاومة الإلكترونية لبيان الوجه القبيح للكيان الصهيوني، والحق الأصيل لعودة الشعب الفلسطيني، وحق الأمة في تحرير مقدساتها الإسلامية خاصة الأقصى.

١٣ دعم وتبني مَعارض ومَناشط في دول الغرب دورياً، تبين حقيقة الاعتداءات الصهيونية على الأطفال والنساء والمقدسات وتشويه الحقائق التاريخية. وفضح وإنهاء الحصار على غزة.

١٤ عدم الانشغال بالتفاهات إذا اشتدت الأزمات، أو تقديم النوافل على حساب الفرائض؛ فإن الله لا يقبل النافلة حتى تؤدَّى الفريضة، وشغل الأمة بالتحسينيات عن الضروريات والحاجيات هو من العجز عن الفَهم، أو العمد إلى تمرير وتطويل الاحتلال.



١٥ السعي الحثيث إلى التقريب بين الجماعات، والوصول إلى الأخوّة الحميمة، والوحدة والائتلاف، والسلم الاجتماعي في كل بلد إسلامي، ودعم المصالحة الفلسطينية بين المقاومين، لا الخونة والعملاء المسالمين، وتوجيه كل طاقات الغضب في الصهاينة المعتدين.

١٦ أن يجمع كل منا بين الحلم والأمل، والجد والعمل؛ لنيل الشهادة في سبيل الله، ونرفع شعارنا: «نبني أوطاننا ونحرر قدسنا»، أخذًا بكل أسباب القوة البدنية والخلقية والفكرية والروحية والاجتماعية والاقتصادية والحضارية لقهر عدونا.

١٧ تفعيل ودعم دور المرأة والفتيات لنصرة الأسرى والأقصى، وتقدير دورهن سواء داخل الأراضي المقدسة أم على مستوى الأمة كلها.

١٨ تقدير ودعم دور المقدسيين شيباً وشباباً، رجالاً ونساءً في حماية المسجد الأقصى، وتأكيد أهمية استمرار الانتفاضة ضد الهيكل وكُنُس الخراب، وتهويد الأرض، وبناء المستوطنات، وتشويه التاريخ.

١٩ أن يضطلع العلماء بدورهم ببيان الحكم الشرعي في وجوب نصرة الأقصى، ومقاومة المعتدين ومقاطعة المتعاونين معهم والبضائع المدعمة لهم، وأن ينشروا فقه الجهاد وآدابه وأحكامه وضرورة الاستعداد له، وأن يتحدوا في رؤية واحدة ضد مشاريع الاستسلام والمفاوضات.



٢٠ أخيراً.. دوام التضرع والابتهال إلى الله الواحد القهار، والصيام والقيام والبذل والإنفاق، والدعاء والقنوت أن يعز الله الإسلام والمسلمين، وأن يحرر بنا الأسرى والأقصى والقدس وفلسطين، وأن يحفظ الأمة من كيد الخائنين، وأن يشفي فيهم صدور قوم مؤمنين، فالدعاء مع العمل هو العبادة ومفتاح الأمل؛ كما قال تعالى: ﴿وَأُخۡرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الصف: ١٣].



العاقبة للإسلام وأهله



د. محمد موسى الشريف
فك الله أسره*

إن الله تبارك وتعالى اختار هذه الأمة الإسلامية العظيمة لحمل الرسالة الخاتمة وفضّلها على العالمين، قال سبحانه: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وأنزل عليها سبحانه أعظم كتاب، واختار لها أشرف وأعظم رسول ﷺ.

ثم إنه تعالى لن يقبل من أحد ديناً إلا الإسلام بعد البعثة المحمدية الشريفة ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]، ثم إنه تعالى تكفّل

* د. محمد موسى الشريف، مقال: العاقبة للإسلام وأهله، منشور على صفحته على موقع (فيس بوك) الإلكتروني، نقلاً عن موقع (شبكة رصد) الإلكتروني، ٢٠١٣م.

بحفظ كتاب هذه الأمة فقال جلّ مِن قائل: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]. ثم إنه تعالى أخبر بواسطة رسوله ﷺ أن هذا الدين العظيم سيبلغ ما بلغ الليل والنهار، ولن يدع بيت مَدَرٍ أو وبَر إلا دخله، والمدر: الطين، والوبر: الصوف، وهذا مشهور معلوم من الأحاديث الشريفة المطهرة.

فإذا كان الأمر كذلك فإنه لا خوف على الإسلام ولا خوف على المسلمين فإن الله تعالى ناصر دينه ولو بعد حين، هذا أمر نعرفه من ديننا وإسلامنا لا يشك فيه.

ولقد مر على الأمة الإسلامية أيام اشتد فيها البلاء، وعظم الخَطْب، ورُوعت النفوس، وظنّ الناس الظنونا، وتداعت الأمم الكافرة على الأمة الإسلامية حتى أوشكت أن تستأصل شَأفتها وتَجتثّ جذورها، ثم إن هذه الأمة المباركة يدركها فضل الله تعالى فتخرج من المحنة أعظم مما كانت وأقوى عوداً وأصلب، وما هذا إلا للسر الإلهي الحافظ لها وإلا لاندثرت منذ قرون.



فقد تعرضت الأمة لغزو صليبي محكم ضخم متوالٍ في حملات يحدوها الحقد الشديد والطمع الفظيع، وعلى رأسها القساوسة والرهبان، والفرسان والنبلاء، والأمراء والملوك، على مدى مائتي سنة تقريباً، وأسسوا ممالك وإمارات صليبية، ثم إن الله تعالى قيّض لهم رجالاً عظماء: نور الدين، وأبوه عماد الدين، وخليفته صلاح الدين، والسلطان المملوكي الأشرف خليل، فأذاقوا الصليبيين طعم الذل والهوان حتى أخرجوهم من ديار الإسلام ذليلين مدحورين.

وهؤلاء التتار المفزعون الوحشيون الذين لم يعرف التاريخ مثل همجيتهم ووحشيتهم، يتسلطون على العالم الإسلامي ويذيقون أهله سوء العذاب في بلاد ما وراء النهر وفي خراسان وفي العراق وسورية، حتى ظنوا أنهم القوة الأعظم ولن يقوم لهم أحد، أتاهم الله من حيث لم يحتسبوا فخرج لهم أبطال المماليك وعلى رأسهم قطز وبيبرس، فانتصروا عليهم في معركة عين جالوت وأذاقوهم الذل والهوان بعد أن لم يُذِقهم ذلك أحدٌ من قبل، وأعزّ الله عباده المسلمين وأكرمهم، وهذان المثالان غيضٌ من فيض مما أكرم الله به المسلمين من انتصارات بعد ضيق وشدة.



ثم ضعف المسلمون وتخاذلوا وتركوا العمل بكتاب ربهم وسُنة رسولهم ﷺ وتداعت عليهم أمم الكفر واقتسمت بلادهم، وظن الصليبيون أن هذه هي قاصمة الظهر للمسلمين ولن تقوم لهم قائمة بعد ذلك فكذّبهم الله تعالى، فأخرج لهم طائفة من المسلمين اتخذت الجهاد غاية لها، وكتاب ربها منهجاً، وسُنة نبيها ﷺ هاديةً، فأخرجت الكفار من بلاد الإسلام ونالت البلاد استقلالها.

ثم ابتلانا الله تعالى بفتنة اليهود الذين استأسدوا علينا واستولوا على فلسطين وسيناء والجولان، ورتعوا في ديار الإسلام طويلاً دون أو يواجهوا مقاومة إسلامية قوية صحيحة، حتى جاءت سنة ١٤٠٧ حيث أنبت الله تعالى ناشئة مجاهدة من المسلمين أذاقت اليهود ألواناً من الهوان لم يعرفوها قبل ذلك، واستمر الجهاد سنين

حتى أوقف بمبادرة سياسية! ثم إن الجهاد استؤنف سنة ١٤٢٠ استئنافاً رائعاً جليلاً هز اليهود وأعوانهم وما زال يفعل فعله فيهم حتى الآن، وبشائر النصر تترى في فلسطين وفي الشيشان وكشمير ولله الحمد.

ثم منَّ الله تعالى على الأمة بالربيع العربي الذي خلصها من عدة طواغيت، وفتح باب الأمل على مصراعيه أمام الجماهير العربية والإسلامية للعودة إلى العز والسيادة والتمكين, ولئن تعرقلت المسيرة قليلاً لكنها ماضية قُدماً إلى ما قدّره الله تعالى لها بإذنه وفضله.

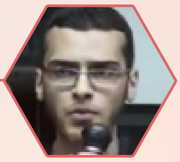
أيها الإخوة والأخوات: لا خوف على الإسلام والمسلمين فالعاقبة لنا إن شاء الله تعالى، والنصر قادم لا محالة، هذا وعد الله تعالى لنا ورسوله ﷺ، فمهما تداعت علينا أمم الكفر وتحالفت ضدنا فمعنا قوة الإيمان التي لا تخيب، قال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩]. وقال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ﴾ [غافر: ٥١].

فلا مجال لليأس ولا مكان للقنوط بل الأمل والعمل رائدان لنا في كل حين، والله أكبر من كل ما يجمعون، وهو القاهر فوق عباده القائل في محكم كتابه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيۡهِمۡ حَسۡرَةٗ ثُمَّ يُغۡلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحۡشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٦].

والعاقبة للمتقين، والله الموفق.



الشرعية الدولية
صنم يجب أن يهدم



م. أحمد سمير

فك الله أسره*

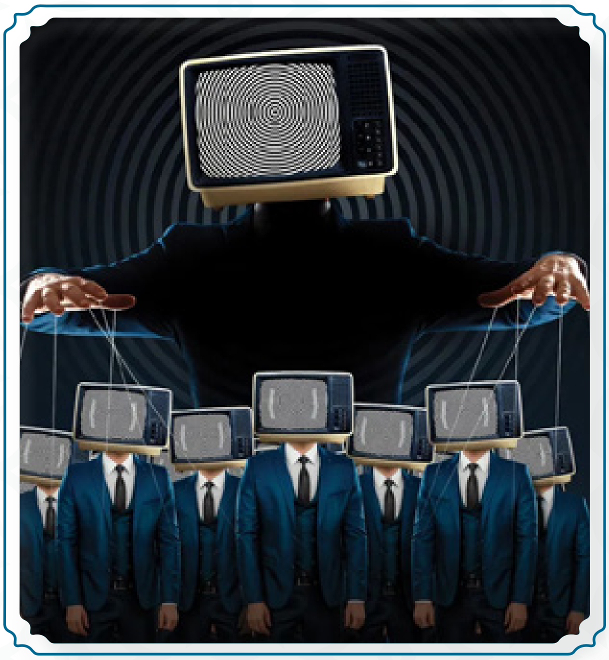
إن النظام العالمي اليوم يقوم ببساطة على الوهم، الوهم بكل صوره، إنك لا تحتاج أكثر من بضع دقائق تتأمل فيها حقيقة هذا النظام وستكتشف أننا نعيش في أكذوبة كبرى!

إن الجميع منا صغيراً وكبيراً، عالماً وجاهلاً، يعلم أن كل ما نشاهده في التلفاز ونسمعه من خطابات سياسية وأخبار محلية وعالمية ليست إلا الصورة الأخيرة التي أرادوها أن تصل إلينا، الجميع يفهم أن اللعبة لها قواعد مختلفة، وأن العالم -في النهاية- تحكم فيه مراكز القوى، وأن ما يظهر

---

* أحمد سمير، (معركة الأحرار)، كتاب إلكتروني، ص١١ وما بعدها.

فوق الطاولة يناقض ما يدور تحتها، لقد فهمت الشعوب هذا إلى حدٍ جعلها لا تهتم بالسياسة أصلاً ولا تشغل بالها بما يتم، لقد يئست من التغيير في ظل استمرار النظام العالمي كما هو.



إن النظام العالمي هو عبارة عن فيلم هوليوودي، مخرج الفيلم هو الذي يقسم الأدوار، فليس كل ما تراه عيناك هو الحقيقة، (الحقيقة) هي ما يجعله المخرج (حقيقة)، فهذا بطل لأن المخرج أراد له أن يكون البطل! وهذا سيموت في اللحظة التي يريدك المخرج أن تراه فيها ميتاً! والحقيقة أن هذا ليس بطلاً ولا ذاك ميتاً! ما دمت أنت (المشاهد) وتتابع أحداث الفيلم من خلف الشاشة فلن ترى عشرات الكاميرات، ولا مئات الكومبارس، ولا أركان الديكورات، ولن ترى قهقهات الممثلين تتخلل مشاهد البكاء، ولن ترى (السيناريست) يلقّن ولا المخرج يصرخ ويوجه، ولن ترى اللقطات تُعاد مراراً كي تظهر في صورتها الأخيرة!

شعوب علاقتها بالأحداث فقط (الشاشات) ستظل أسيرة منظومة الوهم، منظومة صار للورق فيها قيمة تفوق الذهب فقط لأن الوهم سماه (عملة صعبة)! صارت الكرة معركة وصراعاً، والمقاومة إرهاباً والإرهاب الدولي الحقيقي حرباً مقدسة من أجل تحرير الشعوب، والفواحش حرية، والانحلال تقدماً، ما يقوله الوهم هو الحقيقة، الحقيقة ليست ما يقع على الأرض، الحقيقة ما يريدك الوهم أن تراه قد وقع على الأرض!

هذا الوهم صار حقيقة لأنه امتلك (الشرعية الدولية)، هؤلاء ثوار ومناضلون لأن معهم الشرعية الدولية، وهؤلاء متمردون أو إرهابيون لأن الشرعية الدولية تريد أن يكونوا كذلك، إذا اختارك الناس (حاكماً) فستظل بحاجة إلى الشرعية الدولية حتى تصبح بالفعل (حاكماً).

حقائق لا تخفى على الشعوب ولكنها سريعاً ما تتناساها وتذهل عنها، ولذلك ما زلنا نكرر أن معركتنا الأولى هي صناعة الوعي، وأولى خطوات هذا الوعي هي أن تدرك الشعوب أنها أسيرة منظومة وهْم عالمية، إدراكاً يوجه مواقفها وحركتها، وأن تعلم أنه لا تغيير حتى تخرج من تلك المنظومة.

ولتفهم الفكرة بصورة أكثر عمقاً دعونا نفصّل الحديث عن (الشرعية الدولية)، وسنتحدث عن صورها الثلاثة بالترتيب (الشرعية السياسية- والشرعية الاقتصادية- والشرعية العسكرية)، سنشرح كلّ واحدٍ منها على شكلِ تدويناتٍ منفصلة بأجزاء[1].



١. الشرعية السياسية لمنظومة الاحتلال الدولي

لقد صارت للمنظمات المسماة (دولية) - كالأمم المتحدة ووكالة الطاقة وغيرها- قيمة سياسية باعتبارها منظمات عالمية ودولية يشترك فيها العالم كله، وأن قراراتها وقوانينها عادلة منصفة واجبة النفاذ، بالرغم من أن الحقيقة هي أن هذه المنظمات ما هي إلا منظمات استعمارية تُكمل الديكور النهائي وتعطي الغطاء السياسي لمنظومة الاحتلال الدولي

١ اكتفينا بالقسم الأول فقط في هذا العدد من مجلة أنصار النبي ﷺ، وللمزيد يُراجع المصدر. (التحرير).

وتؤسس لكل عناصر الهيمنة على بلادنا؛ فلكل منظمة منها دور محدد في تقييد الشعوب وإلزامهم بالمسار الذي يخدم مصالح الدول الكبرى، وإن ما يسمى كذلك بالقوانين الدولية لم توضع إلا لتقييد الدول المستضعفة ولخدمة مصالح النظام العالمي.



فالدول الكبرى -وعلى رأسها شيطان العصر أمريكا- مستثناة من كل قانون، ومتجاوزة لقرارات هذه المنظمات التي تخالف مصالحها، ولا تصدر هذه المنظمات -أصلاً- أي قرار يخالف مصالح أمريكا إلا نادراً من باب حفظ ماء الوجه، وللإبقاء على (شرعيتها) الدولية في قلوب الحمقى والمغفلين.

لكنها في الحقيقة منظمات موجهة موظفة في خدمة الأسياد وعلى رأسهم السيد الأكبر أمريكا، وقد غزت أمريكا العراق عام ٢٠٠٣ بدون قرار من مجلس الأمن، وهي مخالفة للقوانين الدولية، فماذا كان رد فعل مجلس الأمن؟ أصدر عدة قرارات كانت كلها بمثابة الإقرار الصريح بهذا الاحتلال وإضفاء الشرعية السياسية عليه!

إننا ببساطة نعيش في ظل خلافة أمريكية مكتملة الأركان، فرؤساء بلداننا كلهم ما هم إلا ولاة تحت أمر الخليفة في البيت الأبيض، جيوشهم هو مَن يسلحها وهو مَن يحدد وجهتها، إن قال (حرب) حارَبوا، أو قال (سِلم) سالموا، يحرك أموالهم (بيت المال) في واشنطن (البنك

الدولي وصندوق النقد الدولي)، ويتلقى شكاوى بلدان الخلافة وينظم علاقاتها السياسية (ديوان الشكاوى) في نيويورك (الأمم المتحدة)، وأما القيادة السياسية لجيوش الخلافة في البلدان المختلفة؛ ففي نيويورك أيضاً (مجلس الأمن)، ويتحكم في مدى تسليح بلدان الخلافة ويشرف على استخدام الطاقة فيها مفتش الخليفة الأعظم ومقره في فيينا (وكالة الطاقة الذرية).



وأما من يوجه ثقافة أبناء الخلافة -غير المباركة- ويحافظ على تراثهم بما يراه مناسباً فهو الحاكم بأمر الخليفة (اليونسكو) في باريس، كما يرعى الخليفة في البيت الأبيض صحة أبناء الخلافة عبر طبيب الخلافة الأعظم (منظمة الصحة العالمية) ولا تسأل عن ملايين الموتى بالأمراض والأوبئة في بلدان أفريقيا و(العالم الثالث) فإن أركان الخلافة واسعة، وهل الخليفة سيهتم بصحة هؤلاء ويترك صحة أبناء الدول المركزية الكبرى في خلافته! ناهيك عن جيش الخلافة الفاتح (الناتو) والذي صار يأمر فيُطاع ويبطش فلا يُلام!

لقد صار مألوفاً لدى المواطن في بلادنا أن يفتح التلفاز ليشاهد مؤتمراً صحفياً لوزارة الخارجية الأمريكية تتحدث فيه عن تطورات الأوضاع في مصر مثلاً! الإشكال ليس في عقد المؤتمر فالكل يعلم أنهم يتعاملون معنا كحق مباح لهم، ولكن الإشكال الحقيقي في أن يكون ذلك مألوفاً لدى الشعوب، بل وأحياناً ينتظر البعض بالفعل ماذا سيقول السيد الأمريكي عن تطور الأوضاع عندنا! إنها الأزمة الكبرى!

لقد تسللت الشرعية السياسية للهيمنة داخل عقول وقلوب الشعوب لدرجة أنهم أصبحوا لا يستنكرون هذا الوضع الشاذ والمقلوب! لقد تمكنت الآلة الإعلامية الرهيبة في الخارج والداخل من سحر عقول الناس و زرع بذور التبعية في قلوبهم، واستسلمت الشعوب للأوضاع بصورة جعلت مَن يستنكرها ويحاول الخروج عليها هو المستغرَب عندهم، بل لقد نصب البعض من نفسه محامياً مدافعاً عن هذه الأوضاع فلم تعد أمريكا بحاجة للدفاع عن نفسها؛ فتجد من يقول لك: هذه تفاهمات دولية، أو من يقول: لقد تغير العالم ويجب مسايرة الأوضاع! إن هذه النفوس المنهزمة لا تعيد مجداً ولا تقيم حضارة ولا تغير من الأوضاع شيئاً.

إن الحقيقة تكمن في أن لله سيسخّر لتغيير هذه الأوضاع مَن يستحق بالفعل أن ينال هذا الشرف، سيسخر من هم أحرار النفس والعقل لا يسايرون الذل ولا يقبلون بأن يعيشوا على هامش الأمم! إن هذه القوانين الدولية، وتلك المنظمات (الاستعمارية)، بالإضافة إلى ما يُسمى بالمعاهدات والاتفاقيات العالمية (والتي تمت عبر الحكام العملاء المغتصبين للسلطة في بلادنا دون رضا منا، وأحياناً دون علمٍ منا أصلاً)، كل هذه الأوهام لا اعتبار لها عندنا ولا تعنينا، وليست لها أي شرعية سياسية في قلوبنا، وإننا بكل فخر نراها هي والعدم سواء، وسيأتي اليوم الذي ندوس عليها فيه بالأقدام كما داس أعداؤنا عليها أصلاً في تعاملهم معنا، فإننا لن نخضع إلا لقيم ديننا، وتلك هي الحرية التي نراها.

أنصار النبي صلى الله عليه وسلم

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾